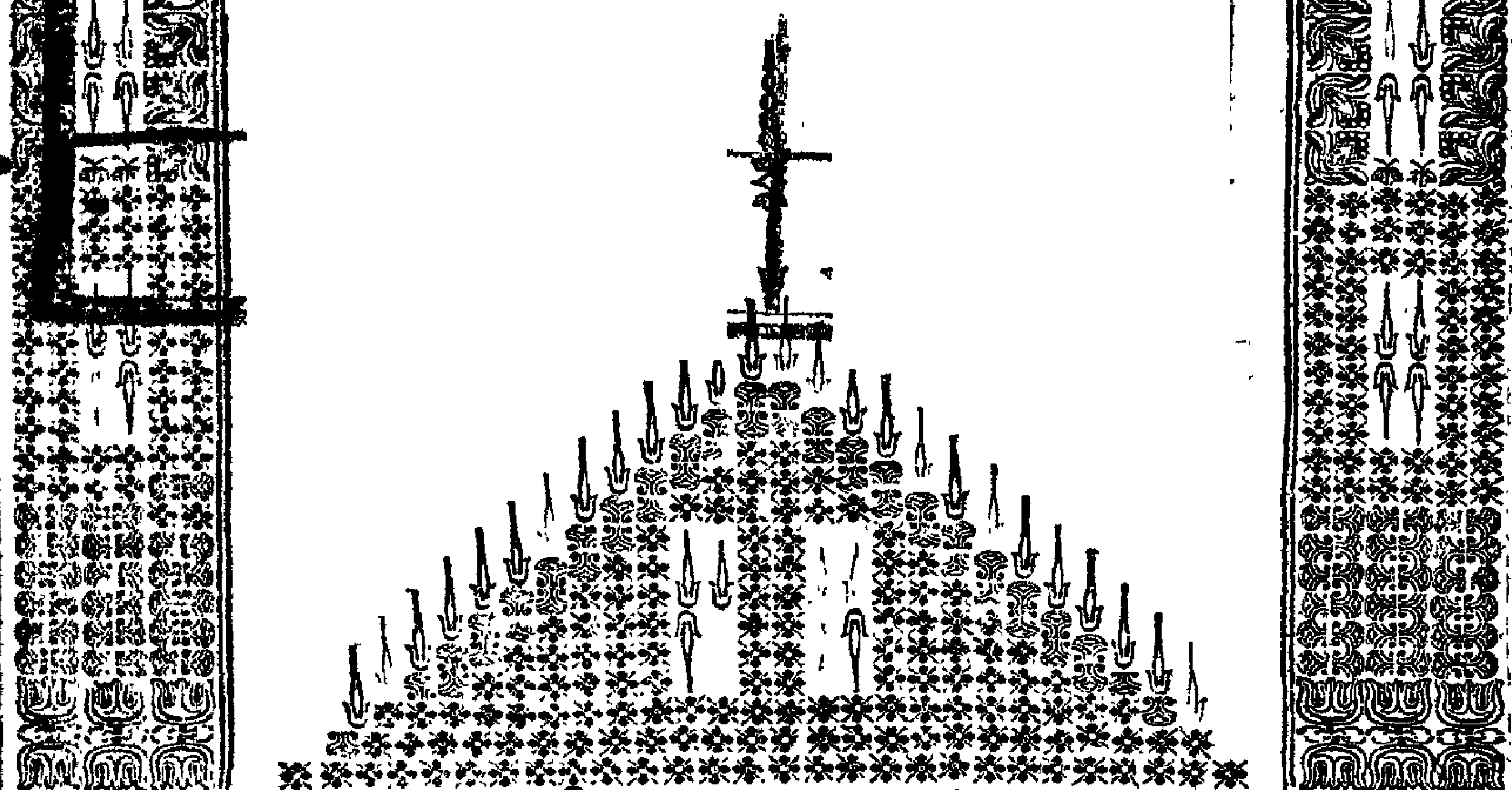
هـــــــــــــــــذا

كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون
تاليف الامام العالم الفاضل جمال الدين
محمد بن محمد بن نباتة المصرى كان
الله له ولوالديه وان دعا له
بالمغفرة وللمسلمين
آمين

(قال بعض الفضلاء)

هـذا كتاب لو يباع بوزنه * ذهبا لكان البائع المغبونا
أوما من الخسران أنك آخذ * ذهبا ومعط جوهرا مكنونا



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لا يجب الحمد الا له * وصلى الله على سيدنا محمد المخصوص بأشرف رساله * وعلى آله وصحبه فأفضل وأكرم صحبه وآله * وأدام الله أيام مولانا السلطان المؤيد الملك الكامل العالم العادل عماد الدنيا والدين ادامة متصلة الجلاله * مقتبلة الاياله * ما جنت عسل النصر الشهى رماحه العساله * وأثمرت غصون أقلامه المنعمة بين ديم أنامله المطاله * فمن فروض نعمه علىّ * وقروض منته لدىّ * أن أدعو لايامه المكرّمه * كما صليت على نبى المرحمه * وأذكر من أصلح لنا أمور الدنيا القائمه * كما ذكرت من أصلح لنا أمور الدين القيمه * طلبا لاجابة الدعاء * واثابة الرجاء * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم * وأمتعنا ببقاء من سبقت مواهبه الغيث فصلى وأعجزته فسلم

(وبعد) فانى أمرت بشرح رسالة الوزير أبى الوليد بن زيدون الآتى ذكرها * وايضاح براهينها الغامض على كثير من سراة الأدب سرها * فقلت ما أنا

(فهرست كتاب سرح العيون على رسالة ابن زيدون)

وصعود هذا الصرح * وولوج هذا السرح * ومعارضة ذلك البزولست من ذلك الطرح * وهل إنا الا صاحب أبيات تقيم بدرها القريحة المطبوعه * وكلمات تأتي على العفو فقرها المسجوعه * فتى أخرجت عن ظلّ أبياتي ظلمات ومتى أبعدت عن رياض بحجى ألمت * هذا مع تشعب فنون هذه الرساله * وأحجام الفضلاء عن الخوض في غدرها السياله * فقيل لي انا نقتصر من شروحك على الاختصار * ونهب تقصيرك لما قدمت بين يدي نجواك من الاعتذار * ونرضى من بيانك بأدنى الحصص * ومن قسمة الايضاح ببعض الحصص * وننفع من التاريخ الغاص ببعض الفرص * واذا كنت من الشعراء فما أنت ببعيد من القصص * فقابلت بالطاعة أمرا قد وجب * وقلت ان فاتني سلوك الآداب المنظومة فان الامتثال خير من سلوك الادب * وكنت أعرف ببعض خزائن دمشق الوقفية أسفارا فيها للطالب منجع * وللافهام النائية ذكرى تنفع * فلم يتهيأ أن أعارمنها كتابا * ولا أراجع من ألسنة حروفها خطابا * فقلت هذا عذر آخر لم يكن في الحساب * وهذا قصد تغلقت دونه الكتب فما ذات أبواب * وما بقي الا الرجوع الى صبابة الحاصل التي أبقتها نوب الدهر * واستنباط الثمد اذا أعجز ورود البحر * ثم أمليت شرح هذه الرسالة عن فكر خامل مسه القرح وشرحت الا انني مقصر وما أطيل الشرح * بيد أني لم أعتمد الا على نقل خبر صحيح * ونسب على قول صريح * ولم أخل ترجمة كل مذكور من فائدة ساره * ونادرة داره * وأقوال سديده * وأبيات مشيده * وفقر ما أخطأتها فطنة سعيده * ولم آل في اختيارها جهدا * ولا ازددت مع صروف الزمان الا نقدا * هذا مع تجنب الاكثار * وترك الاجلاب بنظائر الاشعار * والتخفيف مما لعل المباحث تقتضيه من العثار * والله تعالى الموفق لصواب الاراده * ومعين الخدم على القيام بطاعة الساده * وجابر وهنهم بما يتلقونه من امتثال أوامرهم الساده * بمنه وكرمه

الثمد قليل الماء

(ذكر منشئ هذه الرسالة)

هو الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي

الاندلسي الكاتب الشاعر المشهور ولد بقرطبة سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان من أبناء الفقهاء المتعينين واشتغل بالادب وفحص عن نكته ونقب عن دقائقه الى أن برع وبلغ من صناعتي النظم والنثر المبلغ الطائل وانقطع الى أبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف المتغلبين بالاندلس فخف عليه وتمكن من دولته واشتهر ذكره وقدره واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الاندلس فأعجب به القوم وتمنوا ميله اليهم لبراعته وحسن سيرته واتفق أن ابن جهور نقم عليه أمرا فحبسه واستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة وقصائد بديعة فلم تنجع فهرب واتصل بعباد بن محمد صاحب اشبيلية الملقب بالمعتضد فتلقاه بالقبول والاكرام وولاه وزارته وفوض اليه أمر مملكته وكان حسن التدبير تام الفضل متحببا الى الناس فصيح المنطق جدا (حكى) ابن بسام في كتاب الذخيرة عن بعض وزراء اشبيلية قال عهدي بأبي الوليد بن زيدون قائما على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما سمعته يجيب أحدا بما أجاب به غيره لسعة ميدانه وحضور جنانه ولم يزل عند المعتضد عباد وعند ابنه المعتمد على الله قائم الجاه وافر الحرمة الى أن توفي باشبيلية سنة ثلاث وستين وأربعمائة تغمده الله برحمته وقد ذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين وأجروا نبذا كثيرة من أخباره وفضائله ووقفت على ديوان شعره وكثير من ترسله ونظامه أمكن عند النقاد وأجود من نثره وكان يسمى بحتري المغرب لحسن ديباجة لفظه ووضوح معانيه فأما نثره فانه أكثر فيه من استعمال أمثال العرب وحل أشعار المتقدمين والمتأخرين الى أن قيل أن رسائله أشبه بالمنظوم من المنثور وعلى ذلك فقد دل بها على اطلاع معجب واستحضار معجز وقد اكتفيت منها بهذه الرسالة المشروحة فمن شعره ما قاله من قصيدة يخاطب بها ابن جهور أيام سجنه

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر * الا ذكرتك ذكر العين بالاثر
ولا استطلت زمام الليل من أسف * الا على ليلة مرت مع القصر
ياليت ذاك السواد الجون متصل * قد استعار سواد القلب والبصر
جمعت معنى الهوى في لحظ طرفك لي * ان الحوار لمفهوم من الحور
لا يهنأ الشامت المرتاح ناظره * أني معنى الاماني ضائع الخطر

هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال في السجن ايداعي فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضا قدر * عن كشف ضري فلا عتب على القدر
من لم أزل من تدانيه على ثقة * ولم أبت من تجنيه على حذر

وقال من أبيات في بني جهور

بني جهور أحرقتم بجفائكم * جناني فما بال المدائح تعبق
تعدونني كالعنبر الورد انما * تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

وقال فيهم أيضا من أبيات

ان الجهاورة الملوك تبوءوا * شرفا جرى معه السماك جنيبا
فاذا دعوت وليدهم لعظيمة * لباك رقراق السماح أريبا
همم تعاقبها النجوم وقد تلا * في سودد منها العقيب عقيبا
ومحاسن تندى دقائق ذكرها * فتكاد توهمك المديح نسيبا

وقال من قصيدة يمدح بها المعتضد بن عباد

أما في نسيم الريح عرف يعرف * لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف
وليلة وافينا الكثيب لموعد * سرى الاين لم يعلم بمسراه مرجف
تهادى أناة الخطو مرتاعة الحشا * كما ريع يعفور الفلا المتشوف
فديتك أني زرت نور لك واضح * وعطرك نمام وحليك مرجف
هبيك اعتسفت الليل واشيك هاجع * وفرعك غربيب وليلك أغدف
فكيف أطفت المني خصرك مدمج * وردفك رجراج وقدك أهيف
فاقبل من أهوى حوى البدر هودج * ولا ضم ريم العصر خدر مسجف
ولا قبل عباد حوى البحر مجلس * ولا حمل الطود المعظم رفرف
رويته في الحادث الاد لحظة * وتوقيعه الجالي دجى الخطب أحرف
على السيف من تلك الصرامة ميسم * وفي الروض من تلك الطلاقة زخرف
أظن الأعادي أن حربك نائم * لقد تعد النفس الظنون فتخلف
ولما قضينا ما دعانا أداؤه * وكل بما يرضيك داع فملحف
رأيناك في أعلى المصلى كأنما * تطلع من محراب داود يوسف

وقال أيضا في مرثية له

يا من تثنى الامثال فيه مهذب * ضربت له في السودد الامثال
نقصت حياتك حيث فضلك كامل * هلا استضاف الى الكمال كمال
حيا الحيا مثواك وامتدت على * ضاحي ثراك من النعيم ظلال
فلئن أذالك بعد طول صيانة * قدر فكل مصونة ستذال

اذالك اهانك

وقال في الغزل وهو من المجيدين فيه

بيني وبينك مالو شئت لم يضع * سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بائعا حظه مني ولو بذلت * لي الحياة بحظي منه لم أبع
يكفيك انك لو حملت قلبي ما * لا يستطيع قلوب الناس يستطع
ته أحتمل واستطل أصبر وعز أهن * وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

وقال أيضا

أتار حاقلبي فأنت جميعه * ياليتني أصبحت بعض رجاكا
يدنو بوصلك حين شط مزاره * وهم أكاد به أقبل فاكا

وقال من أخرى

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق وماء الروض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله * كأنه رق لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما حللت عن اللبات أطواقا
لا سكن الله قلبا عن تذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملي نسيم الريح حين سرى * وافاكم بفتى أضناه مالاقى
الآن أحمد ما كنا لعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا

وله القصيدة النونية التي أولها بنتم وبنا وهي أشهر من أن تذكر وقد تداولتها الألسن وزيد فيها ما كانت غنية عنه * وفضائل الرجل متمكنة وكفى بهذا القدر عنوانا لها

(ذكر سبب انشاء هذه الرسالة)

كانت بقرطبة امرأة ظريفة من بنات خلفاء الغرب الامويين المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل من بني عبد الملك بن مروان تسمى ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها وقتله و تغلب ملوك الطوائف في خبر طويل ثم صارت تجلس

للشعراء

للشعراء والكتاب وتعاشرهم وتحاضرهم وتعشقها الكبراء منهم وكانت ذات خلق جميل وأدب غض ونوادر عجيبة ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهي راضية عنه تقول

ترقب اذا جن الظلام زيارتي * فاني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك مالو كان بالبدر لم ينر * وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وقولها فيه وهي عليه غضبى

ان ابن زيدون على فضله * يغتابني ظلما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا اذا جئته * كأنما جئت لأخصي علي

تعني غلاماله يسمى عليا وكان سبب قولها فيه هذا الشعر أنه اتهمها بمواصلة الوزير ابي عامر بن عبدوس وكان يلقب بالفار فقال فيه وفيها

عيرتمونا بأن قد صار يخلفنا * فيمن نحب وما في ذاك من عار
أكل شهي أصبنا من أطايبه * بعضا وبعضا صفحنا عنه للفار

ومن شعرها ما كتبت به على كمها وقيل تاجها

أنا والله أصلح للمعالي * وأمشي مشيتي وأتيه تيها
وأمكن عاشقي من لثم ثغري * وأعطي قبلتي من يشتهيها

ومما ينسب اليها وهو عندي كثير على شعر امرأة

لحاظكم تجرحنا في الحشى * ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذي أوجب جرح الصدود

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها والميل اليها وأكثر غزل شعره فيها وفي اسمها ثم ان الوزير أبا عامر بن عبدوس أيضا هام بها وكلف بعشرتها وكان قصدهم الظرف والادب وكانت ولادة كثيرة العبث به ولها معه نوادر ظريفة * ومن نوادرها الظريفة انها مرت يوما بدار ابن عبدوس وهو جالس بالباب وحوله جماعة من أصحابه وأمامه بركة تتولد من مراحيض وأقذار فوقفت عليه وقالت يا أبا عامر

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فلم يحر جوابا فمضت وحفظت هذه النادرة واشتغل بها الناس وهذا البيت لابي نواس تمثلت به ونقلته هذا النقل الحسن من المدح الى الهجاء وكان

كثيرا ما يخدعها ويبغي التفرد بها وفي ذلك يقول ابن زيدون (شعرا)

وغرك من عهد ولادة * سراب تراءى وبرق ومض
هي الماء يأبى على قابض * ويمنع زبدته من مخض

وكان أول أمرها سامعه والباعث لابن زيدون على انشاء هذه الرسالة أن ابن عبدوس لما سمع بها أرسل اليها امرأة من جهته تستميلها اليه وتذكر لها محاسنه ومناقبه وترغبها في التفرد بمواصلته فبلغ ابن زيدون ذلك فكتب هذه الرسالة البديعة جوابا له عن لسانها تتضمن هذه الغرائب من سب أبي عامر والتهكم به والهجاء له وجعلها جوابا له على لسان ولادة وأرسلها اليه عقيب رجوع المرأة فبلغت منه كل مبلغ واشتهر ذكرها في الآفاق وأمسك ابن عبدوس عن التعرض لولادة الى ان انتقل ابن زيدون الى اشبيلية وتوفي بها تغمده الله برحمته وغفر لنا ولهم بمنه وكرمه هذا معنى ما ذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين

(ذكر الرسالة وشرحها)

(أما بعد أيها المصاب بعقله المورط بجهله)

(أما) حرف يقتضي مضي أحد الشيئين ويبتدأ به الكلام و (بعد) ههنا تستعمل في الترتيب الصناعي وتقديره أما بعد مهما يكن بعد وهي كلمة يبتدئ بها كثير من الخطباء والكتاب كلامهم في خطبهم المحبرة ورسائلهم المحررة كأنهم يستدعون بها الاصغاء لما يقولون ولذلك فخر بها سحبان فقال

وقد علمت قيس بن عيلان انني * اذا قلت أما بعد أني خطيبها

وكثيرا ما تأتي عقيب قول الحمد لله وتسمى هنالك فصل الخطاب لانها فصلت بين الكلام الاول والتالي وتأتي عقيب البسملة وتأتي ابتداء كانها عقيب الفكر والروية وأول من قالها داود عليه السلام وقيل انها فصل الخطاب المذكور في الكتاب العزيز وقيل أول من قالها قس بن ساعدة والاول أصح وانما قس أول من خطب بها في العرب وكتبها أول الكتب على ما ذكر (أيها المصاب) اسم لمن نزلت به نائبة مصيبة وأصاب السهم اذا وصل الى المرمى بالصواب فالمصيبة أصلها في الرمية ثم اختص بالنائبة (بعقله) العقل المعرفة المستعملة

في

في تحري النفع وتجنب الضرر ولاهل اللغة والمتكلمين في اشتقاقه ومعناه أقوال كثيرة قيل اشتق من عقل الناقة اذا شد وظيفها مع ذراعها بحبل يمنعها من الشراد فكانه يمنع الانسان مما يميل اليه من الهوى ومن عقل الناقة سميت الدية عقلا لانها تعقل بفناء المقتول أولانها تحبس الدم وقيل اشتق من العقل وهو الملجأ يقال عقل الوعل اذا التجأ الى الجبل الذي يمنعه فكان الانسان يلتجئ اليه في أحواله وقيل غير ذلك واكثر المعاني مشتركة في الاشتقاق وقال الجاحظ العقل اسم يقع على المعرفة بالصواب والخطا وايثاره اذا اقترنا في زمان وكان العلم علة للعمل وقيدا له فاذا دعا الرجل علمه بالمحاسن الى العمل بها ونهاه علمه بالمساوى عن العمل بها صار قيدا لعمله وكان كالعقال لما استحسنه فاذا عقله عليه وحبسه كما يحبس الجمل قالوا هذا عاقل وقال الراغب العقل يقال للقوى المتهيئة للعلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوى عقل ولهذا قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولاينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لاينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع والى الاول أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل والى الثاني أشار بقوله ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فأشارة الى الثاني دون الاول وكل موضع رفع فيه التكليف عن العبد لعدم العقل فأشارة الى الاول وقال بعض الحكماء هو جوهر بسيط وقال آخرون هو جسم شفاف ومحله الدماغ وبعض العلماء يقول محله القلب ويستدل بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى لمن كان له قلب أي عقل وقال الجاحظ هو مادة تتولد من الاغذية المقوية للعصب فلذلك كان البلادر جيدا له والبصل مضرا له ولذلك يقال يفسد الباذنجان في شهر ما يصلح البلادر في عام ويزعم قوم أنه هيئة تحصل بالدربة ولذلك فسدت أذهان المعلمين لمخالطتهم الصبيان (المورط) الورطة الهلاك قال رؤبة فأصبحوا في ورطة الاوراط وأصل الورطة أرض مطمئنة لا طريق فيها ورعاها لك الواقع فيها ومنه الوراط الخديعة وفي الحديث لاخلاط ولا وراط (بجهله) الجهل ضد العلم ومنه سميت المفازة مجهلة كانه جهل كيف

الوظيف مقدم الساق يثنى ويربط مع الذراع وذلك هو العقل

الدربة بالموحدة الضراوة والاعتياد

الطريق فيها وقال الراغب الجهل على ثلاثة أضرب الاول خلو النفس من العلم هذا هو الاصل وقد جعل بعض المتكلمين الجهل معنى مقتضيا للافعال الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضيا للافعال الجارية على النظام والثانى اعتقاد الشئ على خلاف ما هو عليه والثالث فعل الشئ بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا

(البين سقطه الفاحش غلطه)

(السقط) ما لا يرضى ومنه سقط المتاع رديئه وسقط القول خطؤه وسقط الرجل فى يده اذا فعل ما يندم عليه وقال الاخفش أسقط وهو غير مستعمل والاصل السقوط وهو طرح الشئ من العالى الى المنخفض (والفاحش) ما عظم قبحه من الاقوال والافعال ومنه الفاحشة الفعلة القبيحة سميت فاحشة وصار علما عليها والغلط الخروج عن الصواب نطقا أو فعلا تقول العرب غلط وغلت بالتاء زعم قوم أنهما لغتيان وزعم قوم أن غلط انما يقال فى المنطق وغلت انما يقال فى الحساب

(العاثر فى ذيل اغتراره الاعمى عن شمس نهاره)

(العثار) السقوط وما قاربه و(الاغترار) الغفلة واستعارة الذيل والعثار للتغافل حسنة والعقر مناسبة لما قبلها وما بعدها و (العمى) يقال فى افتقاد البصر ويقال فيه أعمى وعم وعمى البصيرة أشد ولذلك لم يعد الله تعالى افتقاد البصر عمى فى جنب افتقاد البصيرة حيث قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور و(شمس النهار) ههنا كناية عن الصواب الواضح الذى تركه هذا المكتوب اليه وعمى عنه حتى تعرض للذم أو كناية عن مقدار هذه المرأة التى هى كالشمس حتى طلب منها ما لا يصل اليه

(الساقط سقوط الذباب على الشراب)

الذباب فى اللغة يقع على هذا المعروف من الحشرات وعلى النحل والزنابير ونحوهما قال الجاحظ من الدليل على ان أجناس النحل والزنابير وما أشبهها كلها ذباب ما جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كل ذباب فى النار الا النحلة وقال الشاعر

فهذا أوان العرض حى ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

والذباب ههنا هو المعروف وسمي ذباب العين ذبابا للشبه به أو لتطاير شعاعه طيران الذباب وبه يضرب المثل في الوقوع على الشراب فيقال أوقع من ذباب على شراب و (الشراب) كل مائع متناول للشرب وغرض الذباب ما حلا والشره عليه يقع على كل مائع سواء كان حلوا أو غيره * وفي كتاب كليله ودمنه من لم يرض بما يكفيه كان كالذباب الذي لا يرضى حتى يطلب الماء السائل من آذان الفيلة فتضربه بآذانها فتقتله

(المتهافت تهافت الفراش في الشهاب)

(التهافت) الترامي مع خفة وطيران يقال منه هفت وتهافت ومنه قولهم وردت هفية من الناس للذين أقحمتهم السنة و (الفراش) نوع من الذباب رقيق الجسد ومنه قيل لكل عظم رقيق فراشة وقيل فراشة القفل لرقتها أو لشبهها بالفراش الطائر وأما قول ذي الرمة

فأيقن أن النقع صارت نطافه * فراشا وأن البقل ذاو ويابس

فقد قيل ب النقع وهو الموضع الذي يجتمع فيه نقر الماء صار فراشا أي ماء رقيقا وقيل المراد أن نطف الماء صارت فراشا طائرا فربما تولد الفراش من الماء (والشهاب الشعلة من النار ومن ذلك قيل للسواد المختلط بالبياض شهبة تشبيها بالسواد المختلط بالدخان والفراش معروف بالقاء نفسه في النار ولذلك قيل في المثل ما هم الا فراش طامع والفلاسفة تزعم أن الحيوان تجذبه النورية كالفراش الطائر بالليل وما لطف جسمه يطرح نفسه في النار فيحترق وغير ذلك مما يصاد في الليل بالشهاب من الغزلان والوحش والطير والسمك اذا قرب منها السراج في الزوارق ويزعمون ان النور صلاح هذا العالم ومعنى هذا السجع ان المكتوب اليه من جهله وتعرضه لما يؤذيه بمنزلة الفراش والذباب الواقع فيما يهلكه من غير اشعار أنه هالك

النطاف جمع نطفة وهي الماء الصافي والذاوي الذابل

(فان العجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب)

(قوله فان) صلة لقوله اما بعد ولا بد من اقتضائها الفاء لرد الكلام بعضه على بعض و (العجب) ما يعجب الانسان من نفسه أي يستحسنه والاصل العجب كانه يتعجب من حسن ما يجده و (الكذب) ضد الصدق يقال في المقال والفعال وينسب أيضا الى نفس القول والفعل فيقال فعلة صادقة وفعلة

كاذبة ومعنى المثل أن المعجب من نفسه بحالة يظن أنه قد بلغ بها الغاية وامتاز بالفضل وليس الامر كذلك فكأن عجبه بنفسه خيل له ما لا صحة فيه فكذبه و(المعرفة) ادراك الشئ بتدبر لاثره وهو أخص من العلم فيقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله متعدا الى مفعول واحد لما كان معرفة البشر لله تعالى هي بتدبر آثاره دون ادراك ذاته و يقال الله يعلم كذا ولا يقال الله يعرف كذا لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل اليه بتفكر وأصله من عرفت كذا أي أصبت عرفه أي رائحته والمعنى أن معرفة الانسان مقداره حتى لا يتعدى أطواره أصوب وهو مما يؤيد قوله العجب اكذب * وهذان مثلان جيدان الاول ينسب الى اكثم بن صيفي والثاني مأخوذ من قوله لن يهلك امرؤ عرف قدر نفسه وهو اكثم بن صيفي بن رباح التميمي أشهر حكام العرب في الجاهلية وحكمائهم وخطبائهم أدرك مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وراسله واختلف في اسلامه والاكثر على صحته حكى الهيثمي أن اكثم بن صيفي لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لقومه احملوني اليه فقالوا لا والله وأنت سن من أسنان العرب قال فليأته أحدكم فليسأله عن ربه وعما أمره به فأتى حبيش بن اكثم فقال يا محمد بم بعثك ربك قال بعثني بأن اكسر الاوثان قال بم أمرك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية فانصرف حبيش الى أبيه فأخبره بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا عليه الآية الشريفة فجعل يرددها و يقول ان هذا الرب كريم يأمر بمحاسن الاخلاق و ينهى عن مساويها ثم جمع اليه بني تميم وقام فيهم خطيبا وعمره اذ ذاك مائة وتسعون سنة وفي ذلك يقول

وان امرأ قد عاش تسعين حجة * الى مائة لم يسأم العيش جاهل

و يروى لخمس فلم يسأم على أن عمره خمس وتسعون سنة وهو الاقرب ثم قال يا بني تميم لا تحضروا لي سفيها فان السفيه يوهن من فوقه ويثبط من دونه أي يهلكه ولا خير فيمن لا عقل له اني قد شاهد هذا الرجل الذي ظهر بمكة وشافهه وهو يأمر بمحاسن الاخلاق و يدعو الى توحيد الله عز وجل وخلع الاوثان وقد عرف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو اليه وان أحق الناس بمعاونته لانتم فان كان الذي يدعو اليه حقا فهو لكم وان كان باطلا كنتم أحق

اكثم بن صيفي

من كتم وستر وقد سمعت أسقف نجران يذكره ويترجى أن يكون له فسمى ابنه محمدا فكونوا فى أمره أولا ولا تكونوا آخرا وائتوه طائعين قبل أن تأتوه كارهين والله ان هذا الذى يدعوا اليه لو لم يكن دينا لكان فى أخلاق العرب حسنا فأطيعوا أمرى فمن سبق فاز ومن تأخر ندم فقام مالك بن نويرة وقال لقد خرف شيخكم فلا تتعرضوا للبلاء فقال أكثم ويل للشجى من الخلى لهفى على أمر لم أدركه ولم يسبقنى ثم رحل الى النبى صلى الله عليه وسلم فمات فى الطريق وبعث باسلامه مع من أسلم ممن كان معه وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية وهى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله نزلت فى أكثم ومن تبعه من أصحابه وقال قوم آخرون خرج مهاجرا ولم يسلم وكان من أفصح خطباء العرب وجمع من كلامه شئ كثير ومما صح من أمثاله على ما رواه ابن دريد عن أبى حاتم قوله يا بنى تميم لا يفوتنكم وعظى ان فاتكم الدهر بى يا بنى تميم ان مصارع الالباب تحت ظلال المطامع ومن سلك الجد أمن من العثار ولن يعدم الحسود أن يتعب فكره ولا يجدا وزضره نفسه والسكوت عن الاحمق جوابه * ومن أمثاله أشبع جارك وأجع فارك يعنى لا تدخر شيأ يأكله الفار أو يعنى بالفار الفضل فى الجسد أى لا تسمن وجارك جائع * ومن أمثاله أيضا لا تهرف بما لا تعرف * وسئل ما الحزم فقال سوء الظن بالناس وأقواله كثيرة وقلما عرف له نظم

لا يفوتنكم كذا فى نسخ الاصول باثبات الواو ولعله مبنى على أن الجازم يحذف الضمة المقدرة وان كان قليلا فى كلامهم أولعل لا نافية وان خالف الظاهر فتح الله

(وانك راسلتنى مستهديا من صلتى ما صفرت منه أيدى أمثالك)

(الصلة) قرب الشئ وبلوغه ويستعمل فى الاعيان والمعانى ومنه سميت العطية صلة وقيل فلان متصل بفلان اذا كانت بينهما نسبة أو مصاهرة والصلة ههنا تحتمل الوجهين اما المودة وتقوم مقام العطاء أو القرب ويقوم مقام الاتصال (وصفر) الاناء اذا خلا حتى يسمع له صفير لخلوه ثم صار متعارفا فى كل خال من الآنية وغيرها ويقال صفرت اليد اذا خلت وسمى خلو العروق من الغذاء صفرا وكانت العرب تزعم أن ذلك حية فى البطن تسمى الصفر حتى جاء فى الحديث لا صفر والمعنى انك تتعرض من صلتى لما تخلو منه يد مرادك

(متصديا من خلتى لما قرعت دونه أنوف أشكالك)

(التصدى) المقابلة مأخوذ من مقابلة الصدى أى الصوت الراجع من الجبل

(والخلة) المودة اما لانها تتخلل النفس أى تتوسطها فان الخلل الفرجة بين الشيئين واما الفرط الحاجة اليها ويقال خاللته مخاللة فهو خليل وسمى الله تعالى نبيه ابراهيم خليلا لافتقاره الى ربه تعالى (والقرع) صوت ضرب شئ على شئ والمعنى انك تخطب من مودتى مالا يصلح له أمثالك وأشكالك فدفعوا عنه وضربت أنوفهم دونه اما حقيقة أو مجازا لكون أنهم ردوا فحصل لهم من الهوان ما يحصل لمن يضرب أنفه وخص الانف بالضرب لانه محل الشمم والكبر مع أن المثل للعرب يخاطب به الخاطب الكفؤ فيقول هو الفحل لا يقرع انفه والاصل فى الابل اذا ضرب وجهه عن الناقة التى لا يريدون نتاجها منه وتمثل به أبو سفيان بن حرب حين بلغه زواج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته أم حبيبة فقال ذلك الفحل لا يقرع انفه

(مرسلا خليلتك مرتاده مستعملا عشيقتك قواده)

(خليلتك) صاحبة مودتك أو حليلتك زوجتك وفى كلا المعنيين ذم للرسل لان الخليلة أو الحليلة التى هى محل الغيرة على الرجل لا تغار على مثله حتى تمشى بينه وبين النساء (والمرتاد) طالب الكلا وسمى به الطالب مطلقا وأصل الرود التردد فى طلب الشئ برفق وباعتبار الرفق قيل رادت المرأة فى مشيتها تهى رود (وقاد) الشئ فانقاد له أى خضع وقود شدد للكثرة واستعمل فيمن يجمع بين اشخاص حراما لانه أصعب للانقياد وكانت القوادة فى العرب تكنى أم حكيم ولما قال ابن أبى ربيعة فى وصف القوادة

فأتتها طبة عارفة * تخلط الجد مرارا باللعب
تغلظ القول اذا لانت لها * وتراخى عند سورات الغضب

قال له ابن أبى عتيق يا ابن أخى ان الناس لمحتاجون الى خليفة مثل قوادتك ليسوسهم ومنه كان يقال فى المثل أقود من ظلمة قيل انها امرأة كانت تقول اذا مت فأحرقونى وتربوا برمادى الكتب المرسلة بين المتعاشقين فانهم يجتمعون وقيل انها الظلمة من الليل فانها تستر وتعين على الاجتماع وأنشد بعضهم

فالشمس نمامة والليل قواد

(كادبا نفسك انك ستنزل عنها الى وتخلف بعدها على)

يعنى انك وعدت نفسك أن تترك الاتصال بهذه المرأة التى هى خليلتك

قوله لكون انهم كذا فى الاصول والمألوف لكونهم بالاضافة للضمير والا فيتعين تمام الكون لتستقيم اضافته للصدر المنسبك اذ لا دليل على الخبر فيحذف الا بتكاف تأمل
مصححه

قوله الكلا كذا فى الاصل بالقصر والمعروف فى اللغة همزه وهو الحشيش رطبا أو يابسا

وتعوّض عنها بحصولى وهذا أمر لا يقع فأنت كاذب نفسك فى الوعد أو وعدت هذه المرأة التى هى عندك بمنزلة نفسك فى الوعد انك اذا ظفرت بى تركتها وأطلقت سراحها الرغبتها فى البعد عنك فهى تسعى فى هذا الامر سعى المجتهد وهذا أمر لا يتم فقد كذبتها فيما وعدت (والخلف) ما جاء بعد الشئ ومنه سمى الخليفة ويقال بالتحريك للمدح مثل خلف صالح وبالسكون للذم كجلد الاجرب

(ولست بأوّل ذى همة دعته لما ليس بالنائل)

هذا البيت للمتنبى وحسن التمثيل به ههنا لمطابقة المعنى فى طلب مالا يوجد لاسيما اذا التصحيف أريد بلام النائل فان ذلك فى هذا الموضع يكون عجيبا وكثيرا ما يعتمد أهل الظرف شبيه ذلك فى مكاتباتهم * وحيث أفضى القول الى ذكر المتنبى فلا بأس بذكر نبذة من أخباره فأما أشعاره فقد ملأت الاقطار لكنى أقتصر منها على ذكر القصيدة التى منها هذا البيت وكذلك أعتمد فى كل ما يمر من شعره فى هذه الرسالة وهو أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفى ويكنى أبا الطيب ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة وقيل ان أباه كان يسمى عبدان وهو رجل يسقى الماء على جمل له بالكوفة ونشأ أبو الطيب مشتغلا بالادب راغبا فيه مع فقره واحتياجه وكان من أذكى الناس وأسرعهم حفظا (حكى) انه جلس يوما بالوراقين فى أيام صباه فاستعرض من أحد الدلالين دفترا فيه أكثر من عشرين ورقة فأطال تأمله الى أن قال له الدلال ان كنت تريد شراءه فعجل الثمن وان كنت تريد حفظه فهذا يكون فى شهر فقال ان كنت حفظته آخذه بغير ثمن قال نعم فشرع يسرده عليه حفظا الى أن أتمه ووضعه فى كمه وانصرف ثم نظم الشعر واسترزق به وطاف البلاد وكان يقنع من الجائزة بأيسر شئ ثم نزل باللاذقية على معاذ بن اسمعيل فأكرمه وأحسن اليه وأقام عنده مدة ثم خرج الى بادية السماوة فنزل بقوم من بنى عبس فتنبأ وعمل أسجاعا كثيرة وتبعه قوم منهم وكان سبب ذلك وقائع نادرة منها أن قوما قالوا له ان ههنا ناقة صعبة فان ركبتها علمنا انك مرسل فتحيل يوما الى أن ركبها فنفرت ساعة ثم سكنت وورد الحى وهو راكبها * ومنها انه كان مستخفيا فراح ليلة هو ورجل فنبح عليهما كلب فلما ذهبا قال للرجل انك ستجد الكلب ميتا اذا رجعت فوجده كذلك وقيل كان يعرف نوعا من السحر يسمى

قوله التصحيف الخ أى بقلب اللام كافا

ترجمة المتنبى

صدحة المطرو ذلك أن الشخص يدير حوله بعصا ويذكر كلاما فيصرف عن موضعه المطر وذكر أن كثيرا من العرب باليمن من أهل حضرموت والسكون يعرفون هذه الصدحة حتى ان أحدهم يصدح عن ابله و بقره وعن القرية من القرى فلا يصيبها من المطر قطرة ومما يدل على ان المتنبي كان من السكون قوله أمنسي السكون وحضرموتا * ووالدتي وكندة والسبيعا مع انه كان يخفي نسبه فاذا سئل عنه قال أنا رجل أخبط القبائل ولا آمن أن يكون لاحد ثار في قبيلتي فيقتلني ثم ان بعض الولاة ظفر بالمتنبي وحبسه فتاب ورجع عما ادعاه من النبوة وقيل له يوما على من تنبأت قال على السفلة قيل ان لكل نبي معجزة فما معجزتك قال قولي

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

ثم تقلبت به الاحوال و وصل الى سيف الدولة على بن حمدان بحلب فأقبل عليه وحظته السعادة واشتهر ذكره في الآفاق ورزق من الحظ والنعمة والسعة ما الامزيد عليه ثم اتفق بينه و بين ابن خالويه كلام بحضرة سيف الدولة فضربه ابن خالويه بمفتاح فخرج غضبان و رحل الى مصر فاتصل بمتوليها كافور الاخشيدي فطمع منه بالولايات فلم يتهيأ له ذلك ورحل في البرية الى العراق فأقام بها أياما وسئل عن ذلك فقيل أن بني حمدان كدروا خاطري فجئت أريحه ويقال أن هذا من الكلام الموجه في مدح الجهتين وذمهما ثم رحل الى العجم فمدح عضد الدولة وابن العميد وكسب أموالا جزيلة ورجع فقتل في الطريق سنة أربعة وخمسين وثلثمائة وكان رحمه الله قد انفرد بخصال منها الكبر الزائد كما ذكره الحاتمي وغيره وكما أحوجه الى فراق سيف الدولة * ومنها البخل حتى حكى انه أجيز على قصيدة بعشرة آلاف درهم فوزنها ووضعها في كيس وختمه ورفعه الى صندوق في خزانة ثم رجع الى مجلسه فوجد بين الحصير قطعة تكون مقدار ربع درهم فعالجها بأظافيره وهو ينشد قول ابن الحطيم

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

الى أن أخذها فأعاد الكيس ووضعها فيه بحضرة جماعة يعرف أنهم يذمونه بذلك * ومنها اقبال الناس على شعره واشتغالهم به حتى ترك شعر غيره ووضع

لشعره أكثر من أربعين تصنيفا وكان اذا سئل عن معنى من قوله قال اذهبوا الى ابن جنى فانه يقول لكم ما أردته وما لا أردته * ومنها معرفته بلغة العرب وحوشيها حتى حكى أن أبا على الفارسى الدارينى قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال حجلى وظربى قال أبو على فطالعت الكتب ثلاث ليال على انى أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجده وكان يرمى بفساد عقيدته استخرج ذلك من شعره مثل قوله على مذهب السوفسطائية

هون على بصر ما شق منظره * فانما يقظات العين كالحلم

وقوله على مذهب القائلين بالنفس الناطقة

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم * الا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تسلم نفس المرء باقية * وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

وقوله على مذهب المواثية وأصحاب القضاء

تبخل أيدينا بأرواحنا * على زمان هن من كسبه
وهذه الأرواح من جوه * وهذه الاجسام من تربه

وغير ذلك من المكفرات ظاهر المحتج فيها باطنا وعلى الجملة فكان كثير المحاسن والحساد وله أشعار لم تدخل فى ديوانه مثل قوله

وتركت مدحى للوصى تعمدا * اذ كان نورا مستطيلا شاملا
واذا استطال الشئ قام بنفسه * وصفات نور الشمس تذهب باطلا

وهو شبيه بنفسه ويروى له أيضا نثر لطيف مثل قوله وقد مرض بمصر فعاده بعض أصحابه مرارا ثم انقطع عنه بعد ما شفى وصلتنى وصلك الله معتلا وهجرتنى بلا فان رأيت أن لا تحبب العلة الى ولا تكدر الصحة على فعلت ان شاء الله فأما القصيدة التى منها البيت المذكور بسببه فانه يمدح بها سيف الدولة بن حمدان ويذكر فيها خلاص بعض أقاربه من الاسر وهزيمة بعض الخوارج عليه أولها

الام ما لاعية العاذل * ولا رأى فى الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
وانى لاعشق من عشقكم * نحولى وكل امرئ ناحل
ولو زلتم ثم لم أبككم * بكيت على حبى الزائل

قوله حوشيها كذا فى الاصول بدون ألف بعد الواو والمعروف فى اللغة بالالف وهى مستغرب الكلام وقوله فعلى أى بكسر الفاء وفتح اللام وحجلى واحده حجلة بوزن قصبة الطير المعروف وظربى واحده ظربان بكسر فسكون على صيغة المثنى وهى دويبة تشبه الكلب القصير الصينى منتنة الريح جدا والسوفسطائية كلمة يونانية معناها الكلام المزخرف والعلم المموه وهم من يقدح فى المحسوسات وتفرقوا فى ذلك فرقا شتى يطول ذكرها واشجب الهلاك (حزن)

يعني انى أحب الحب لاجلكم أو انى ألفته لطول صحبته فلو زال بكيته

كأن الجفون على مقلتى * ثياب شققن على ثاكل

ولو كنت فى أسر غير الهوى * ضمنت ضمان أبى وائل

يعني لو أسرنى غير الهوى لخلصت منه كما خلص أبو وائل وهو قريب سيف الدولة وكان مأسورا فى بنى كليب عند الخارجى الذى خرج بهم على سيف الدولة وكان أبو وائل قد ضمن له فداء نفسه بذهب وخيل واستدعى سيف الدولة سرا لخرج ومرّ بهم واستنقذه بغير فداء فذكر أبو الطيب صورة الحال

فدى نفسه بضمان النضار * وأعطى صدور القنا الذابل

ومناهم الخيل مجنوبة * فجئن بكل فتى باسل

فكان خلاص أبى وائل * معاودة القمر الآفل

دعا فسمعت وكم ساكت * على البعد عندك كالقائل

(ومنها) وجدتم امام على ناقة * صحيح الامامة فى الباطل

فأقبلن يحزن قدامه * نوافر كالنحل والعاسل

فلما بدون لاصحابه * رأت أسدها آكلة الآكل

بضرب يعمهم جائر * له فيهم قسمة العادل

يعنى بالجور افراطه فى قتلهم وبالعدل ثلاثة أوجه أحدها أنهم مستحقون لذلك لخروجهم والثانى انه وقع ذلك لمن بالغ منهم فى القتال والثالث أن الضربة كانت تقسم الفارس نصفين

بنصل يخضب منها اللحى * فتى لا يعيد على الناصل

قال ابن وكيع يعنى أن كل خضاب ينصل الا خضاب هذه القتلى الذى هو الدم فانه لا ينصل فيعيده لانهم فارقوا الحياة وما ينصل غير خضاب اللحى وقال بعضهم وهو وجه بعيد الناصل المضروب بالنصل وهو فاعل بمعنى مفعول كقولك ناقة ضارب وعيشة راضية يريد أنه اذا ضرب انسانا بالنصل لم يبق فيه ما يحتاج الى اعادة ضربه

خذوا ما أتاكم به واعذروا * فان الغنيمة فى العاجل

يعنى أن هذا بدل الفداء يتهكم بهم

وان كان أعجبكم عامكم * فعودوا الى حمص فى قابل

فان الحسام الخضيب الذى * قتلتم به فى يد القاتل

(ومنها)

تركت جاجهم فى النقا * وما يحصلن للنا خل

(ومنها)

وعدت الى حاب ظافرا * كعود الحلى الى العاطل

(ومنها)

وكم لك من خبر شائع * له شبه الابلق الجائل

(ومنها)

فهناك النصر معطيكه * وأرضاه سعيك فى الآجل

فذى الدار أخون من مومس وأخدع من كفة الحابل

تفانى الرجال على حبها * ولا يحصلون على طائل

(ولا شك انها قلتك اذ لم تضن بك وملتك اذ لم تعز عليك)

يعنى أبغضتك لانها لم تبخل بك على من تحبه دونها (والقلى) شدة البغض يقال قلاه يقليه ويقلوه فمن جعله من الواوى فهو من الفلو أى الرمى يقال قلت الناقة براكبها قلوا وقلوت بالقلة مكان القلو الذى يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله ومن جعله من اليائى فمن قليت السويق وغيره على المقلاة وفى الحديث اخبر تقله والهاء للسكت (والضن) البخل بالشئ النفيس ولهذا قيل علق مضنة ومنه قوله تعالى وما هو على الغيب بضنين أى بخيل على ما يوحى اليه وقرئ بظنين أى متهم والامر كذلك على كل من المعنيين

(فانها أعذرت فى السفارة لك وما قصرت فى النيابة عنك)

يعنى بالغت عذر الاجتهاد لك فى الصلح بيني وبينك يقال أعذر الانسان اذا اتى ما صار به معذورا واعذر من أنذر (والسفارة) المشى فى الصلح وكأنها كشفت ما غم من الحال بين المتباينين أى سفرت ومنه قيل السفر لانه يكشف الاخلاق والاصل من سفر الصبح اذا أضاء

(زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه)

(المروءة) كمال المرء كما ان الرجولية كمال الرجل والانسانية تمام الانسان و(اللفظ) مستعار من لفظ الشئ من الفم اذا طرحه ولفظت الرحا الدقيق

الموس المرأة الفاجرة ويقال مومسة أيضا والحابل الصائد بالحبالة وهى الشرك (جزء)

(والمعنى) نفس الكلام وسره وكانه مأخوذ من معاناة المرء اطلاعه على فحوى الكلام ولاهل البيان والمتكلمين فى تمثيل الالفاظ والمعانى فصول مستحسنة قال القوشى الفيلسوف الالفاظ من أمة الحس والمعانى من أمة العقل والحس تابع للعقل والطبيعة وقال آخر مما حكاه ابن رشيق المعنى مثال واللفظ حذو والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبت بثباته وقال آخر اللفظ جسم والمعنى روح وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فاذا سلم المعنى واختل اللفظ كان نقصا فى الكلام كما يعرض لبعض الاجسام من العور والعرج وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح وكذلك ان ضعف المعنى وأجيد لفظه كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذى يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والارواح فان اختل المعنى كله وفسد بقى اللفظ مواتا لا فائدة فيه وان كان حسن الطلاوة فى السمع كما ان الميت لا ينقص من شخصه شئ فى رأى العين الا انه ميت لا ينتفع به وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى لانا لم نجد روحا فى غير جسم البتة

الادواء جمع داء

(والانسانية اسم أنت جسمه وهيولاه)

(الانسانية) تمام الانسان كما تقدم ومما عبر به أبو زرعة البغدادى من كلام ارسطاطاليس قوله الانسانية أفق والانسان متحرك الى أفقه بالطبع دائر على مركزه الا أن يكون مخلوطا باخلاق بهيمية ومن رفع عصاه عن نفسه وسيب هواه فى مرعاه وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الرديئة فقد خرج من أفقه وصار أذل من البهيمة لسوء ايثاره (والاسم) ما عرف به الشئ وأصله من السمو وبه رفع ذكر المسمى فعرف وسيأتى ذكره عند الفصل بين الاسم والمسمى و(الجسم) يقال لكل ذى طول وعرض وعمق ولما لا يثبت له لون كالماء والهواء ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجزاء وان قطع وجزئ وهو أعم من الجسد لان الجسد لا يقال لما لا لون له (والهيولى) المادة المدبرة للصورة وهى أصل الشئ كالفضة فى الدرهم وكان ارسطاطاليس يسمى صاحب الهيولى وذلك أن مذهبه فى الدهر أن أصل العالم قديم غير أنه لم يكن

من

من طينة ولا كان شئ مما نسميه العرض وللحكماء فى تحقيقها كلام طويل لا يسع هذا المحل ذكره

(قاطعة انك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال)
(واستعليت فى مراتب الجلال واستوليت على محاسن الخلال)

(قطعت) الامر اذا فصلته عن الشك ومنه الدليل القاطع والقطع الفصل فيما يدرك بالابصار كالاجسام وفيما يدرك بالبصيرة كالامور العقلية (والكمال) حصول غايات الغرض فى الشئ محسوسا أو معقولا وقوله تعالى ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ليس للاعلام بأن الثلاثة والسبعة عشرة وانما ليبين أن بحصول صيام العشرة يحصل كمال الصوم القائم مقام الهدى (والخلال) جمع خلة وهى الطريقة الحسنة مأخوذ من الخلة وهى الطريق فى الرمل وفى قوله استعليت واستوليت والجلال والخلال أنواع من الصناعات اللفظية من ترصيع وتجنيس ليس الغرض ذكرها

(حتى خيلت أن يوسف (عليه السلام) حاسنك فغضضت منه)

يعنى باراك فى الحسن فأخجلته وأصل الغض النقصان فى الطرف ويستعار لما سواه وبدأ بذكر الحسن فيما سرده من تواريخ ذوى الاوصاف الشريفة لانه أول ما يعجب المرأة من الرجل ثم ذكر المال والهمم والعلوم ونحو ذلك * والمراد ههنا يوسف عليه السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ذالك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم وبه ضرب المثل فى الحسن ويستدل على حسنه بكتاب الله تعالى والحديث والآثار فمن الكتاب قوله عز وجل فى ذكر امرأة العزيز والنسوة اللاتى لمنها على حبه وأعتدت لهن متكأ الى آخر الآية قال المفسرون المتكأ النمرق الذى يتكأ عليه وقيل المتكأ هو الطعام والاصل فيه أن من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسادة فسمى الطعام متكأ على الاستعارة وقيل متكأ طعاما محتاج الى أن يقطع بالسكين لان الطعام اذا كان كذلك احتاج الانسان الى أن يتكئ عند القطع وقيل المتكأ الاترج وهو شاذ أنكره أبو عبيدة وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه قيل عظمنه ورأينه كبيرا عظيما فى انفسهن وقيل حضن والهاء للسكت مثل انه بمعنى ان وهو قول شاذ

ترجمة يوسف عليه السلام

ولا يعرف في اللغة الا كار بمعنى الحيض الا أن تكون الصغيرة بالحيض تدخل في معنى الكبيرة ولا في الطب أن المرأة تحيض اذا رأت ما يروعها الا أن تكون حاملا فيحصل لها اسقاط فتحيض والقول الاول من أن معنى الاكبار التعظيم أصح وأحسن وقطعن أيديهن كناية عن الدهش والحيرة امّا أنها دهشت فكانت تقطع في يديها وهي تظنّ أنها تقطع في الفاكهة أو الطعام واما أنها تناولت السكين من موضع النصل وهي تظنّ أنها من موضع النصاب فتجرح يدها والالتذاذ بالنظر منعها من وجود الألم وفي هذا من الكناية عن الحسن ما لا مزيد عليه وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم المقصود اثبات الحسن لانه تعالى ركب في الطباع أن لا شئ أحسن من الملك وقد عاين ذلك قوم لوط في ضيف ابراهيم من الملائكة كما ركب في الطباع أن لا شئ أقبح من الشيطان وكذلك قوله تعالى في صفة جهنم طلعها كأنه رؤس الشياطين فكما تقرّر في الطباع أن أقبح الاشياء هو الشيطان فقد تقرر أن أحسن الاشياء هو الملك فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن شبهنه بالملك وأما الحديث فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مررت بيوسف في الليلة التي عرج بي فيها الى السماء فقلت لجبريل من هذا قال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته فقال كالقمر ليلة البدر ومن الآثار قولهم انه كان اذا مشى في أزقة مصر يتلألأ نور وجهه على الجدران كما يتلألأ نور الشمس من الماء عليها وقولهم انه ورث الحسن من جدّته سارة التي همّ الملك بأخذها من ابراهيم وزادوا عليها وقصتها مشهورة ويروى أنه عاش مائة سنة وتوفي بمصر ودفن في نهر الفيوم الذي أحكم صنعته البديعة ومن كلامه قيل له ما صنع بك اخوتك فقال لا تسألوني عن صنيع اخوتي واسألوني عن صنيع ربي ودعا لاهل السجن فقال اللهم عطف عليهم الاخيار ولا تخف عنهم الاخبار فيقال انهم أعرف الناس بما يتجدّد من الاخبار في البلدان والله أعلم

(وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه)

ترجمة زليخا امرأة العزيز

(امرأة العزيز) زليخا المشغوفة بحب يوسف صار الحب شغافا لقلبها والشغاف جلدة رقيقة محيطة بالقلب وقرئ شعفها بالعين والشعاف أعالي الجبال كأنّ الحب بلغ أعلى قلبها وما كانت تسلو مع ذلك الحب الا بأضعاف ذلك الحسن

ومن كلامها حين دخلت على يوسف بعد أن ملك مصر واحتاجت اليه
سبحان من جعل العبيد ملوكا بالطاعة وجعل الملوك عبيدا بالمعصية

(وان قارون أصاب بعض ما كنزت)

ترجمة قارون

(قارون) هو المذكور في الكتاب العزيز قال بعض المفسرين اختلف في نسبه فقيل كان ابن عم موسى عليه السلام لان موسى بن عمران بن قاهث وقارون ابن يصهر بن قاهث وقيل كان ابن خالته وهو أول من ضرب به المثل في كثرة المال وفي قوله تعالى كان من قوم موسى دليل على ايمانه وقرابته وكان من أحسن الناس وجها وقراءة للتوراة ويسمى المنوّر لحسنه وقيل انه كان من السبعين المختارة قال الله تعالى وآتيناه من الكنوز الكنز يطلق على ما يجمع من المال سواء كان في باطن الارض أو ظاهرها ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أي تنوء بها العصبة تتكلف بها النهوض وهذا من القلب المستعمل في كلام العرب مثل دخل الرأس الظل وعرضت الدابة على الحوض واختلف في المفاتح فقيل مفاتح أبواب الخزائن وكانت وقر ستين بغلا وهو قول واه وقيل المفاتح الخزائن نفسها وقد يسمى الشيء باسمه وقيل المفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب يعنون أنه أوتي من الكنوز ما ان حفظه والاطلاع عليه ليثقل على العصبة أولى القوّة أي يعجزون عن حسابها وحفظها لكثرة صنوفها قال انما أوتيته على علم عندي أي على خير وصلاح علمه الله مني وقيل على علم بالمكاسب والتجارات وقيل على علم الكيمياء وكان الزجاج يقول هذا قول لا أصل له فان الكيمياء باطلة ولا حقيقة لها فخرج على قومه في زينته قيل خرج راكبا بغلة شهباء بسرج من ذهب ومعه سبعمائة وصيفة على بغال شهب عليهن الحلي والحلل والزينة فكاد يفتن بني اسرائيل ثم بغى وتكبر حتى أهلكه الله * واختلف في سبب بغيه وهلاكه فقيل انه كان قد حسد هارون على الحبورة وذلك أن موسى عليه السلام لما قطع البحر وأغرق الله فرعون جعل الحبورة لهارون فحصلت له النبوّة والحبورة وهي القربان تأتي بنو اسرائيل بهداياهم الى هرون فيضعها في المذبح فتنزل نار فتأكلها وكان لموسى الرسالة فوجد قارون من ذلك في نفسه وقال يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شئ لا أصبر على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك لهرون

بل جعله الله له فقال والله لا أصدقك أبدا حتى تأتيني بآية فأمر موسى رؤساء بني اسرائيل أن يجيء كل رجل منهم بعصاه فجاؤا بها فألقاها موسى عليه السلام في قبة له وكان ذلك بأمر الله تعالى ودعا موسى أن يريهم الله بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحت عصا هارون تهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون أما ترى صنع الله تعالى لهارون فقال والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر ثم اعتزل بمن معه من بني اسرائيل وكان كثير المال والتبع فدعا عليه موسى وقيل انه لما نزلت آية الزكاة على موسى جاء موسى اليه وصالحه على كل ألف دينار دينار وألف شاة شاة وعلى هذا الاسلوب فحسب ذلك فوجده مالا عظيما فجمع قومه من بني اسرائيل وقال ان موسى يأمركم بكل شئ فتطيعونه وهو الآن يريد أخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال علي بفلانة البغي فأعطاها مائة دينار وأمرها أن تقذف موسى بنفسها وجاء الى موسى وقال ان قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم فخرج فقام فيهم خطيبا فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنى جلدناه فان كانت له امرأة رجمناه فصاح به قارون وقال له وان كنت أنت فقال نعم قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي فقال علي بها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت ما يقول هذا فقالت لا والله يا نبي الله وانما جعل لي جعلا حتى أقذفك بنفسي فسجد موسى يبكي ويتضرع فأوحى الله اليه مر الارض بما تشتهيه فقال يا أرض خذيه يعني قارون فأخذته حتى غيبت بعضه ثم لم يزل يقول خذيه وهو يغيب حتى لم يبق من جسده الا القليل وهو يتضرع الى موسى ويسأله وهو يقول خذيه الى أن غاب وقال ابن الجوزي وهو يناشده الرحم فما رحم فأوحى الله الى موسى ما أقطعك وعزتي لو استغاث بي لأغثته قيل ولما خسف به قال بعض الجهال من بني اسرائيل انما قصد موسى أخذ داره وكانت مبنية بالذهب والفضة فسأل الله فخسف بداره وقيل أراد بداره منزله والعرب تسمي المنزل دارا هذا قول من زعم أنهم كانوا في التيه اذ ليس ثم دور والقول الآخر قول من زعم أن الواقعة كانت بمصر والله أعلم

(والنطف عثر على فضل ماركزت)

(الفضل)

(الفضل) ههنا بقية الشئ و (الركز) والركاز دفين مال الجاهلية وفى الحديث فى الركاز الخمس (والنطف) رجل من العرب أصاب مالا فضرب به المثل واختلفت الاقوال فيه فبعض من لا يعرف حقيقة أمره يقول هو رجل كان يسقى الماء على ظهره فكان ينطف أى يقطر فسمى النطف ووجد خبيئة من المال فعظم حاله واستغنى بعد فقره وبعضهم يقول النطف الرجل المتهم كان الفقير يجد المال الكثير فيقصد اخفاءه فيتهم ويظهر عليه والصحيح ماذكره البلاذرى أن النطف بن جبير بن حنظلة اليربوعى كان مقيما بالبادية مع بنى تميم وكان باذام عامل كسرى على اليمن يحمل ثيابا من ثياب اليمن وذهبا ومسكا وجوهرا ويرسله الى كسرى مع خفراء من بنى الجعد المرازبة الى أن يصل الى أرض بنى تميم فيبعث معها هوزة من يجاوزها أرض بنى تميم فلما كان فى بعض السنين فى أرض بنى حنظلة تعرض لها بنو يربوع فأغاروا عليها وقتلوا من بها من العرب والاساورة والفرس وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال والحرث بن عقبة والنطف بن جبير وكانوا فرسان بنى تميم فنهبوا الاموال فحصل النطف على شئ كثير من جملته خرجان مملوآن مناطق ذهبا محلاة بالجواهر النفيسة فباعها متفرقة وضرب المثل بما أصابه وقيل انه فرق على الفقراء من عشيرته منذ طلعت الشمس الى أن غابت وفى ذلك يقول بعض ولده

أبى النطف المبارى الشمس انى * عريق فى السماحة والمعالى

ومات النطف حتف أنفه بعد أن جرت بين العرب والفرس بسببه حروب عظيمة

(وكسرى حمل غاشيتك)

(كسرى) اسم الملوك الفرس وقيصر للروم وخاقان للترك وتبع لحمير والنجاشى للحبشة واختلف فى نسب الفرس على أقوال أحدها أنه فارس ابن سام بن نوح وقيل فارس بن افريدون بن اسحق عليه السلام وكان فى العرب من يفتخر بفارس على قحطان والفرس يقولون أنه ابن كيومرت وكيومرت عندهم آدم عليه السلام وانه أول من ملك الفرس وكان منفردا عن العالم وليس فى زمانه ظلم ولا فساد فكثر البغى والظلم فاجتمع اليه حكماء

أهل زمانه وقالوا ان صلاح هذا العالم فى اقامة ملك يورد الامور ويصدرها كما أن صلاح الجسد بالقلب وان العالم الصغير من جنس العالم الكبير لا تستقيم أموره الا برئيس يدبره على ما تقتضيه قضايا العقول فساروا الى فارس بن كيومرت فقالوا أنت أفضلنا وبقية أبينا آدم عليه السلام ولا بدّ من تقديمك علينا وتفويض أمورنا اليك فأخذ عليهم العهود والمواثيق على السمع والطاعة ووضع التاج على رأسه تمييزا له وهو أول من لبسه ثم خطب بالسريانية وهو لسان آدم عليه السلام ويقال لو ترك كل أحد من بنى آدم لتكلم بالسريانية بالطبع فتكلم بكلام معناه الشكر والدعاء والمعونة والهداية وأقام مدة طويلة يدبر الملك وتوفى وملك بعده أوشهنج وملوك الفرس تنسب اليه وللفرس مبالغات عظيمة فى وصف كيومرت ومنهم من يزعم أنه آدم نفسه وانه خلق من الريباس وعاش ألف سنة * وكسرى يقال بفتح الكاف وكسرها وجمع جمعين على غير قياس الاكاسرة والكسور وذلك أن حد الافاعلة أن يكون جمع الافعال مثل اسكاف وأساكفة وأما الكسور فانه جمع بتقدير طرح الالف مثل جذع وجذوع قال الاعشى * انه كان أبا للكسور * والمراد هنا كسرى أنوشروان فانه أشهر ملوك الفرس وأحسنهم سيرة وأخبارا وهو كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز وفى أيامه ولد النبى صلى الله عليه وسلم وقال ولدت فى زمن الملك العادل يعنى كسرى وكان ملكا جليلا محببا للرعايا تام التدبير فتح الامصار العظيمة فى الشرق وأطاعته الملوك وتزوج ابنة خاقان ملك الترك وقتل مردك وأصحابه وذلك أن أباه قباذ قد بايع رجلا زنديقا يسمى مردك أحدث مقالات فى اباحة الفروج والاموال وقال انما الناس فيها سواء وكان لا يسفك الدم ولا يأكل اللحم وانه دخل يوما على قباذ وعنده زوجته أم كسرى وكانت من أحسن النساء وعليها حلى عظيم فأعجبته فقال لقباذ انى أريد أن أنكحها لان فى صلبى نبيا يكون منها فأطاعه قباذ لقوله بمقالته فلما هم مردك بها وكان كسرى صغيرا قبل قدميه وتضرع له فى أن لا يفعل فوهبها له فأول ما ولى كسرى بعد موت أبيه قتل مردك وأصحابه فعظم فى عين الفرس وأحبوه وسلك سيرة ازدشير وتوطدت مملكته وبنى المبانى المشهورة

ترجمة كسرى أنوشروان

منها السور العظيم الباقي الذكر على جبل الفتح عند باب الابواب وأقام الحرس وحسم المادة من فساد من خلفه ومنها المدينة التي سماها باسم رومية ومنها الايوان العظيم الباقي الذكر وليس هو المبتدي لبنيانه وانما المبتدي له سابور وهو الذي رفعه وأتمه وأتقنه حتى صار من عجائب الدنيا وكان انشقاق مثله من المعجزات النبوية والخصائص المحمدية يروى أن الرشيد هرون أراد هدمه فاستشار يحيى بن خالد البرمكي فنهاه وقال في بقائه معجزة باقية فقال الرشيد بل أبيت الا تعصبا لآبائك بني الفرس فأمر بهدمه فصرف على هدم شرافة واحدة مالا كثيرا فكف عنه فقال يحيى أرى الآن أن تهدمه لئلا يتحدث عنك انك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فتغافل عن قوله وتركه (وحكى) عن بعض رسل الملوك انه دخل على كسرى فرأى في الايوان اعوجاجا فسأله عنه فقيل انه بيت لعجوز فقيرة سألها الملك بيعه فامتنعت فأرغبها في مال كثير فلم تفعل فتركها وبني الايوان على ما هو عليه فقال الرسول هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء ويروى أن العجوز بعد بناء الايوان نزلت للملك عن البيت وقالت انما أردت بامتناعي أولا أن يتحدث الناس بعدلك وتكون لك هذه المأثرة الظاهرة ثم صنع كسرى في الايوان سلسلة عظيمة ذات أجراس وجعل لها طرفا خارجا عن القبة وأمر مناديه من كان مظلوما فليحرك السلسلة ليعلم به الملك فيزيل ظلامته قال العسكري وهذا هو الاصل في قول الناس حرك فلان على فلان السلسلة اذا وشى به (وحكى) أنه كان جالسا بالايوان واذا بحية قد دنت من عش حمامة في بعض شقوق الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم أو بندقة فقتلها فقال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا فلما كان بعد أيام جاءت الحمامة بحب في منقارها فألقته اليه فأخذه وقال ازرعوه فزرعوه فنبتت ريحانا لم يكن يعرفونه فقال نعم ما كافأتنا به الحمامة نسأل الله الذي ألهمها أن يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمه وخص كسرى بأشياء لم تكن لغيره من الملوك على ما ذكره كثير من الرواة منها الفيل الابيض لركوبه طوله اثنا عشر ذراعا وقطعة الياقوت المسمى لسان الثور تضيء بالليل أكثر من السراج والفلهيد المغني واضع

العود الخراساني على اثني عشر وترا كل من ضرب به خرج الاهواء وكان يحمل له كل يوم مع طعامه مهر من الخيل وعناق زرقاء مغذاة بلبان النعاج يذبحان بسكين من ذهب ويسجر التنور بالعود ويسمط بالخمر المغلى ويطلى بالمسك والملح ويعلق في سفود من ذهب ونار بجين من ذهب فاذا برد جعل فوضع على خوان من ذهب فيقدم اليه فيأكل أكثره ويتحف بالبقية من أحب من ندمائه ويكسر التنور ويجدد كل يوم مثله واجتمع على بابه سبعون ملكا وله حكايات حسنة مذكورة في سيره فمنها أن عاملا له على ناحية كتب اليه يعلمه بجودة الريع ويستأذنه في الزيادة على الرسم فأمسك عن اجابته فعاوده العامل في ذلك فكتب اليه قد كان في تركي اجابتك عن كتابك ما حسبتك تزجر به عن تكاف ما لم تؤمر به فاذ قد أبيت الا تماديا في سوء الادب فاقطع احدى أذنيك واكفف عما ليس من شأنك فقطع العامل أذنه وسكت عن ذلك الامر ومنها أن رجلا على عهده كان يقول من يشتري ثلاث كلمات بالف دينار فتطير منه الناس الى أن وصل الى كسرى فأحضره وسأله عنها فقال ليس في الناس كلهم خير فقال كسرى هذا صحيح ثم ماذا قال ولا بد منهم قال صدقت ثم ماذا قال فالبسهم على قدر ذلك فقال كسرى قد استوجبت المال فخذه قال لا حاجة لي به وانما أردت أن أدري من يشتري الحكمة بالمال ويروى انه أول من جعل لندمائه أمارة ينصرفون بها من مجلسه اذا أراد انصرافهم وذلك انه كان يمد رجله فيعرفون أنه يريد قيامهم فينصرفون وتبعه الملوك وكان فيروز الاصغر كذلك يحرك عينه وكان بهرام يرفع رأسه الى السماء وكان في الاسلام معاوية يقول العزة لله وعبد الملك بن مروان يلقي المخصرة من يده وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يدعو وحدث بهذا الحديث عند بعض البخلاء وسئل ما أمارته قال اذا قلت يا غلام هات الطعام * ومن كلام كسرى القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كما تحتاج الابدان الى أقواتها من الغذاء ووقع في قصة مرافع ان الملوك اذا دبرت ملكها بمال رعيتها كانت بمنزلة من يعمر سطح بيته بما ينقضه من أساسه وكتب باللؤلؤ على مائدة من الذهب ليهنه طعام من أكله من حله وعاد على ذوي الحاجات

من فضله ما أكلته وأنت مشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لاتشتهيه فقد أكلك وقيل ما أعظم الكنوز قدرا وأنفعها عند الحاجة اليها فقال معروف أودعته عند الاحرار وعلم أورثته الاعقاب وقال احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع

(وقيصر رعى ماشيتك)

(قيصر) اسم لملوك الروم وسموا الروم لانهم ينتسبون الى روم بن العيص ابن اسحق عليه السلام وقيل انهم ينتسبون الى رومية والصحيح الاول لان رومية بنيت بعد ظهورهم بكثير وكان يقال لهما رماس فلما سكنوها نسبت اليهم وقال ابن الكلبي ولد لاسحق ثلاثون ولدا منهم الروم وكان أصفر اللون فقيل لولده بنو الاصفر وقيل أغارت عليهم الحبشة فولدلهم بنات أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفر النساء فنسبوا اليهن وأول من سمي منهم قيصر قيصر بن انطرطس وسمي قيصر لان أمه كانت حاملا به فتعسرت ولادتها فشق بطنها فخرج وكان يفتخر على الناس بأن النساء لم تلده وانما أخرج كرها وسمي قيسر ثم قيل قيصر وصار هذا اللقب سمة لملوك الروم بعده وكان جبارا عاتيا وهو أول من جمع مملكة الروم واليونان وذلك أن أباه انطرطس لما بلغه أن ملوك اليونان قد انقرضوا ولم يبق منهم غير امرأة وهي قيلابطره أرسل اليها يخطبها وكان قد ملك طرفا من أطراف بلادهم حين انقرضوا يقول قصدي أن تصير المملكتان واحدة وأقرب منك لفضلك وعقلك فعلمت أنها مغلوبة معه فأجابته وقالت تقيم في مكانك الى يوم عينته فقامت وأفكرت في حيلة تحتال بها عليه فرأت انها تهلك نفسها وتهلكه معها ولا يتمكن منها فعمدت الى حية تكون في الرمل تضرب الانسان فيهلك في لحظة فجعلتها في اناء من زجاج وزينت قصرها وفرشت مجلسها بالرياحين ولبست تاجها وجلست على سريرها واستدعت به فلما وصل الى باب القصر أخرجت الحية فضربتها فماتت وانسابت الحية في رياحين حولها فدخل انطرطس الى السرير ولم يشك أنها في عافية فجلس الى جانبها فعبث في الرياحين فضربته الحية فمات وكان ابنه مع جيشه فسمع بموتهما فاستولى على بلاد الروم واليونان وكان اذا أراد أن يستشير أحدا

ترجمة قيصر ملك الروم

من عقلاء دوانه أرسل اليه نفقة سنته ليتوفر ذهنه على ما يشير به ومن بعده اختلفت ملوك الروم فتقاسموا البلدان والاطراف الى ظهور الاسلام وقيصر هذا أعظم ملوكهم ومن كلامه ما الحيلة فيما اعيا الا الكف عنه ولا الرأى فيما لا ينال الا اليأس منه

(والاسكندر قتل دارا في طاعتك)

هو الاسكندر بن فيلبش اليونانى واختلف في أصل اليونان فقال ابن الكلبى هو يونان بن بقية ونسبه الى اسحق وقال يعقوب الكندى يونان أخو قحطان من العرب من ولد عابر خرج من اليمن ونزل ديار المغرب وأقام فيها واستعجم لسانه وتكلم بلغة من هنالك من الروم وقال الرقاشى وهو الاشهر أن يونان بن يافث بن نوح وليس من العرب ولا من الروم وانما جاور الروم على ساحل البحر الرومى وكان وسيما حسن العقل كبير الهمة فأقام هناك حتى كثر ولده فخرج يطلب مكانا يسكنه فانتهى الى مدينة بالمغرب يقال لها اقنينة فبنى بها قصورا وأقام وكثر نسله ولما احتضر أوصى الى ولده الاكبر وصية حسنة ثم مات فاستولى ولده على بلاد المغرب من ناحية افرنجة والصقالبة ومن جاورهم ولما ظهر بختنصر على مصر دخل المغرب ووصل الى بلاد اليونان وقرر عليهم أن يؤدوا الخراج الى ملوك فارس واستقر ذلك الى أيام الاسكندر * وأما الاسكندر فاختلف في نسبه فقيل انه الاسكندر بن فيلبش من ولد يونان وهو الاصح وقيل هو الاسكندر ابن الصعب كان أبوه نساجا واسم أمه هيلانة وكان يتيما في حجر وسمعت أمه ببيت الصنائع وهو بيت وضعته اليونان في القسطنطينية وصورت فيه الصنائع لتعرض على الصبيان فمن تاقت نفسه لصنعة اشتغل بها فحملته أمه فشاهد صور الاشياء فوضع يده على تاج الملك فنهته أمه مرارا فلم ينته فنظر اليها متولى بيت الصنائع وقال أنت هيلانة قالت نعم قال وهذا ابنك قالت نعم فقال له أبشر فأنت الملك الذى يصحب ذيله في البلاد وهذا قول مردود لبعد ما بين حجر واليونان ولان القسطنطينية بنيت بعد رفع عيسى عليه السلام بزمان وانما انقرضت دولة اليونان عند ظهور عيسى والصحيح أنه الاسكندر بن فيلبش وسمى ذا القرنين تشبيها بذى القرنين المذكور

ترجمة الاسكندر

في الكتاب العزيز لبلوغ ملكه قرني الشمس من المشرق والمغرب وهو صاحب ارسطاطاليس الحكيم كان أبوه أسلمه اليه فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والادب فنال منه مالم ينل أحد من تلامذته ومرض أبوه فخاف على الملك فاسترده وعهد اليه * وأما دارا فهو دارا الاصغر بن دارا الاكبر بن أزدشير أحد ملوك الفرس العظماء المشهورين كانت له قطيعة على أبي الاسكندر في كل سنة ألف بيضة من الذهب في كل بيضة ألف مثقال على عادة آبائهم فلما ملك الاسكندر أخر ارسال القطيعة فكتب اليه دارا يتهدده ويتوعده حيث أخر الاتاوة وبعث اليه بكرة وصولجان وخرقة فيها سمسم وقال أنت صبي فالعب بهذه الكرة فان أديت الاتاوة والا بعثت اليك بجنود عدد هذا السمسم وأتيت بك في الاوثاق فكتب اليه الاسكندر أما بعد فقد تيمنت بالكرة والصولجان فان الدنيا مثل الكرة وسألعب بها وأضيف ملكك الى ملكي وأما السمسم فقد تيمنت أيضا به لانه بعيد عن الحرافة والمرارة وأما الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض فقد ذبحتها وأكلت لحمها فغضب دارا وسار اليه بجموعه وسار الاسكندر بجموعه والتقيا على نصيبين الجزيرة فلما هم دارا بالقتال بعث اليه الاسكندر يقول له أيها الملك لاتفعل فان دماء الملوك لاتجوز اراقتها وهدم البيوت القديمة غير محمود والبغي ذميم العقبى والحرب غير مأمون العاقبة وأصحابك قد ملوك وكرهوك لسوء سيرتك فارجع فانك تحمد قولي فلم يلتفت اليه دارا وأقاما يتحاربان مدة ثم ان الاسكندر دبر حيلة وهو أنه لما وقع الملل بين الفريقين برز منادي الاسكندر وقال يامعشر الفرس قد علمتم ما كان من مكاتبتكم لنا ومكاتبتنا لكم من الامان وقد طال القتال فمن كان منكم على غير قتال فليعتزل وله الوفاء بالعهد فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا فكان من أسباب خذلان دارا ثم وثب على دارا رجلان من أصحابه فطعناه من خلفه فوقع وكان الاسكندر ينادي من ظفر بدارا فلا يقتله فجاء به الرجلان الى الاسكندر وقالا قد قتلنا دارا فجاء فنزل عن فرسه وقعد عند رأسه وبه رمق فقال والله ماهممت بقتلك ولقد نهيت عنه ولقد يعز على مصابك فاسألني حوائجك فقال تقتل فلانا وفلانا اللذين قتلاني فاني كنت محسنا اليهما

ترجمة دارا ملك الفرس

وتتزوج ابنتي روشنك فقال سمعا وطاعة وأحضر الرجلين فقتلهما وقال هذا جزاء من يتجرأ على ملكه وتفرق ملك فارس ثم سار الاسكندر الى بابل وجلس على سرير دارا واستولى على خزائنه وجواهره وسلاحه وتزوج ابنته روشنك وقيل انها كانت زوجة دارا وهي ابنته ولم يكن في زمانها أحسن منها وقيل ان الاسكندر لم يجتمع بها وقال أخشى أن أكون غلبت دارا فتغلبني روشنك ولما استولى على ملك فارس عرض جيشه وجيش الفرس فكانوا ألف ألف وقيل أكثر وشرع في هدم بيوت النيران وقتل الموابذة وكتب الى أرسطاطاليس يستشيره فيمن بقي من عظماء الفرس بهذا الكتاب أما بعد فان دوائر الاسباب ومواقع الفلك وان كانت أسعدتنا بالامور التي أصبح لنا بها الناس دائنين فانا مضطرون الى حكمتك وغير جاحدين لفضلك والاجتباء لرأيك لما بلونا من جدا ذلك علينا وذقنا من جنى منفعته حتى صار ذلك بتجرعه فينا وترشحه لعقولنا كالغذاء لنا فما ننفك نعول عليه ونستمد منه استمداد الجداول من البحار وقوة الأشكال بالاشكال وقد كان مما سبق الينا من النصر وبلغناه من النكاية في العدو ما يعجز القول عن وصفه والشكر على الانعام به وكان من ذلك أنا جاوزنا أرض الجزيرة وبابل الى أرض فارس فلما نزلنا بأهلها لم يكن الاريثما تلقانا نفران منهم بقتل ملكهم طلبا للحظوة عندنا فأمرنا بصلبهما لتجريهما وقلة وفائهما ثم أمرنا بجمع من هنالك من أبناء ملوكهم وذوي الشرف منهم فرأينا رجالا عظيمة أجسامهم وأحلامهم يدل ما ظهر من رؤيتهم على أن وراءه من قوة بأسهم ما لم يكن معه سبيل الى غلبتهم لولا أن القضاء أدالنا منهم ولم نر بعيدا من الرأي أن نستأصل شأفتهم ونلحقهم بمن مضى من أسلافهم لتسكن بذلك القلوب الى الامن من جرائرهم ورأينا أن لا نعجل ببادرة الرأي في قتلهم دون الاستظهار بمشورتك فيهم فارفع الينا رأيك فيما استشرناك بعد صحته عندك وتقليبه على نظرك على عادة آرائك المسعفة والسلام على أهل السلام فليكن علينا وعلينا فكتب اليه ارسطاطاليس الى الاسكندر المؤيد المهدى له الظفر من أصغر خوله ارسطاطاليس أما بعد فقد تقرر عندي من مقدمات فضل الملك وعن تمييزه وبروزه شأوه وما أدى الى حاسة بصري صورة شخصه ووقع

فى فكرى على تعقب رأيه أيام كنت أودى اليه من تعليمى اياه ما أصبحت قاضيا على نفسى بالحاجة الى تعلمه منه وقد ورد كتاب الملك بما رسم لى فيه وأنا فيما أشير به على الملك حدّ الطاقة معه كالعدم مع الوجود ولكن غير ممتنع من اجابته فأقول ان لكل تربة لا محالة قسما من كل فضيلة وان لفارس قسمتها من النجدة والقوة وانك ان تقتل أشرافهم تخلف الوضعاء منهم وترث سفلتهم منازل عليتهم وتغلب أدنياؤهم على مراتب ذوى أخطارهم ولم تبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم من غلبة السفلة وذل الوجوه واحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من العاية فان نجم منهم ناجم على جندك وأهل بلادك وهمهم ما الاروية فيه ولا منفعة معه فانصرف عن هذا الرأى الى غيره واعمد الى من قبلك من العظماء والاحرار فوزع بينهم مملكتهم وألزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحية واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فان التسمى بالملك لازم لاسمه والمنعقد له بالتاج لا يخضع لغيره ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم وبين صاحبه تدابرا وتغالبا على الملك وتفاخرا بالمال حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك ويعود بذلك حربهم لك حربا بينهم ثم لا يزدادوا فى ذلك بصيرة الا أحدثوا هنا لك استقامة بك فان دنوت منهم كانوا لك وان نأيت عنهم تعززوا بك حتى يذب كل منهم على جاره باسمك وفى ذلك شاغل لهم عنك وأمان لاحداثهم بعدك ولا أمان للدهر وقد أديت للملك ما رأيته حظا وعلىّ حقا والملك ابعد رؤية وأعلى عينا فيما استعان بى عليه والسلام الابدى فليكن على الملك * قال المؤلف ولما ورد كتاب ارسطاطاليس على الاسكندر تأمله وعرف الحق وفرق القوم فى الممالك كما ذكر فسموا ملوك الطوائف وسار الاسكندر الى الشرق فدانت له الملوك و بنى مدينة اصبهان وهراة وسمرقند ولما وصل الى الهند خرج اليه ملكها فى ألف فيل عليها المقاتلة وفى خراطيمها السيوف الهندية فلم تثبت خيل الاسكندر فصنع الاسكندر فيلة من نحاس مجوفة وربط خيله فيها حتى ألفتها وملأها نفطا وكبريتا ثم ألبسها السلاح وجرها على العجل الى ناحية العدو وبينها الرجال فلما نشبت الحرب أمر باشعال النار فى أجوافها فلما اشتعلت نحى الرجال عنها وغشيها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فأحرقت

قوله فان نجم الخ كذا فى النسخ ولعل فى العبارة سقطا اذ قوله فانصرف لا يصلح أن يكون جوابا للشرط تأمل مصححه

الرجال واحترقت فمن سلم ولى هاربا فكانت الدائرة على ملك الهند ولما وصل الاسكندر الى الماتكير وهو من ملوك الصين خرج اليه الملك وأرسل اليه يقول علام تفني العالم أبرز الى فان قتلتني كنت أنت الملك وان قتلتك كنت أنا الملك فتيمن الاسكندر بكونه بدأ بنفسه في ذكر القتل فبرز اليه فقتله الاسكندر ثم توغل في بلاد الصين الى مقر ملكها الاكبر وجرت لهما أخبار طويلة اصطلحا فيها على مهادنات ومهاداة فبينما هو في بعض الليالي جالس نصف الليل اذا بحاجب قد دخل فقال رسول من ملك الصين بالباب فأذن له فدخل فقال له قل فقال الامر الذي جئت فيه لا يحتمل الا الخلوة فأمر بتفتيشه فلم يجد معه حديدا فأخلى المجلس وبقي هو واياه فقال له قل فقال أنا ملك الصين قال وما الذي أمنك مني قال ليس بيني وبينك عداوة ولا ذحل وبلغني أنك رجل حكيم عاقل حليم ولو قتلتني لم تظفر بطائل مني فانهم يقيمون غيري وتنسب الى الغدر فأخبرني ما الذي تريد مني قال ارتفاع ملكك ثلاث سنين آجلا ونصف ارتفاعها عاجلا قال لقد أجحفت فما زال ينقصه حتى اقتصر على سدس الارتفاع ثم قام مسرعا فخرج وبات الاسكندر ليلته يفكر في أمره فلما طلع الصباح اذا بملك الصين قد أقبل في جيش طبق الارض وعليه تاجه وبين يديه الامم فركب الاسكندر واستعد للقتال ثم ناداه يا ملك الصين اغدرا فانفرد عن أصحابه وقال لا ولكن أردت أن أعرفك اني لم أطعك عن قلة وضعف وما غاب عنك من جنودي أكثر ولكن رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك ممن هو أقوى منك وأكثر عددا ومن حارب العالم الكبير غلب ثم ترجل وقبل الارض فنزل الاسكندر عن فرسه وجلسا على سرير فقال له الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منه خراج وقد أعفيتك فقال الملك أما اذ قد فعلت فلا بد من حسن المكافأة ثم بعث اليه بضعف ما قرره عليه وعاد الاسكندر وقد دانت له الملوك ودوخ له البلاد فأقام بشهرزور أياما واحتضر بها وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة واختلف في عمره فقيل ست وثلاثون سنة وقيل أكثر وبين وفاته وبين الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام سبعمائة سنة وقيل غير ذلك ومن أراد تحرير التاريخ فليأخذ من

المختصر فى تاريخ البشر تأليف مولانا السلطان الملك المؤيد ولما حضرت الاسكندر الوفاة كتب الى أمه كتابا يسألها فيه أن تصنع وليمة وتدعو نساء أهل المملكة ولا تأذن الا لمن لم تصب بفقد عزيز من أهلها ففعلت ذلك فلم يرد عليها أحد فعلمت انه مات وان ذلك تعزية لها ثم أوصى أن يوضع فى تابوت من ذهب ويطلى بالاطلية الممسكة ويحمل الى أمه بالاسكندرية فلما فعل ذلك جمع ارسطاطاليس الحكماء وأمرهم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا كما فعل بالاسكندر الاول وكانوا عشرة فقال الاول أصبح مستأسر الاسرى أسيرا وقال الثانى هذا الاسكندر طوى الارض العريضة وهو اليوم يطوى منها فى ذراعين وقال الثالث العجب أن القوى قد غلب والضعفاء لاهون وقال الرابع ماسافر الاسكندر سفرا طويلا بلا آلة سوى سفره هذا وقال الخامس سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال السادس كان يحكم على الرعية فصارت الرعية تحكم عليه وقال السابع كنت تأمرنا بالحركة فما بالك ساكنا وقال الثامن رب حريص على على سكوتك وهو اليوم حريص على كلامك وقال التاسع كم أمات من فى هذا الصندوق لئلا يموت فمات وقال العاشر كان الاسكندر يعظنا بنطقه وهو اليوم يعظنا بسكوته وقالت أمه مما يسلى عنه المعرفة باللحوق به وقالت روشنك ما كنت أظن أن غالب دارا يغلب * قلت ومن كلام الاسكندر السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه فانا اذا عرفناه أطلنا يومه وأطرنا نومه وقيل له انك عظمت معلمك أكثر من تعظيم والدك فقال لان أبى سبب حياتى الفانية ومعلمى سبب حياتى الباقية وقال سلطان العقل على باطن العاقل أشد من سلطان السيف على ظاهر الاحمق وقال الناظر فى المرآة يرى رسم الوجه وفى أقاويل الحكماء يرى رسم النفس وقيل له ان فلانا يثلبك فلو عاقبته فقال هو بعد العقاب أعذر وتحاكم اليه اثنان فقال الحكم يرضى أحدكما ويسخط الآخر فاستعملا الحق ليرضيكما جميعا وأحضر بين يديه لص فأمر بصلبه فقال أيها الملك انى فعلت ما قد فعلت وأنا كاره فقال تصلب أيضا وأنت كاره وغضب على بعض شعرائه فأقصاه وفرق ماله فى أصحابه فقيل له فى ذلك فقال اما اقصائى له فلجرمه وأما تفريقى ماله فى أصحابه

يثلبك أى يعيبك بالشتم

فلذلك لا يشفعوا فيه وجلس يوما مجلسا عاما فلم يسأل فيه حاجة فقال والله ما أعد هذا اليوم من ملكي قيل ولم أيها الملك قال لانه لا توجد لذة الملك الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين وقال من انتجعك فقد أسلفك حسن الظن بك وله حكم لا تحصى وأقوال لا تستقصى اضربت عن ذكرها خوف الاطالة

ترجمة أردشير

(وأردشير جاهد ملوك الطوائف بجزء وجههم عن جماعتك)

هو أردشير بن بابك من ولد بهمن الملك أبي دارا الاكبر وكان بهمن قد تزوج ابنته خماني على عادتهم فحملت منه بدارا الاكبر وسألته أن يعقد التاج على بطنها لولدها ففعل وكان له ولد يسمى ساسان من امرأة أخرى فلما مات بهمن تنسك ساسان وساح في الجبال وعهد الى بنيه انه من ملك منهم فليقتل من قدر عليه من نسل دارا وكان أردشير هذا من ولد ساسان على ما ذكر بعض الرواة وهو أول الفرس الثانية ومعنى الثانية أن الاسكندر لما قتل دارا آخر ملوك الفرس وفرق من بقي منهم وسماهم ملوك الطوائف صارت المملكة لليونان فلما توفي الاسكندر وتقاصر ملك اليونان بعد مدة تحرك أردشير وكان أحد أبناء ملوك الطوائف على اصطخر وخرج طالبا للملك وأوهم انه يطلب بثار ابن عمه دارا وجمع الجموع وكاتب ملوك الطوائف بكتاب طويل أوله من أردشير بن بابك المستأثر دونه المغلوب على تراث آبائه الداعي الى الله المستنصر به فانه وعد المظلوم الظفر والعاقبة سلام عليكم بقدر ما تستوجبون من معرفة الحق وانكار الباطل ثم ذكر كلاما طويلا معناه الحث على المعاونة فمنهم من أطاعه ومنهم من تأخر عنه فخرج بعساكره فقتل المتأخر ثم عطف على بقيتهم فقتلهم وفاء لما عهد به جده ساسان الى بنيه ورزقه الله الظفر والنصر وقتل ملك الارد وان مبارزة ووطئ رأسه بقدميه وتسمى من ذلك اليوم شاهنشاه الاعظم ومعناه ملك الملوك ثم قام خطيبا فقال الحمد لله الذي خصنا بنعمه وخولنا من فضله ومهد لنا البلاد وها نحن شارعون في اقامة العدل وادرار الفضل والاقبال على الرأفة والرحمة وانصاف الضعيف من القوي وسترون في أيامنا ما يصدق مقالنا بفعالنا ثم ساس الرعية ورتب الممالك وبه اقتدى الخلفاء والملوك من بعده

فانه رتب الناس على طبقات فالطبقة الاولى الحكماء والفضلاء وكان مجلسهم عن يمينه وهم بطانته والطبقة الثانية الملوك وأبناؤهم وسماهم الخواص ومجلسهم عن يساره والطبقة الثالثة الاصبهيدية والمرازبة وهم بين يديه ولم يكن فيهم وضيع ولا دنيء الاصل ثم زادهم طبقات أخر من الوزراء والقضاة ورتب لكل ربع من أرباع الدنيا قوما ينفردون بتدبيره وتحريره ودانت له الدنيا وتمكن من الارض وكان من الشجعان المشهورين في الفرس يلقى وحده رجالا كثيرة ويشبه في قوته وشكله باردشير الاول الذي كان يدعى طويل الباع وفي أيامه بنيت المدن المشهورة كابلة واستراباذ وكرخ ميستان وغيرها ووضع لها النرد تنبيها على انه لا حيلة للانسان مع القضاء والقدر وهو أول من لعب به فقيل نردشير وقيل انه هو الذي وضعه وشبه به تقلب الدنيا بأهلها فجعل بيوت النرد اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة وعدد كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل الفصين مثالا للقضاء والقدر وتقلبهما بأهل الدنيا وان الانسان يلعب به فيبلغ باسعاف القدر ما يريده وان اللاعب الفطن يتأتى له ما لا يتأتى لغيره اذا أسعده القدر فعارضتهم حكماء الهند با شطرنج وأقام في الملك خمس عشرة سنة ثم فوضه الى ابنه سابور وانقطع في بيوت العبادات ثلاث سنين الى أن توفي بعد مولد المسيح عليه السلام * ومن كلامه الدين أساس والملك حارس وما لم يكن له أساس فهدوم وما لم يكن له حارس فضائع وقال لا شيء أضر على الملك أو على الرئيس من معاشرة وضيع أو مداناة سفيه وذلك أن النفس كما تصلح بمعاشرة الشريف فكذا تفسد بمخالطة السخيف حتى يقدح ذلك فيها كما أن الريح اذا مرت بالطيب حملت منه رائحة طيبة تنعش النفوس وتقوى بها الجوارح فكذا اذا مرت بالنتن فحملت منه الروائح الكريهة آلمت النفس وأضرت بها وكان الفساد اليها أسرع من الصلاح وقال ان للآذان مجة وللقلوب مللا ففرقوا بين الحكمتين يكون ذلك استجماما وكتب اليه جماعة من بطانته يشكون سوء حالهم فوقع ما أنصفكم من أحوجكم الى الشكوى يعني نفسه ثم فرق فيهم مالا وكتب اليه منتصح ان قوما اجتمعوا على سبك فوقع عليها ان كانوا نطقوا بألسنة شتى فقد جمعت ما قالوه في ورقتك فجرحك أعجب ولسانك أكذب

ترجمة الضحاك

(والضحاك استدعى مسالمتك)

اختلف فى نسب الضحاك فقال قوم انه الضحاك بن الاهبوب بن عوج بن طهمورث بن آدم وزمنه بعد الطوفان وهو ابن أخت جمشيد بن أوشهنج ملك الاقاليم وقال قوم هو الضحاك بن علوان أول الفراعنة وهو الذى ولى أخاه سنانا مصر على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام وقال قوم هو من العرب من قحطان واليمانية تدعيه وفى ذلك يقول أبو نواس

وكان منا الضحاك يحذره الـ ـحابل والوحش فى مساربها

والقول الاول أكثر وكان من سيرته أن جمشيد ومعناه سيد الشعاع ملك الاقاليم السبعة وهو أول من عمل السلاح واستخرج الابريسم والقز وألزم أهل الفساد الاعمال الشاقة فى قطع الصخور واستخراج المعادن وطال عمره وتجبر وادعى الربوبية فخرج عليه الضحاك هذا وتبعه خلق كثير لبغضهم فى جمشيد فهرب جمشيد بين يديه فظفر به وأمر بنشره بمنشار وقال ان كنت الها فادفع عن نفسك ثم ملك الضحاك وطغى وتجبر وفجر ودان بدين البراهمة وهو أول من غنى له وضرب الدنانير والدراهم ولبس التاج ووضع العشور وكان على كتفيه سلعتان يحركهما اذا شاء وادعى أنهما حيتان يهول بهما على الضعفاء وذكر انهما يضربان عليه فلا يسكنان حتى يطليهما بدماغى انسانين يذبحان له فى كل يوم وكان له وزير صالح فكان يستحيى أحدهما ويضع مكان دماغه دماغ كبش ويأمر الرجل باللحوق بالجبال وأن لا يأوى الامصار فيقال ان الاكراد من تلك القوم لكردهم الى الجبال ثم كثر فساد الضحاك وطالت مدته فاجتمع الناس على افريدون بن جمشيد وكان قد ترعرع فاستعد لقتال الضحاك وكان باصبهان رجل حداد يقال له كابى قتل له الضحاك ولدين فاجتمع عليه خلق كثير وكانت له قطعة جلد يتقى بها حر النار فرفعها على رمح وجعلها علما وسار الى الضحاك والناس معه فخرج اليه فلما رأى ذلك العلم ألقى الله تعالى فى قلبه الرعب فانهزم وأراد الناس أن يملكوا كابى فأبى وقال لست من بيت الملك فملكوا افريدون بن جمشيد وصار كابى عونا له وقتل الضحاك وقيل مات منهزما وعظم علم كابى ورصعته الملوك بالدر واليواقيت وكانوا يقدمونه أمام الجيوش وقت الحرب فينصرون به وكان

عندهم

عندهم كالتابوت فى بنى اسرائيل ويعرف هذا العلم بدرفش كابيان ولم يزل فى خزائنهم يتوارثونه الى زمن يزدجرد بن شهريار فأخذه المسلمون فى وقعة القادسية وحمل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقسم جواهره فى الناس * ومما اتفق من الحكايات المستظرفة فى أيام الضحاك انه لما طالت مدّته وفساده اجتمع الناس على بابه وكابى الحداد معهم فلما دخل وكان جريأ قال له السلام عليك سلام من يملك الاقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم قال بل سلام من يملك الاقاليم كلها فقال له اذا كنت تملك الاقاليم كلها فلم خصصت هذا الاقليم بنوائبك ومؤنتك وهلا نقلت الى الاقاليم وساويت بينه وبينهم ثم عدد عليه أشياء فصدقه الضحاك ووعد الناس بما يحبون فانصرفوا وكانت له أم جبارة سمعت ما جرى فلما خرجوا أنكرت عليه وقالت لقد جرأتهم عليك هلا قتلتهم فقال لها مع عتوه وتجبره ان القوم بدهونى بالحق فلما هممت بالسطوة بهم وقف الحق بينى وبينهم كالجبل فحال بينى وبين ما أردت ثم كان من أمره بعد ذلك ما كان مع كابى كما مر

ترجمة جذيمة الابرش

(وجذيمة الابرش غنى منادمتك)

هو جذيمة بن مالك بن عامر التنوخى وقيل الازدى أوّل من قاد العرب وملك على قضاعة وكانت منازله الحيرة والانبار وولايته من قبل اردشير ابن بابك وكان أبرص فعدل عن هذا الاسم فقيل الابرش والوضاح وزعم بعضهم انه كان يأنف من اسم الابرص ولذلك كنى عنه بالابرش وفى العرب من يفتخر بذلك قال الراجز يمدح أبرص

أبرص فياض اليدين أكلف * والبرص أدرى بالالها وأعرف

وهو أوّل من صنع له الشمع وأدلج من الملوك وكان ذا رأى وهمة وتيه مفرط ويقال له نديم الفرقدين كان ذا شرب قد حاسب لهما قدحين ولا ينادم غيرهما وكان سبب ذلك فيما زعموا انه كان تكهن واتخذ صنمين يقال لهما الغريسان يستسقى بهما وينتصر على أعدائه وكانت اياد قد نزح قوم منهم من الحجاز وانتشروا فيما بين البصرة والكوفة وتمكنوا على ما يلى الحيرة وكثروا بعين اباغ فخرج جذيمة غازيا وكان فى اياد رجل يقال له عدى بن نصر وكان له ظرف وجمال واليه تنسب الملوك من آل نصر فنزل جذيمة بساحتهم فبعث

اباد قوما منهم الى صنمى جذيمة فسقوا سدنتهم الخمر وسرقوهما فأصبحوا بهما فى اياد فبعثت ايادالى جذيمة تقول ان صنميك قد أصبحا عندنا زهدا فيك ورغبة فينا فان عاهدتنا على أن لاتغزونا رددناهما اليك فقال جذيمة وتعطونى أيضا عدى بن نصر يكون عندى ففعلوا وانصرف عنهم وضم عديا الى نفسه وولاه شرابه وأمر مجلسه وكان لجذيمة أخت تسمى رقاش وهى بكر فأحبت عديا وأحبها فسألته أن يخطبها من جذيمة اذا سكر ففعل ذلك وزوجه بها وأشهد عليه من حضر فلما أصبح دخل عليه بثياب العرس وكان قد دخل بها تلك الليلة فقال جذيمة ماهذه الآثار يا عدى فقال آثار عرس رقاش فقال من زوجكها ويحك قال الملك فأكب على الارض مفكرا وهرب عدى فلم يعرف له أثر ولا خبر وأرسل جذيمة الى أخته يقول

خبرينى رقاش لا تكذبينى * أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل لعبد * أم بدون فأنت أهل لدون

قالت بل أنت زوجتنى امرأ عربيا ولم تشاورنى فى نفسى فكف عنها وآلى أن لا ينادم الا الفرقدين وحملت رقاش فولدت غلاما وسمته عمرا فلما ترعرع ألبسته وعطرته ودخلت به على خاله فلما رآه أحبه وجعله مع ولده وخرج جذيمة متبديا بأهله فى سنة خصبة فأقام فى روضة ذات زهر ونهر فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكماة فكانوا اذا أصابوا كماة جيدة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها وانصرفوا الى جذيمة يتعادون وعمرو يقول هذا جناى وخياره فيه وكل جان يده الى فيه فضمه جذيمة الى صدره وسر بقوله وحلاه بطوق من ذهب فكان أول عربى لبس الطوق ثم ان الجن استطارته فطلبه جذيمة فى الآفاق زمانا فلم يقدر عليه ثم أقبل رجلان من قضاعة يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارج من الشام يريدان جذيمة وأهديا له طرفا فبينما هما بأكلان اذ أقبل فتى عريان قد تلبد شعره فسألاه عن نسبه فعرفهما نفسه فنهضا وغسلا رأسه وأصلحا أمره وألبساه ثيابا وقالا ما كنا لنهدى جذيمة أنفس من ابن أخته وخرجا به الى جذيمة فسر به ورأى الطوق فقال شب عمرو عن الطوق فذهبت مثلا وقال لمالك وعقيل حكمتما كما قالا منادمتك مابقينا وبقيت فكانهما من ذلك وهما نديما

قوله منادمتك الخ هكذا فى النسخ ولا يخفى مافى العبارة من الركاكة فلعل الاصل نبغى منادمتك أونحوه وسقط الفعل سهوا من الناسخ فليحرر مصححه

جذيمة اللذان يضرب بهما المثل وإياهما عنى متمم بن نويرة بقوله فى رثاء أخيه وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا وقيل انما عنى الفرقدين * ويحكى أن جذيمة سكر مرة أخرى فقتلهما فلما أصبح ندم وبنى عليهما الغريين ونادم الفرقدين وقيل ان صاحب الغريين المنذر الاكبر * ثم ان جذيمة أرسل يخطب الزباء ملكة الحضر الحاجز بين الفرس والروم وكان لها وتر عنده فأجابته واستدعته اليها فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالمضى فخالفهم قصير بن سعد وكان لبيبا وقال ان النساء يهدين الى الازواج فعصاه وسار حتى اذا كان بمكان يدعى بقة استشارهم فأشاروا عليه لما يعلمون من رأيه فيها فقال قصير انصرف ودمك فى وجهك فأبى وظعن جذيمة حتى اذا عاين الكتائب قد استقبلته قال لقصير ما الرأى قال تركت الرأى ببقة ثم ركب قصير فرسا لجذيمة تسمى العصا فنجا وأخذ جذيمة فلما أدخل على الزباء أمرت برواهشه فقطعت والرواهش عروق اليد واستنزفته حتى مات فى خبر طويل مشهور * وكانت مدة ملكه ستين سنة وله أشعار حسنة مشهورة فمنها

أضحى جذيمة فى يبرين منزله * قد حاز ما جمعت من قبله عاد
مستعمل الخير لا تفنى زيادته * فى كل يوم وأهل الخير تزداد

ترجمة شيرين

(وشيرين قد نافست بوران فيك)

هى شيرين زوجة أبرويز بن هرمز من ولد كسرى أنوشروان وكانت يتيمة فى حجر رجل من أشراف المدائن وكان أبرويز صغيرا يدخل منزل ذلك الرجل فيلاعب شيرين وتلاعبه فأخذت من قلبه موضعا فنهاها عنه ذلك الرجل فلم تنته فرآها وقد أخذت فى بعض الايام من أبرويز خاتما فقال لبعض خواصه اذهب بها الى الدجلة فغرقها فأخذها ومضى فقالت له وما الذى ينفعك من تغريقى فقال قد حلفت لمولاى فقالت اقذفنى فى مكان رقيق فان نجوت لم أظهر وبرت يمينك ففعل وتوارت فى الماء حتى غاب وصعدت الى دير فترهبت فيه وأحسن اليها الرهبان فلما تقرر الملك لابرويز بعد أبيه هرمز مر بذلك الدير رسل فيه مرالى أبرويز فدفعت الخاتم الى رئيسهم وقالت ابعث به الى أبرويز تحظى عنده فأرسله وعرفه مكان شيرين

فسر شيرو واعظيما فأرسل اليها فأحضرها وكانت من أجمل النساء وأظرفهن ففوض اليها أمره وهجر نساءه وجواريه وعاهدها أن لا تمكن منها أحدا بعده وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين بالعراق فلما قتل شيرويه أباه أبرويز راودها عن نفسها فامتنعت فضيق عليها واستأصلها ورماها بالزنى وتهددها بالقتل ان لم تفعل فقالت أفعل على ثلاث شرائط قال ماهي قالت تسلم الى قتلة زوجي اقتلهم وتصعد المنبر وتبرئني مما قذفتني به وتفتح لي ناووس أبيك فان له عندي وديعة علي ان تزوجت بعده رددتها اليه فدفع اليها قتلة أبيه فقتلتهم وبرأها ثم قال وفتح لها ناووس أبيه وبعث الخادم معها فجاءت الى أبرويز فاعتنقته ومصت فصا سموما كان معها فماتت من وقتها وأبطأت على الخدم فصاحوا فلم تكلمهم فدخلوا فوجدوها معانقة لابرويز ميتة * وأما بوران فهي ابنة أبرويز المذكور كانت أحسن من نشأ بين الترك والفرس من النساء وملكت الناس بعد شهريار بن أبرويز وأصلحت القناطر والجسور ولما جلست على السرير قالت ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد ولا بكايدهم ينال الظفر وانما ذلك بعون الله وقدرته وأقامت سبعة أشهر ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أمرها قال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ويقال ان فيروز بن رستم صاحب خراسان خطبها فقالت لا ينبغي للملكة أن تتزوج علانية وواعدته أن يقدم عليها سرا في ليلة عينتها له فجاءها في تلك الليلة فقتلته فسار اليها أبوه رستم فقتلها وقيل أن هذه الواقعة مع أزرمي دخت ترجمة بوران

(وبلقيس غايرت الزباء عليك) ترجمة بلقيس

بلقيس ابنة الحرث بن سبا ويلقب أبوها الهدهاد وقيل بنت الشيصبان ملكة بلاد سبا المذكورة في الكتاب العزيز وعن ابن عباس انه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبا ارجل هو أم امرأة أم أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو رجل ولده عشرة سكن منهم اليمن ستة والشأم أربعة فاليمانيون مذحج وكندة والانمار والازد والاشعريون وحمير وأما الشأم فلخم وجذام وعاملة وغسان وكانت بلقيس من أحسن نساء العالمين ويقال أن أحد أبويها كان جنيا وقال ابن الكلبي كان أبوها

من عظماء الملوك وولده ملوك اليمن كلها وكان يقول ليس فى ملوك اليمن من يدانيني فتزوج امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وتسمى بلقة ويقال ان مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة ولذلك اتخذ سليمان عليه السلام الصرح الممرد من القوارير وكان بيتا من زجاج يخيل للرائي انه ماء يضطرب فلما رأته كشفت عن ساقيها فلم ير غير شعر خفيف ولذلك أمر باحضار عرشها ليختبر عقلها ثم أسلمت وعزم سليمان على تزوجها فأمر الشياطين فاتخذوا الحمام والنورة وهو أول من اتخذ ذلك وطلوا بالنورة ساقيها فصارت كالفضة فتزوجها وأرادت منه ردها الى ملكها ففعل ذلك وأمر الشياطين فبنوا لها باليمن الحصون التى لم ير مثلها وهى غمدان وبينون وغيرهما وأبقاها على ملكها وكان يزورها فى كل شهر مرة من الشام على البساط والريح وبقى ملكها الى أن توفى * فزال بموته وأما

ترجمة الزباء

الزباء فهى ابنة مليح بن البراء كان أبوها ملكا على الحضر وهو الذى ذكره عدى بن زيد بقوله

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور

فقتله جذيمة الابرش وطرد الزباء الى الشام فلحقت بالروم وكانت عربية اللسان كبيرة الهمة قال ابن الكلبي وما رؤى فى نساء زمانها أجمل منها وكان اسمها فارعة وكان لها شعر اذا مشت سحبته وراءها واذا نشرته جللها فسميت الزباء والازب الكثير الشعر وبلغ من همتها أن جمعت الرجال وبذلت الاموال وعادت الى ديار أبيها ومملكته فأزالت جذيمة عنها وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين وجعلت بينهما نفقا تحت الارض وتحصنت وكانت قد اعتزلت عن الرجال فهى عذراء بتول وهادنت جذيمة مدة ثم خطبها فاستدعته وقتلته كما تقدم فى ترجمته فأما مقتلها فان قصيرا لما فارق جذيمة وعاد الى بلاده تحيل على قتلها فجدع أنفه وضرب جسده ورحل اليها زاعما أن عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة صنع به ذلك وانه لجأ اليها هاربا منه واستجار بها ولم يزل يتلطف لها بطريق التجارة وكسب الاموال الى أن وثقت به وعلم خفيا قصرها وأنفاقه ثم وضع رجالا من قوم عمرو بن عدى فى غرائر وعليهم السلاح وحملهم على الابل على انها قافلة

متجرا الى أن دخل مدينتها فخلوا الغرائر وأحاطوا بقصرها وقتلها قبل أن تصل الى نفقها في حكاية مشهورة وذلك بعد مبعث المسيح عليه السلام

ترجمة مالك بن نويرة

(وان مالك بن نويرة انما اردف لك)

هو مالك بن نويرة بن شداد اليربوعي التميمي فارس ذي الخمار وذو الخمار فرسه ويلقب بالجفول لكثرة شعره وكان من فرسان العرب وشجعانهم وذوي الردافة في الجاهلية وكانت لبني يربوع أيام آل المنذر ومعنى الردف أن يجالس الملك ويجلس الردف عن يمينه فاذا شرب الملك شرب الردف بعده واذا غاب جلس الردف مكانه وللردف أتاوة تؤخذ مع أتاوة الملك وفي ذلك يقول الراجز

ومن ينافر آل يربوع يخب * المجلس الايمن والردف النجب

وأدرك مالك بن نويرة الاسلام وأسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه من بني يربوع فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الصدقة وقيل ارتد وبعث أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال أهل الردة فكان اذا اصبح قوما سمع الاذان فان سمعه كف عنهم وان لم يسمعه قاتلهم الى ان مر بالبطاح وبه مالك وأصحابه فقيل انهم لم يسمعوا اذانا فقاتلهم وأتي بمالك بن نويرة أسيرا فأمر خالد ضرار بن الازور بقتله فقتله واحتج قوم لخالد في قتله وطعن عليه آخرون فأما من احتج فيزعم أن مالكا قتل مرتدا وانه لما وقف بين يدي خالد كان يقول في مخاطبته قال صاحبك وتوفي صاحبك يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال له خالد أو ليس هو بصاحبك أيضا يا عدو الله ثم قتله ويحتجون أيضا بقول أخيه متمم وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع متمما ينشد رثاء أخيه مالك قال وددت لو رثيت أخي زيدا بمثل ما رثيت به أخاك قال والله لو علمت ان أخي صار الى ما صار اليه أخوك لم أرثه ولم أحزن عليه وأما الطاعنون فذكروا ان خالدا لما احتج على مالك بارتداده أنكر مالك ذلك وقال أنا على الاسلام والله ما غيرت ولا بدلت وشهد قتادة وعبد الله بن عمر ثم ان خالدا أمر بقتله فجاءت امرأته ليلى بنت سنان كاشفة وجهها وكانت من الحسان فألقت نفسها عليه فقال لها أنت قتلتني يعني انها أعجبت خالدا وانه يريد قتله ويتزوجها وقام

ضرار بن الازور فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية للقدر ووجهه مما يلي النار فنظرته امرأة من قومه وهو على تلك الحال فقالت اصرفوا وجه مالك عن النار فانه والله كان غضيض الطرف عن الجارات حديد النظر في الغارات لا يشبع ليلة يضاف ولا ينام ليلة يخاف ثم بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ماصنع خالد فحرض عليه أبا بكر رضي الله عنه وقال انه قتل مسلما وزنى فارجمه ووافقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال أبو بكر انه تأوّل فأخطأ وما كنت لاشيم سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أغمده ومازال عمر حاقدا على خالد بهذه الواقعة حتى عزله عن جيش الاسلام وقال والله لا ولي عاملا في أيامي وكان متمم بن نويرة منقطعا الى مالك مكتفي المؤنة فلما قتل حزن عليه حزنا شديدا ورثاه بقصائد مشهورة وحضر حين بلغه ذلك الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الصبح خلف أبي بكر فلما فرغ من صلاته وانفتل قام متمم فاتكأ على قوسه وهو واقف مع الناس ثم أنشد يقول

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا ابن الازور

ثم أومأ الى أبي بكر رضي الله عنه فقال

ادعوته بالله ثم غدرته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال أبو بكر رضي الله عنه والله مادعوته ولا غدرته فأنشد بقية أبياته المشهورة وانحط على قوسه وكان أعور فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال وددت لو رثيت أخي زيدا فأجابه بما نقدم ثم رثى زيدا فلم يجد فسئل عن ذلك فقال والله انه ليحركني لاخي مالا يحركني لزيد وسأله عمر عن حزنه فقال والله اني لا أنام الليل ومارأيت نارا رفعت بليل الا ظننت أن نفسي ستخرج أذكر بها نار أخي انه كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيفه قريبا منه فمتى رأى النار يأتي الى الرحل وهو يأتي بالضيف مجتهدا أسر من القوم يقدم عليهم القادم من السفر البعيد فقال عمر رضي الله عنه أكرم به وقال له عمر يوما حدثنا عن أخيك فقال أسرت مرة في حي عظيم من أحياء العرب فأقبل أخي فما هو الا أن طلع على الحاضر فما كان أحد قاعدا الا قام ولا بقيت امرأة حتى تطلعت من

خلال البيوت فانزل عن جمله حتى تلفوه بى فى ذمتى فخلى فقال عمران هذا لهو الشرف ثم قال له يوما يا متمم انك لجزل فكيف كان منك أخوك فقال كان والله أخى فى الليلة الباردة ذات الازيز والصرير يركب الجمل الثقال ويجنب الفرس الحرون وفى يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح وهو يتبسم ومن جيد مراثى متمم له قوله من أبيات

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى * دعونى فهذا كله قبر مالك

ومن جيد شعر مالك قوله

ولقد علمت ولا محالة اننى * للحادثات فهل ترينى أجزع
أفنين عادا ثم آل محرق * تركتهم بددا وما قد جمعوا
وعددت اباءى الى عرق الثرى * فدعوتهم وعلمت أن لم يسمعوا
ذهبوا فلم أدركهم ودهتهم * غول الليالى والطريق المهيع

وقوله أيضا

وقالوا لى استأسر فانك آمن * فقلت ان استأسرت انى لخائن
علام تركت المشرفى مضاجعى * ومطردا فيه المنايا كوامن
فلا تقتلونى بعد ذاك فاننى * أموت بمقدار وتبقى الضغائن

(وعروة بن جعفر الرحال البلك)

هو عروة بن عتبة بن جعفر من بنى عامر بن صعصعة وأهل بيته ينتسبون الى جعفر فيقال الجعفريون ولذلك قال ابن زيدون عروة بن جعفر ولم يقل ابن عتبة وكان يعرف بعروة الرحال لرحلته الى الملوك وكان من ذوى العقل والشهامة وهو من أرداف الملوك وللعرب مبالغة فى وصفه فيزعمون أنه رحل الى معاوية بن الجون الكندى فغزا معاوية بنى حنظلة قومه من بنى عامر واستصحبه معه فلما كان بواردات قال لمعاوية ان لى حق صحبة ورحلة وأريد أن أنذر قومى من ههنا وبينه وبينهم مسيرة ليلة فعجب معاوية منه فأذن له فصاح ياصباحاه ثلاث مرات فسمعه قومه من الشعب فاستعدوا * وبسبب مقتله قامت حرب الفجار وذلك أن النعمان كان يبعث لسوق عكاظ فى كل عام لطيمة فى جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيزها له من

احياء

ترجمة عروة بن جعفر الرحال

أحياء العرب حتى يبيعها هناك ويشترى له بثمنها من أدم الطائف وغيره مما يحتاج اليه وكان سوق عكاظ يقوم فى كل يوم من ذى القعدة الحرام فيتسوّقون الى حضور الحج ثم يحجون وكانت الاشهر الحرم أربعة اشهر ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ورجب وكانت العرب من ذى القعدة يتهيؤن للحج ويأمن بعضهم بعضا فجهز النعمان عير اللطيمة ثم قال من يجيزها فقال البراض بن قيس أنا أجيزها على بنى كنانة فقال النعمان ما أريد الا من يجيزها على أهل نجد وتهامة فقال عروة الرحال وهو يومئذ رحل هوزان أهذا الكلب يجيزها لك أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد وتهامة فقال البراض أعلى بنى كنانة تجيزها يا عروة فقال وعلى الناس كلهم فدفعها النعمان الى عروة فخرج بها وتبعه البراض وكان فاتكا عيارا وعروة لا يحس منه شيأ لانه كان بين ظهرانى قومه من غطفان فنزل بأرض يقال لها أوارة فشرب الخمر وغنته قينة ونام فجاء اليه البراض فدخل عليه وأيقظه فناشده عروة وقال كانت منى زلة فقتله وخرج وهو يرتجز

قد كانت الفعلة منى ضله * هلا على غيرى جعلت الزله

وهرب فضربت العرب المثل بقتلة البراض له وقامت حروب عظيمة بسببه ومن شعر عروة

أتجب منى أمّ حسان اذ رأت * نهارا وليلا ابليانى فأسرعا
وقد صار اخوانى كأن عليهم * ثياب المنايا والنعام المنزعا

من أبيات وقد قيل انه العروة الرجال بالجيم وهو رجل من بنى أسد

ترجمة كليب بن ربيعة

(وكليب بن ربيعة انما حمى المرعى بعزتك وجساس انما قتله بأنفتك)

كليب بن ربيعة بن الحرث الوائلى الذى يضرب به المثل فيقال أعز من حمى كليب فانه رئيس الحيين من بكر وتغلب ابنى وائل وقادهما كلها يوم خزاز وفض جموع القوم فاجتمعت عليه معد وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته فعبر بذلك حينا ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه بما هو فيه من عزة وانقياد معد له حتى بلغ من بغيه وعتوه أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول وحش كذا وكذا فى جوارى فلا تهاج ولا يورد أحد مع ابله ولا توقد نار مع ناره ولا يحتبى فى مجلسه ولا يتكلم الا باذنه وفى ذلك يقول

أخوه بعد قتله

نبئت أن النار بعدك أوقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس

وتكلموا فى أمر كل عظيمة * لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

وقيل انه كان اذا مر بمرعى قذف فيه جروا فيعوى فلا يرعى أحد من ذلك الكلاء ولذلك قيل حمى كليب وائل يعنون الكلب ويضيفونه الى وائل وهو واسم الملك ثم غلب هذا القول حتى ظنوه اسمه ومر يوما بمرعى فيه حمرة وهى طائر صغير وقيل قبرة وقد باضت فلما رأته صرصرت وخفقت بجناحيها فقال أمن روعك أنت فى ذمتى ثم أنشد

يالك من قبرة بمعمر * خلالك الجو فبيضى واصفرى

ونقرى ماشئت أن تنقرى

فما جسر صاحب بعير يدخل ذلك المرعى * وأما جساس فهو ابن مرة بن ذهل كانت أخته تحت كليب وكان بنو جشم وشيبان فى دار واحدة قبيلتى كليب وجساس وكانت لجساس خالة من بنى سعد تسمى البسوس جاورت بنى مرة فنزلت على ابن أختها جساس ومعها ابن لها ولها ناقة خوارة من نعم بنى سعد ولها فصيل فندت الناقة ذات يوم فدخلت فى ابل كليب ترعى فى حماه فنظر اليها فأنكرها فرماها بسهم فى ضرعها فولت حتى بركت بفناء صاحبتها وضرعها يشخب دما ولبنا فلما نظرت اليها برزت صارخة ويدها على رأسها وهى تصيح واذلاه فلما سمع جساس قولها سكتها وقال والله ليقتلن غدا جمل هو أعظم عقرا من ناقتك يعنى كليبا ثم انتجع الحى فمروا على نهر يقال له شبيب فنهاهم كليب عنه وقال لا تردن منه قطرة ثم مروا على نهر آخر يقال له الاحص فنهاهم عنه فمضوا حتى أتوا الذنائب ونزلوا فمر جساس بكليب وهو واقف على غدير الذنائب منفردا فقال طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا فقال كليب ما منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون فقال له جساس هذا كفعلك بناقة خالتى فقال وقد ذكرتها أما انى لو وجدتها فى غير ابل مرة أخرى لاستحللت تلك الابل فعطف عليه جساس بفرسه فطعنه بالرمح فأرداه ووجد الموت فقال يا جساس اسقنى فقال هيهات تجاوزت الاحص وشبيبا ثم عطف المزدلف فأجهز عليه ثم ان جساسا لما فرغ من

القبرة بالتشديد واحدة القبر بالتشديد أيضا نوع من العصفور ويقال قنبرة بنون زائدة بعد القاف كأنها بدل من أحد حرفى التضعيف (جزء)

ترجمة جساس

قتل كليب أمال يده بالفرس حتى انتهى الى أهله فقالت أخته لابيها ان لجساس شأنا قد جاءنا خارجا ركبتيه قال والله ماخرجت ركبتاه الا لامر عظيم يعني انه كان بركبتيه وضح لا يظهره فلما جاء قال ما وراءك يا بني قال ورائي أني طعنت طعنة لتشتغلن بها شيوخ وائل زمنا قال أقتلت كليبا قال نعم قال وددت انك واخوتك متم قبل هذا ما بي الا أن تسأمني أبناء وائل ثم نظر جساس الى أخته نضلة فقال

وانى قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح
مذكرة متى مايصح منها * فتى شبت لآخر غير صاح

فأجابته نضلة تطيب نفسه

وان تك قد جنيت على حربا * فلا واه ولا رث السلاح

ثم هرب جساس ووقعت بين الحيين حرب البسوس المشهورة قيل أقامت أربعين سنة * واختلف في قتل جساس فقيل ان أبا النويرة قتله هاربا على طريق الشام بعد حين وقيل ان ابن أخته هجرس بن كليب كان عند أمه وأخواله بعد الفتن فلما بلغ مبلغ الرجال وعرف أن خاله جساسا قاتل أبيه ركب فرسه وأخذ رمحه وأتى نادي قومه وجساس خاله في النادي مع جماعة فقال ورمحي ونصليه وسيفي وزريه وفرسي وأذنيه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه

(ومهلهلا انما طلب ثاره بهمتك)

هو مهلهل بن ربيعة بن الحرث أخو كليب المقدم ذكره واسمه عدي ولقب مهلهلا بقوله

لما توغل في الكراع هجينهم * هلهلت أثأر مالكا أو صنبلا

يعني قاربت وقيل لقب مهلهلا لانه أول من هلهل نسج الشعر أي أرقه وهو أول من قصد القصائد وقال فيها الغزل وغنى بالتشبيب من شعره وهو خال امرئ القيس بن حجر ومنه ورث اجادة الشعر وكان أيضا كثير المحادثة للنساء حتى كان أخوه كليب يسميه زير النساء ولذلك يقول بعد قتل كليب وطلب ثاره

فهو في المقابر كليب * ليعلم الذائب أي زير

قوله خارجا ركبتيه هكذا في النسخ ولعل الاصوب خارجا ركبتاه بدليل ما بعده فليتأمل ويحرر اه مصححه هكذا بهامش الاصل ولعل مراده بما بعده قوله ما خرجت ركبتاه اذ لم يقل ما أخرج ركبتيه الا ان خرج الظاهر عدم تعديته بنفسه فانظر هذا وحرر بتأمل (حمزه)

وكان من خبره فى هذه الواقعة وطلب الثار والثار بالثاء المثلثة طلب الدم وأصله الهمز أن جساسا لما قتل كليبا وفر هاربا كان همام بن مرة أخو جساس ينادم مهلهل بن ربيعة أخا كليب وكان قد صادقه وآخاه وعاهده أن لا يكتم عنه شيأ فجاءت اليه أمه فأسرت اليه قتل جساس كليبا فقال له مهلهل ما قالت لك فلم يخبره فذكره العهد فقال أخبرت أن أخى قتل أخاك فقال لاست أخيك أضيق من ذلك فسكت همام وأقبلا على شرابهما فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخائف فلم تلبث الخمرة أن صرعت مهلهلا فانسل همام وأتى قومه وقد قوضوا الخيم وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا فرحل معهم فظهر أمر قتل كليب وأفاق مهلهل فصح الخبر واجتمعت اليه وجوه قومه فقالوا لا تعجلوا على قومكم حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من أشرافهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا اخترمنا خصالا اما ان تدفع الينا جساسا فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله واما أن تدفع الينا هماما فنقتله واما ان تقيدنا من نفسك فسكت وقد حضرته وجوه بكر فقالوا انكم غير مخذول فقال أما جساس فانه غلام حدث السن ركب رأسه فهرب حين خاف ولا علم لى به وأما أخوه همام فأخو عشرة وأبو عشرة ولو دفعته لكم ليصيح بنوه فى وجهى وقالوا دفعت أبانا يقتل عن ثار غيره وأما أنا فلا أتعجل الموت وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم فى غير ذلك هؤلاء بنى فدونكم فخذوا أحدهم فشدوا نسعه فى رقبته فاقتلوه وان شئتم فلكم ألف ناقة فغضبوا وقالوا انا لم نأتك لتبذل لنا بنيك أو لتسومنا اللبن فتفرقوا فقام مهلهل وشمر للحرب وبدا القتل واستمر بين الفريقين الى أن كان يوم واردات وقد عظم القتل فى بكر فاجتمعوا الى الحرث بن عباد بن مالك وكان قد اعتزل الحرب وقال لا ناقة لى فيها ولا جمل فذهبت مثلا فقالوا له قد فنى قومك فأرسل ابنه بجيرا وقيل ابن أخته الى مهلهل وقال له قل له أبو بجير يقرؤك السلام ويقول لك قد علمت انى قد اعتزلت قومى لانهم ظلموك وخليتك واياهم وقد أدركت ثارك وقتلت قومك فأتى بجير مهلهلا وهو فى قومه فقال له خالى يقرؤك السلام فقال له من خالك يا غلام ونزا نحوه بالرمح فقال له امرؤ القيس بن أبان التغلبى مهلا

يا مهلهل فان أهل بيت هذا قد اعتزلوا حربنا والله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسأل عن خاله فلم يلتفت مهلهل الى قوله وشد عليه فقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب فقال الغلام ان رضيت بهذا بنو تغلب رضيت فلما بلغ الحرث ابن عباد قتله قال نعم الغلام أصلح بين ابني وائل وباء بكليب فلما سمعوا قول الحرث قالوا ان مهلهلا قال له بؤ بشسع نعل كليب فغضب الحرث ونهض للقتال واستمرت الحروب بين الحيين دهراً طويلا وفنى معظمهم وقتل همام وغيره الى أن قام في الصلح الحرث بن عوف المرى كما سيأتى عند قوله وان الصلح بين بكر وتغلب ثم برسالتك وآل أمر مهلهل الى أن رحل الى أخواله من بني يشكر فريدا وحيدا وأقام بين أظهرهم الى أن مات وقيل قتل وكان سبب قتله كما ذكر ابن الكلبي انه أسن وخرف وكان له عبدان يخدمانه فملا منه وخرج به ما يريد سفرا فاناخا به في بعض الفلوات وعزما على قتله فلما عرف ذلك كتب بسكين على رحل ناقته هذا البيت وقيل في بعض الروايات انه أوصاهما أن يقولا لولديه

من مبلغ الحيين أن مهلهلا * لله دركما ودر أبيكما

ثم قتلاه ورجعا الى قومه فقالا مات وأنشداهما قوله ففكر بعض ولده وقال ان مهلهلا لا يقول هذا الشعر الذى لا معنى له وانما أراد أن يقول

من مبلغ الحيين أن مهلهلا * أمسى قتيلا في الفلاة مجندلا
لله دركما ودر أبيكما * لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فضربوا العبدين فأقرا بقتله فقتلا به وشعر مهلهل من أعلى طبقات المتقدمين ومن ذلك قوله

بكره قلوبنا يا آل بكر * نغاديكم بمرهفة النصال
لها لون من الهامات جون * وان كانت تغادى بالصقال
ونبكي حين نذكركم عليكم * ونقتلكم كأنا لا نبالى

وهذه الابيات هى أصل ما اعتمدت عليه الشعراء فى هذا المعنى وأميرهم البحترى فى قصيدته العينية * ومن ذلك قوله أعنى مهلهلا

أليلتنا بذى جشم أنيرى * اذا أنت انقضيت فلا تحورى
فان يك بالذنائب طال ليلى * فقد أبكى من الليل القصير

وأنقذني بياض الصبح منها * لقد أنقذت من شر كبير
كأن كواكب الجوزاء عود * معطفة على ربع كسير
كأن الفرقدين يدا بغيض * ألح على افاضته قبيري
فلو نبش المقابر عن كليب * لخبر بالذنائب أي زير
واني قد تركت بواردات * بجيرا في دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد * وبعض الغشم أشفى للصدور
على أن ليس عدلا من كليب * اذا ما ضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب * اذا برزت مخبأة الخدور

ومنها بعد أن كرر قوله على أن ليس عدلا من كليب في أبيات كثيرة على عادة العرب في تكرار القول في الامور العظيمة وتقريرها وبهذه الابيات استشهد بعض المفسرين لقوله تعالى في سورة الرحمن فبأي آلاء ربكما تكذبان وتكريرهذه الآية الشريفة

كأنا غدوة وبني أبينا * بجنب عنيزة رحيا مدير
كأن رماحنا أشطان بئر * بعيد بين جاليها جرور
تظل الخيل عاكفة عليهم * كأن الخيل ترحض في غدير
فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

يقال ان هذا أول كذب ورد في الشعر لأن بين الذنائب وحجر مسيرة ليال ومن ذلك قوله

فقتلوا كليبا ثم قالوا لا تثب * كلا ورب البيت ذي الاحرام
حتى يعض الشيخ بعد حميمه * مما يرى جزعا على الابهام
وتجول ربات الخدور حواسرا * يمسحن عرض ذوائب الايتام

وقوله

خاذلتني الخيل بيضا * انهوب لذيذة في العنق
ضربت صدورها الى وقالت * ياعدي لقد وقتك الاواقي

ومنها يرثي كليبا

ان تحت الاحجار حزما وعزما * وخصيما الد ذا معلاق
حية في الوجار أربد لا ينـ * ـفع منه السليم نفثة راق

قوله ذا مغلاق يروى بالعين وهو الرجل الكثير الخصومة الشديد كانه يعلق بخصمه ويروى بالغين كانه يغلق على خصمه القول وجميع شعره فى هذه الغاية من التمكن والقوة

ترجمة السموأل

(والسموأل اغنا وفى عن عهدك)

هو السموأل بن عاديا من يهود يثرب الذى يضرب به المثل فى الوفاء فيقال أوفى من السموأل وسبب ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندى لما قتل أبوه وكان ملكا فى كندة خرج يستنجد بملك الروم كما سيأتى ذكره فلما مر على تيماء وبها حصن السموأل المسمى بالابلق المذكور فى شعره أودع السموأل مائة درع وسلاحا ومضى فسمع الحرث بن ظالم وقيل الحرث بن أبى شمر الغسانى بها فجاء ليأخذها منه فأبى السموأل وتحصن بحصنه فأخذ الحرث ابنا للسموأل وناداه وقال له ان لم تسلم الادراع والاقتل ابنك فأبى أن يسلم له الادراع فضرب وسط الغلام بسيف فقطعه وأبوه يراه وطرحه وانصرف فقال السموأل فى ذلك قصيدته المشهورة أولها

أعاذلتى الا لا تعذلينى * فكم من أمر عاذلة عصيت
وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ما ذم أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بأن لا * تهدم يا سموأل ما بنيت
دعينى وارشدى ان كنت أغوى * ولا تغوى زعمت كما غويت

ومات امرؤ القيس قبل أن يعود الى تيماء ومنع السموأل الادراع الى أن مات وهو أيضا ضرب به المثل فى ذلك يقول الاعشى

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار
فقال غدر وثكل أنت بينهما * فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له * اقتل أسيرك انى مانع جارى

والسموأل هذا من شعراء الجاهلية المجيدين وله فى الحماسة اللامية المشهورة عند أرباب البديع أولها يقول

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل

فـاصبرنا انا قليـــل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
وله أيضا
اني اذا ما المرء بين شكه * وبدت عواقبه لمن يتأمل
وتبرأ الضعفاء من اخوانهم * وألح من حر الصميم الكلكل
أدع التى هى أرفق الحالات بى * عند الحفيظة للتى هى أجمل
وله أيضا
ياليت شعرى حين أندب هالكا * ماذا تؤبنني به أنواحى
أيقلن لا تبعد فرب كريهة * فرجتها بشجاعة وسماح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم * ولقد بذلت الحق غير ملاحى

(والاحنف انما مشى فى بردتك)

ترجمة الاحنف ابن قيس

هو الاحنف المضروب به المثل فى الحلم والسيادة واسمه الضحاك وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصين السعدى ويكنى أبا بحر أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ودعا له حدث الاحنف قال بينما أنا أطوف بالبيت فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ لقينى رجل أعرفه فأخذ بيدى فقال الا أبشرك قلت بلى قال أما تذكر اذ بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومك فى بنى سعد أدعوهم الى الاسلام فجعلت أدعوهم وأعرض عليهم فقلت أنت انه يدعوكم الى خير ولا أسمع الا حسنا فانى رجعت الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته بمقالتك فقال اللهم اغفر للاحنف فما شئ أرجى لى منها * وسمى الاحنف لان أمه كانت ترقصه وهو طفل وتقول

والله لولا حنف فى رجله * ما كان فى فتيانكم من مثله

تقول تحانف الرجل فى مشيته وهو أن تقبل الرجل بالابهام على الاخرى * وقال عبد الملك بن عمير وفد علينا الاحنف مع مصعب بن الزبير الكوفة فما رأيت منظرا يذم الا رأيته فيه كان ضئيلا أصلع الرأس متراكب الاسنان مائل الذقن ناتئ الوجنة باخق العينين وكان اذا تكلم جلا عن نفسه * وقال الشعبى أوفد أبو موسى الاشعرى وفد البصرة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيهم الاحنف بن قيس فلما قدموا على عمر تكلم كل رجل منهم فى حاجة نفسه وكان الاحنف فى آخر القوم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال أما بعد يا أمير المؤمنين

فان

فان أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه وأهل الشام نزلوا منازل قيصر وأهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه فى الانهار العذبة والجنان المخصبة وفى مثل عين البعير وكالجوار فى السلى تأتيهم ثمارهم قبل أن تتغير وان أهل البصرة نزلوا فى أرض سبخة زعقة نشاشة طرفها فى ملح أجاج والطرف الآخر فى الفلاة لا يأتيها الحلب الا فى مثل حلقوم النعامة فارفع خسيستنا وانعش وكيستنا واعدل لنا فقيرنا ودرهمنا ومرلنا بنهر نستعذب منه الماء فقال عمر رضى الله عنه أعجزتم أن تكونوا مثل هذا السيد هذا والله السيد فما زلت أسمعها منه ثم حبسه عنده سنة ثم قال يا أحنف انى بلوتك فأعجبتنى وانما حبستك لأعلم علمك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول احذر والمنافق العالم واشفقت عليك منه فوجدتك بريا مما تخوفت عليك وسرحه وأحسن جائزته ولم يزل يشرف حتى مات وساد بعقله وحلمه حتى يكاد يحيد لامره مائة ألف سيف وكان أمراء الانصار يلتجئون اليه فى المهمات وكان اذا أراد حريا قال الناس قد غضب زبراء نصار مثلا وزبراء جاريته كان مطبعا لها فكانوا يكنون عن غضبه فى الحرب بغضبها وكان يقول كنا نختلف الى قيس بن عاصم نتعلم منه الحلم كما نختلف الى العالم نتعلم منه العلم * وحكى خالد بن صفوان قال كنت بالرصافة عند هشام بن عبد الملك فقدم عليه العباس بن الوليد فعشيته الناس قد خلت عليه فقال حدثنى عن تسويدكم الاحنف وانقيادكم له فقلت ان شئت حدثتك عنه بواحدة تسود وان شئت باثنتين وان شئت بثلاث وان شئت حدثتك عشيتك حتى تنقضى ولم تشعر بصومك وكان صائما يوم خميس فقال هات الاولى فقلت كان أعظم من رأينا أوسعنا سلطانا على نفسه فيما أراد حملها عليه ودفعها عنه ثم أدركنى ذهنى فقلت غيرا لحلفاء فقال لقد ذكرتها لخلالا كافية فما الثانية قلت قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه ولا يكون بصيرا بالمحاسن والمساوى ولا تجمع بأحد أبصر منه بالمحاسن فى المساوى والمحاسن فلا يحمل السلطنة الا على حسن ولا يكفها الا عن قبيح فقال قد جئت بصلة الاولى لا تصلح الا بها فا الثالثة قلت قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه بصيرا بالمحاسن والمساوى ولا يكون حفيظا ولا ينشر له ذكر وكان الاحنف

عند الناس مشهورا فقال وأبيك لقد وصلت الاثنتين فما بقية ما يقطع شئ الصوم قلت أيامه السالفة مثل فتح خراسان اجتمعت عليه الاعاجم بمرو الروذ فجاءه الاقبل له به وهو فى مثل ضيعة وقد بلغ به الامر فصلى العشاء الآخرة ودعا وتضرع الى الله تعالى أن يوفقه ثم خرج يمشى فى العسكر مثل المكروب متنكرا يسمع ما يقول الناس فى بعد يحن وهو يقول لصاحب له العجب لاميرنا يقيم بالمسلمين فى منزل مضيعة وقد أطاف بهم العدو من نواحيهم واتخذوهم غرضا وله متحول فجعل الاحنف يقول اللهم وفق الامير قد قال السيد للعبد فما الحيلة قال أن ينادى الساعة بالرحيل وانما بينه وبين الغيضة فرسخ فيجعلها خلف ظهره فيمنعه الله بها فاذا امتنع ناهره بها بعث بجنبتيه اليمنى واليسرى فيمنع الله تعالى بهما ناحيته ويلقى عدوه فى جانب واحد فحمد الاحنف ثم نادى بالرحيل من مكانه حتى أتى الغيضة فنزل فى قبلها فاصبح فأتاه العدو فلم يجدوا سبيلا الامن وجه واحد وقد لوا بطبول أربعة وركب الاحنف وأخذ اللواء وحمل بنفسه على طبل فشقه وقتل صاحبه وهو يقول

ان على كل رئيس حقا * أن يخضب الصعدة أو يندقا

وشق بقية الطبول فلما فقدالاعاجم أصوات طبولهم انهزموا وركب المسلمون أكتافهم وكان الفتح ثم حمد حاله بقية أيامه الى ان انقضى النهار * وللاحنف حكايات حسنة وألفاظ محكمة ومؤاخذات معدودة عليه * فمن حكاياته ما حدث بعض غلمانه قال كان الاحنف يكثر الصلاة بالليل وكان يجئ الى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول حس ويقول ما حملك على أن صنعت كذا فى يوم كذا * وشكا اليه رجل وجع ضرسه فقال لقد ذهب نور عينى منذ ثلاثين سنة فما علم بذلك أحد * وقال له عمر رضى الله تعالى عنه أى الطعام أحب اليك قال الزبد والكمأة قال عمر ماهما بأحب الطعام اليه ولكنه يحب الخصب للمسلمين يعنى أن الزبد والكمأة لا يكونان الا فى الخصب * وخلا به رجل فسبه سبا قبيحا فقام الاحنف وهو يتبعه فلما وصل الى قومه وقف وقال يا أخى ان كان قد بقى من قولك فضلة فقل الآن والا يسمعك قومى فتؤذى * وقال له رجل بم سدت قومك ولست بأشرفهم فقال تركى

من أمرك ما لا يعنيني كما لم تترك من أمري ما لا يعنيك * وقال له رجل لا شتمنك شتما يدخل معك قبرك فقال في قبرك يدخل والله لا في قبري * وقيل لهم سدت قال لو أن الناس كرهوا الماء ما شربته * وقال يوما ما يسرني اذا نزلت بداره عجزة أني ألبنت وأسمنت قيل له يا أبا بحر وما براد من دار المحروم غير هذا فقال اني أكره سوء العادة * ووفد على معاوية مع أهل العراق فقال آذنه ان أمير المؤمنين يقسم عليكم أن لا يتكلم أحد منكم الا لنفسه فدخلوا فقال الاحنف لولا حرمة أمير المؤمنين لاخبرته أن نازلة نزلت ونائبة نابت وكلهم به فاقة الى رفد أمير المؤمنين فقال حسبك يا أبا بحر فقد كفيت من غاب ومن شهد * وذكره معاوية يوما بمحبته لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأيام صفين فقال يا أمير المؤمنين القلوب التي أبغضناك بها بين جنوبنا والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا وان شئت استصفيت كدورنا بحلمك فقال أجل * ومما عيب به وأخذ عليه أمر الزبير بن العوام رضي الله عنه وذلك انه لما ترك القتال يوم الجمل ورجع عن الحرب مر ببني تميم ذاهبا الى دياره فأتى رجل الاحنف فقال هذا الزبير قد مر آنفا فقال ما أصنع به جمع بين غازين يقتل بعضهم بعضا ويريد أن ينجو الى أهله فتبعه ابن جرموز فقتله غدرا فقال الناس انما قتله الاحنف بكلامه ذلك وان ابن جرموز انما فعل عن رأيه * وحين أتاه كتاب الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما يستنصره فقال قد بلونا حسنا وآل حسن فلم نجد عندهما آلة الملك ولا صيانة المال ولا مكيدة الحرب ولم يجبه * وقوله للحباب بن المنذر اسكت يا آدر وكان الحباب آدر * وطاعته لجاريته زبراء حتى سئل عن ذلك فقال كيف لا أطيع من لي اليه كل يوم حاجة * وأتاه رجل فلطمه فقال لم لطمتني قال جعل لي جعل على أن ألطم سيد بني تميم قال لست بسيدهم وانما سيدهم حارثة بن قدامة فمضى الرجل اليه فلطمه فقطع يده فقال الناس انما قطع يده الاحنف * وأرسل اليه عمرو بن الاهتم رجلا يكايده فقال ما كان مال أبيك ففطن له الاحنف فقال صرمة يقري منها ضيفه ويكفي عياله ولم يكن أهتم سلاحا فهذا ما حفظ من سقطاته * وقريب منها انه خاط عند رجل ثوبا ثم تقاضاه دهرا فلما ضجر أخذ بيد ولده وجاء الى الخياط فقال اذا مت فادفع الثوب الى هذا ومن كلامه لا خير في لذة تعقب ندما لن يفتقر من زهد اقبلوا عذر من اعتذر

ما أقبح القطيعة بعد الصلة أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك لا تكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان اعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك أنفق فى حق ولا تكونن خازنا لغيرك لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب عجبت لمن يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين * وقال يوما ما رددت عن حاجة قط فقيل له ولم قال لانى لا أطلب المحال * وقال ما نازعنى أحد الا وأخذت فى أمره بثلاث ان كان فوقى عرفت له فضله وان كان دونى رفعت قدرى عنه وان كان مثلى تفضلت عليه * وقال له رجل دلنى على المروءة فقال عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح ثم قال ألا أدلك على ادواء الداء قال بلى قال اكتساب الذم بلا منفعة * وقال يوما ذهبت المروءة عنا فليتها اليوم منا * ومن كلامه فى النظم وشعره قوله

ولو مد سروى بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا
فان المروءة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

وكان يجالسه رجل كثير الصمت فأعجب به الاحنف ثم تكلم يوما فقال يا أبا بحر أتقدر تمشى على شرف المسجد فقال يا أخى انى كبرت ولا أقدر على ذلك ثم أنشد يقول

وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

فرواها قوم له وقيل تمثل بها وهى لغيره فانها أرفع طبقة من شعره * ومات بالكوفة سنة تسع وستين وخرج مصعب بن الزبير فى جنازته ماشيا بغير رداء وهو أول أمير فعل ذلك فى جنازة كبير ولما وضع فى قبره قامت امرأة له فقالت لله درك من مدرج فى كفن نسأل الله الذى ابتلانا بفقدك أن يوسع لحدك ويكون لك يوم حشرك أما والذى كنت من أمره الى مدة لقد عشت حميدا مودودا ومت شهيدا مفقودا ولقد كنت من الناس قريبا وفى الناس غريبا رحمنا الله واياك فى الدنيا والآخرة وتوفانا بعدك مسلمين

(وحاتما انما جاد بوفرك واقرى الاضياف بشرك)

هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى وكنيته أبو سفانة وأبو عدى * وأجواد العرب فى الجاهلية ثلاثة حاتم الطائى وهرم بن سنان وكعب بن مامة

(قوله سروى هو ...سرو أى ساد ...مزه)

(قوله وكائن هكذا ...الاصل بدون ...ن بعد الهمزة ...كرسى لما ...لمعروف خلافه ...ى هنا على وزن ...م الفاعل كما هو ...د لغاتها راجع ...و اشى المغنى ...مزه)

...جمة حاتم الطائى

وحاتم أشهرهم ذكرا أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومات قبل مبعثه * وحكي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال يوما سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس في خير عجبا الرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا لكان ينبغي له أن يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم لما أتى بسبايا طيء وقفت جارية عيطاء لعساء فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لاطلبنها من النبي صلى الله عليه وسلم فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان أبي كان يفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم الطائي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق * وقال عدي بن حاتم ذات للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبي كان يطعم المساكين ويعتق الرقاب ويصل الرحم فهل له في ذلك أجر قال ان أباك رام أمرا فادركه يعني الذكر * وأول ما ظهر من جود حاتم أن أباه خلفه في ابله وهو غلام فمر به جماعة من الشعراء فيهم عبيد بن الابرص وبشر بن أبي حازم والنابغة الذبياني يريدون النعمان فقالوا لحاتم هل من قرى ولم يعرفهم فقال تسألوني القرى وقد رأيتم الابل والغنم انزلوا فنزلوا فنحر لكل واحد منهم وسألهم عن أسمائهم فأخبروه ففرق فيهم الابل والغنم وجاء أبوه فقال ما فعلت قال طوقتك مجد الدهر تطويق الحمامة وعرفه فقال أبوه اذا لا أبالي * وحكى عن زوجته النوار قالت أصابتنا سنة اقشعرت لها الارض وضنت المراضع على أولادها فوالله اني لفي ليلة صنبرة بعيدة ما بين الطرفين اذ تضاغى أولادنا عبد الله وعدي وسفانة فقام الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من الليل ثم ناموا ونمت أنا وأباه فأقبل علي يعللني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت وما يأتيني نوم فقال ما لها انامت فسكت ثم تهورت النجوم اذا شيء قد رفع كسر البيت فقال ما هذا قالت جارتك فلانة قال ما لك قالت أتيتك من عند صبية يتعاوون عوى الذئاب من الجوع قال

تسألوني كذا في الاصل بحذف نون الرفع وهو معهود في كلامهم من غير ناصب ولا جازم كثبوتها معهما ولا جائز أن تكون هي الموجودة لانها المحتمة قبل بالنفس (حمزه)

أعجلهم فهبت اليه فقلت ماذا صنعت فوالله لقد تضاغى صبيتك من الجوع فما أصبت ما يعللهم فقال اسكتي وأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي بجانبها اربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه جلاب فنحره وكشط عن جلده ودفع المدية الى المرأة ثم قال ابعثي صبيانك فبعثتهم فاجتمعوا فقال تاكلون دون أهل الصوم ثم جعل يأتي بيتا بيتا ويقول دونكم النار فاجتمعوا فالتفع بثوبه ناحية ينظر الينا فوالله ما ذاق منها مزعة وانه لاحوجهم واصبحنا وما على الارض الا عظم أو حافر * وحكى ابن الاعرابي قال أسر حاتم في عنزة فقالت له امرأة يوما قم فافصد لنا هذه الناقة وكان الفصد عندهم ان يقطع عرق من عروق الناقة ثم يجمع الدم فيشوى ويؤكل فقام حاتم الى الناقة فعقرها فلطمته المرأة فقال لو غير ذات سوار لطمتني فذهبت مثلا ثم قال له النسوة انما قلنا افصدها قال هذا فزدي يعني انه فصدي وهي لغة طي * وحكى المدائني قال أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان فلقيوا حاتما فقالوا انا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا اليك رسالة قال وما هي فأنشده الاسديون شعرا للنابغة فيه فلما انشدوه قالوا انا نستحي أن نسألك شيأ وان لنا الحاجة قال وما هي قالوا صاحب لنا قد رحل بعني فقد راحلته فقال حاتم خذوا فرسي هذه فاحملوه عليها فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت يتبع أمه واتبعته الجارية فصاح حاتم ما تبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية * ولحاتم أخبار كثيرة وشهرة زائدة وكانت أمه أم عتبة بنت عفيف موسرة لا تمسك شيأ وكان اخوتها يمنعونها فتأبى فحجروا عليها سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع ثم مكنوها من صرمة من ابلها وقالوا استمتعي بها فأتتها امرأة من هوازن فسألتها فقالت دونك الصرمة فقد والله ذقت من الفقر ما آليت أن لا أمنع سائلا شيأ * وحاتم من فحول الشعراء ومن محاسن شعره قوله وجه الله ان شاء بكرمه

أعاذل ان المال غير مخلد * وان الغنى عارية فتزود
وكم من جواد يفسد اليوم جوده * وساوس قد ذكرنه الفقر في غد
وكم ليم آبائي فما كف جودهم * ملام ومن أيديهم خلقت يدي

قوله فلقيوا كذا في الاصل باثبات الياء والمعهود حذفها ونقل ضمتها لما قبلها كنسوا فليحرر (حمزه)

وقوله

وقوله يخاطب امرأته

أماوي ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوي مايغني التراث عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوي ان يصبح صداى بقفرة * من الارض لا ماء لدى ولا خمر
ترى أن ما أهلكت لم يك ضرنى * وان يدى مما بخلت به صفر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر
وانى لا آلو بمالى صنيعة * فأوله زاد وآخره ذخر
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى * وكلا سقاناه بكأسيهما الدهر
فما زادنا بغيا على ذى قرابة * غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

وقوله يصف طارقا

عرا آيسا شبه الجنون وما به * جنون ولكن كيد أمر يحاوله
فأثقبت نارى ثم أبرزت ضوءها * وأخرجت كلبى وهو فى البيت داخله
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * رشدت ولم أقعد اليه أسائله
وقمت الى البزل الهجان أعدها * لوجبة حق نازل أنا فاعله

وقوله أيضا

حننت الى الاجبال أجبال طىء * وحنت قلوصى أن رأت شوط أجرا
وانى لمزجاء المطى على الوجى * وما أنا من خلانك ابنة عفزرا
فلا تسأليني واسألى أى فارس * اذا الخيل جالت فى قنا قد تكسرا
فلا تسأليني واسألى بى صحابتى * اذا ما المطى فى الفلاة تضوّرا
رأتنى كأشلاء اللجام وان ترى * أخا الحرب الاساهم الوجه أغبرا
أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقوله أيضا

وعاذلتين هبتا بعد هجعة * تلومان متلافا مفيدا ملوّما
لحا الله صعلوكا مناه وهمه * من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما
ولله صعلوك يساور همه * ويمضى عن الاحداث والهول مقدما
اذا مارأى يوما مكارم اعرضت * تيمم كبراهن ثمت صمما

(وزيد بن مهلهل انما ركب بمخذبك)

ترجمة زيد الخير

هو زيد بن مهلهل بن زيد ابن الطائي فارس مظفر بعيد الصيت أدرك الاسلام وأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وهو شاعر مفلق معدود من الشعراء والفرسان وانما سمي زيد الخيل لكثرة خيله فانه لم يكن لكثير من العرب غير الفرس والفرسين وكانت له خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره مثل الهطال وكامل ودول ولاحق وكان زيد الخيل عظيم الخلقة طويلا جدا ويسمى مقبل الظعن لانه كان يقبل المرأة من الارض وهي في الهودج وكذلك أبو زيد الطائي وابن جذل الطعان كما ذكره الرواة (وحكى) أبو عمرو الشيباني قال وفد زيد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زر بن سدوس وغيره من طيء فأناخوا ركابهم بباب المسجد ودخلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فلما رآهم قال اني خير لكم من العزى ومما حازت مناع من كل ضار غير نفاع ومن الجمل الاسود الذي تعبدونه من دون الله فقام زيد الخيل وكان من أتم الرجال يركب الفرس ورجلاه تخط في الارض كأنه على حمار فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله فقال ومن أنت قال زيد الخيل بن المهلهل فقال بل أنت زيد الخير ثم قال الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك ورقق قلبك على الاسلام يا زيد ما وصف لي رجل فرأيته الا كان دون ما وصف الا أنت فانك فوق ما قيل فيك وفي رواية أخرى ان فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الأناة والحلم فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجل ان سلم من آطام المدينة فاخذته الحمى فمكث سبعا ثم اشتدت به الحمى فخرج وقال لاصحابه جنبوني بلاد قيس فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية ولا والله لا أقاتل مسلما حتى ألقى الله عز وجل فنزل بماء بجرم يقال له فردة واشتدت به الحمى فقال

أمرتحل صحبي المشارق غدوة * وأترك في بيت بفردة منجد

فليت اللواتي عدنني لم يعدنني * وليت اللواتي غبن عني عودي

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب معه لبني نبهان كتابا بفدك فمكث زيد الخيل بفردة سبعا ثم مات فأقام عليه قبيصة بن الاسود النياحة سبعا ثم بعث راحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظرت امرأته

قوله وابن جذل الخ عبارة القاموس وجذل الطعان بالكسر لقب علقمة ابن فراس من مشاهير العرب اه فلينظر مع ما هنا وحرراه مصححه كذا بهامش الاصل ويمكن أن المذكور هنا ابن ذاك فلا منافاة (جزه)

وكانت

وكانت على الشرك الى الراحلة وليس عليها زيد ضربتها بالنار فاحترق الكتاب فيما احترق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربها الراحلة بالنار واحتراق الكتاب قال ويل لبني نبهان (وحكى) الشيباني عن شيخ من بني عامر قال أصابتنا سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل من القوم بعياله حتى أنزلهم الحيرة فقال لهم كونوا قريبا من الملك ليصيبكم من خيره حتى أرجع اليكم وآلى ألية لا يرجع حتى يكسبهم خيرا فتزود زادا ثم مشى سبعة أيام حتى انتهى الى عطن ابل مع تطفل الشمس فاذا خباء عظيم وفيه قبة من أدم قال فقلت في نفسي ما لهذا الخباء بد من أهل وما لهذا العطن بد من ابل فنظرت في الخباء فاذا شيخ قد اختلفت ترقوتاه كأنه نسر فجلست خلفه مختفيا فلما وجبت الشمس اذا بفارس قد أقبل لم أر قط فارسا أعظم منه ولا أجسم على فرس مشرف ومعه عبدان عشيان جنبيه واذا مائة من الابل مع فحلها فبرك الفحل وبركن معه وحوله فقال لاحد عبديه احلب فلانة ثم اسق الشيخ فحلب في عس حتى ملأه ثم وضعه بين يدي الشيخ وتنحى فكرع الشيخ منه مرة أو مرتين ثم نزع فثرت اليه مختفيا فشربته فرجع العبد فقال يا مولاي قد أتى على اخر العس ففرح وقال له احلب فلانة فحلبها ثم وضع العس بين يدي الشيخ فكرع منه واحدة ثم نزع فثرت اليه فشربت نصفه وكرهت أن آتي على آخره فجاء العبد فأخذه ثم أمر مولاه بشاة فذبحها وشوى للشيخ منها ثم أكل هو وعبداه فأمهلت حتى اذا ناموا وسمعت الغطيط ثرت الى الفحل فحللت عقاله فاندفع وتبعته الابل فهمست ليلتي حتى الصباح فلما علا النهار اذا أنا بفارس قد أقبل واذا هو صاحبي فعقلت الفحل وتثلت كنانتي ووقفت بينها وبين الابل فوقف بعيدا وقال احلل عقاله فقلت كلا لقد تركت نسيات بالحيرة وآليت أن لا أرجع اليهن حتى أفيدهن خيرا أو أموت قال فانك ميت حل عقاله لا أبالك فقلت هو ما أقول لك انك لمغرور ثم قال انصب لي خطامه وفيه ثلاث عجر ففعلت فقال أين تحب أن أضع سهمي فقلت في هذا الموضع فكأنما وضعه بيده ثم رمى الثلاثة صائبا فرددت نبلي ووقفت مستسلما فدنا مني فأخذ السيف والقوس ثم قال اركب وعرف أني الذي شربت اللبن عنده فقال كيف ظنك بي قلت أحسن ظن قال وكيف قلت لما لقيت من تعب ليلتك

وقد أظفرك الله بى فقال أترانى كنت اهيجك وقد بت تنادم مهلهلا قالت أزيد الخيل أنت قال نعم فقلت كن خير آخذ قال لا بأس عليك ومضى بى الى موضعه ثم قال أما لو كانت هذه الابل لى لسلمتها اليك ولكنها لابنة مهلهل فأقم على فانى على شرف غارة فأقمت أياما ثم غار على بنى نمير بالملح فأصاب ابلا فأعطانيها وبعث معى خفيرا من ماء الى ماء حتى وردت الحيرة (وحكى) الاصمعى قال أسر زيد الخيل الحطيئة الشاعر وكعب بن زهير فى حرب فأما كعب ففداه قومه وأما الحطيئة الشاعر فشكا الحاجة فقال زيد

أقول لعبدى جرول اذ أسرته * أثبنى ولا يغررك أنك شاعر

فقال الحطيئة

ان لا يكن مالى بآت فاننى * سيأتى ثنائى زيدا ابن مهلهل

فما نلتنا غدرا ولكن لقيتنا * غداة التقينا فى المضيق بأخيل

تفادى حماة الخيل من وقع رمحه * تفادى ضعاف الطير من وقع أجدل

فرضى عليه زيد ومن عليه فلما رجع الحطيئة الى قومه قام شاكرا لزيد ذاكرا النعمته فلما أسرت طىء بنى بدر طلبت فزارة الى شعراء العرب أن تهجو بنى لام وزيدا فتحامتهم الشعراء فصاروا الى الحطيئة فأبى عليهم فقالوا نجعل لك مائة من الابل فقال لو جعلتموها ألفا ما فعلت ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لام بظهر الغيب تأتينى

ومن شعر زيد الخيل قوله

بنى عامر هل تعرفون اذا غدا * أبو مكنف قد شد عقد الدوائر

بجيش تظل البلق فى حجراته * ترى الأكم منه سجدا للحوافر

أبت عادة للورد أن تكره القنا * وحاجة رمحى فى غمير وعامر

وقوله وقد غزا غزوة فضلع فرس من خيله فلم يتبع الخيل فأخذه بنو الصيداء

يا بنى الصيداء ردوا فرسى * انما يصنع هذا بالذليل

لا تذيلوه فانى لم أكن * يا بنى الصيد المهرى بالمذيل

عودوه بالذى عودته * دلج الليل وايطاء القتيل

وقوله أيضا

جلبنا الخيل من أجا وسلمى * تخب ترابعا خبب الذئاب

قوله ان لا يكن هكذا فى النسخ وفيه الخرم كما لا يخفى اهـ مصححه

ضربن بغمرة فخرجن منها * خروج الودق من خلل السحاب
وقد علموا بنو عبس وبدر * ومرة انني شقب عقابي

ترجمة سليك بن سلكة

(والسليك ابن السلكة اغماعدا على رجليك)

هو السليك بن عمرو بن يثربي أحد بني مقاعس وأمه السلكة جاهلي قديم وهو أحد صعاليك العرب واصوصهم العداثين الذين كانوا لا يلحقون ولا تتعلق بهم الخيل (حكي) ابن شهاب قال كان السليك السعدي اذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل أغار وكان أدل من قطاة فيجيء حتى يقف على البيضة وكان لا يغير على مضر بل على اليمن فاذا لم يفد أغار على ربيعة وكان يقول اللهم انك تهيئ ماشئت لمن شئت اللهم اني لو كنت ضعيفا لكنت عبدا ولو كنت امرأة كنت أمة اللهم اني أعوذ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة فذكروا انه أملق حتى لم يبق له شيء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب بابله حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء مقمرة فاشتمل الصماء ثم نام فبينما هو نائم اذ جثم عليه رجل فقعد على جنبه فقال له استأسر فرفع السليك رأسه وقال الليل طويل وأنت مقمر فذهبت مثلا فجعل الرجل يلهزه ويقول ياخبيث استأسر فلما آذاه أخرج السليك يده وضم الرجل ضمة ضرط منها وهو فوقه فقال السليك أضرطا وأنت الاعلى فذهبت مثلا ثم قال السليك من أنت قال رجل افتقرت فقلت لاخرجن فلا أعود الى أهلي حتى أستغني قال فانطلق معي فانطلقا فوجدا رجلا قصته مثل قصتهما فاصطحبوا جميعا حتى أتوا الجوف وهو جوف مراد فلما أشرفوا عليه اذ فيه نعم كثيرة فهابوا أن يغزوا فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب فقال لهم السليك كونوا قريبا حتى آتي الرعاة فاعلم لكما علم الحي أقريب أم بعيد فان كان قريبا رجعت اليكم وان كان بعيدا قلت لكم قولا أومئ اليكم به فاغزوا فانطلق حتى أتى الرعاة فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحي فاذا هو بعيد ان طلبوا لم يدركوا فقال السليك للرعاة ألا أغنيكم قالوا بلى فرفع صوته وغنى

ياصاحبي ألا لاحي بالوادي * الاعبيد قيام بين اذواد
هل تنظران قليلا ريث غفلتهم * أم تغدوان فان الرابح الغادي

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فطردا الابل فذهبوا بها كرابا كثيرا ولم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوهم (وحكى) أبو عبيدة قال بلغني أن السليك رأى طلائع لبكر بن وائل وكانوا جردوا من ليغزوا على بني تميم ولا يعلم بهم فقالوا ان علم السليك أنذر بنا قومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين فلما هاجاه خرج يحضر كأنه ظبي وطارداه عامة يومهما ثم قالا اذا كان الليل أعيا ثم سقط وأقصر عن العدو فنأخذه فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فتبرأ عنها وندرت قوسه فانحطمت فوجدا قصدة منها قد أثرت بالارض فقالا ماله أخزاه الله وهما بالرجوع ثم قالا لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر فتبعاه فاذا أثره متفحصا قد بال فرغا في الارض وخدها فقالا ماله قاتله الله ما رأينا أشد منه لا نتبعه أبدا فانصرفا ووصل الى قومه فأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية فأنشد يقول

يكذبني العمران عمرو بن جندب * وعمرو بن سعد والمكذب أكذب
ثكلتهما ان لم أكن قد رأيتها * كراديس يهديها الى الحي موكب

وجاء الجيش فأغاروا (وحكى) الاصمعي أن السليك لقي رجلا من خثعم ومعه امرأة فأخذه فقال له الخثعمي أنا أفدي نفسي منك فقال له السليك ذلك لك على أن لا تخيس بي ولا تطلع على أحد من خثعم فحالفه وخلف عنده امرأته رهينة ورجع الى قومه فنكحها السليك وجعلت تقول له احذر خثعم فاني أخافهم عليك فقال

وما خثعم الا لئام أذلة * الى الذل والاسحاق تنمي وتنتمي

وبلغ خبره شبل بن قلادة وأنس بن مدرك الخثعمي فخالفا الى السليك فلم يشعر الا وقد طرقاه بالخيل فأنشأ يقول

من مبلغ قومي أني مقتول * يارب قرن قد تركت مجدول
ورب زوج قد نكحت عطبول * ورب عان قد فككت مكبول

ثم عطفا عليه وليس له طريق للعدو فقتلاه * ومن شعره وقد أغار بقوم فانصرفوا عنه خوفا من العطش وبقي معه رجل يسمى صرداً فبكى فقال السليك منشدا

بكى صرد لما رأى الحي أعرضت * مهامه رمل دونه وسهوب

فقلت له لا تبك عينك انها * قضية ما يقضي انما فتؤب
سيكفيك ضرب القوم لحم معرض * وماء قدور في القصاع مشوب
أقول الضرب اللبن الحامض وماء القدور والمرق كأنه يقول ستستغنى وتأكل اللحم بعد اللبن وقوله

ألا هتبدت على قصارمتي * وأعجبها ذو واللمم الطوال
أشاب الرأس أني كل يوم * أرى لي حالة وسط الرجال
يشق على أن يلقين ضيما * ويقصر عن تخلصهن مالي

ترجمة ملاعب الاسنة

(وعامر بن مالك انما لاعب الاسنة بيديك)

هو عامر بن مالك بن جعفر من بني صعصعة المعروف بملاعب الاسنة ويكنى أبا براء وأمه أم البنين أنجب امرأة في العرب وذلك أنها ولدت من مالك بن جعفر خمسة أبا براء والطفيل أبا عامر بن الطفيل وربيعة أبا لبيد ونزارا ومعاوية ويسمى معود الحكماء وقد افتخر بها لبيد عند النعمان فقال * نحن بني أم البنين الاربعة * وانما قال الاربعة لضرورة الشعر ونصب بني على المدح وأبو براء هو رجل من فرسان العرب المشهورين وكبارهم وانما لقب ملاعب الاسنة لقول أوس بن حجر فيه

يلاعب أطراف الاسنة عامر * فراح له حظ الكتائب أجمع

وقيل لقول آخر وقد فر عنه أخوه في حرب

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا * يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

وقيل لقول حسان بن نمير وقد رآه بين فرسان أطافوا به يقاتلهم ما هذا الا ملاعب الاسنة * ووفد عامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم وزعم بنو جعفر انه مات مسلما حيث حدث خالد بن عبد الله قال قدم عامر بن مالك أبو براء ملاعب الاسنة وأمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له فرسين وراحلتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قبلت هدية مشرك لقبلت هديتك وعرض عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد اني أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومي خلفي فلو أنك بعثت نفرا من أصحابك لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك فان تبعوك فما أعز أمرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أخاف عليهم أهل نجد فقال عامر لا تخف

انى جارلهم ان تعرض لهم أحد من أهل نجد فبعث معه أربعين رجلا من الانصار وقيل سبعين وأمر عليهم المنذر بن عمرو فلما نزلوا بماء من مياه بنى سليم يقال له بئر معونة عسكروا وسرحوا ظهورهم وبعثوا مع سرحهم الحرث ابن الصمة وعمرو بن أمية وقدموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل فى رجال من بنى عامر فلما انتهى حرام لم يقرؤا الكتاب ووثب عامر بن الطفيل على حرام فقتله واستصرخ عليهم بنى عامر فأبوا وقد كان عامر بن مالك خرج قبل القوم الى ناحية نجد وأخبرهم انه جار أصحاب محمد فلا تتعرضوا لهم فقالوا لن نخفر جوار أبى براء وأبوا أن ينفروا مع ابن الطفيل فاستصرخ قبائل من بنى سليم فنفروا معه ورأسوه عليهم فقال ابن الطفيل أقسم بالله ما أقتل هذا وحده فاتبعوا أثره حتى وجدوا القوم فقاتل القوم حتى قتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى المنذر بن عمرو فقالوا له ان شئت آمناك فقال لن أقبل منكم أمانا حتى آتى مقتل حرام فأمنوه حتى أتى مصرعه ثم برئوا من أمانه فقاتلهم حتى قتل وأقبل الحرث بن الصمة وعمرو بن أمية بالسرح وقد ارتابا بعكوف الطير قريبا من منزلهم فجعلا يقولان قتل والله أصحابنا ثم أوفيا على نشز من الارض فاذا أصحابهما مقتولون والخيل واقفة فقال الحرث لعمرو وماترى قال أرى أن ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال الحرث ماكنت لا تأخر عن موطن قتل فيه المنذر فأقبلا فلقيا القوم فقاتلهم الحرث حتى قتل منهم اثنين ثم أخذوه فأسروه وأسروا عمرو بن أمية وقالوا للحرث ماتحب أن نصنع بك فانا لا نحب قتلك فقال ابلغوابى مصرع المنذر وبرئت ذمتكم فبلغوا به مصرع الرجل ثم أطلقوه فقاتلهم وقتل منهم اثنين فشرعوا له الرماح حتى نظموه فيها قتلا وقال عامر بن الطفيل لعمرو بن أمية وهو أسير فى أيديهم لم يقاتل انه كانت على أمى نسمة فانت حر عنها وجز ناصيته فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بئر معونة جعل يقول هذا عمل أبى براء قد كنت لهذا كارها ودعا على من قتلهم بعد الصبح فى الركعة الثانية من صبح تلك الليلة التى جاءه فيها الخبر فلما قال سمع الله لمن حمده قال اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم عليك ببنى ذكوان وعصية فانهم عصوا الله ورسوله قال ذلك

خمس عشرة ليلة حتى نزلت الآية ليس لك من الامر شيء ثم أقبل أبو براء سائر وهو شيخ كبير هرم فأخبر بما فعل ابن الطفيل فشق ذلك عليه ولا حركة به من الضعف وقال اخفرني ابن اخي مرتين وسار حتى لحق ابن الطفيل فطعنه بالرمح فأخطأ مقتله وقيل كان الطاعن ربيعة ولده فتصايح الناس فقال ابن الطفيل انها لم تضرني وقد وهبتها لعمي وانصرف عنه ونزل عامر بن مالك بقومه فدعاهم الى الارتحال الى النبي صلى الله عليه وسلم وطلب ثار القتلى الذين كانوا في جواره فتثاقلوا عليه وقال له بعض بني اخيه انهم يقولون انه حدث لك عارض في عقلك فدعا ابن اخيه لبيدا وقينة له فشرب وقال لها غني ثم قال يا لبيد لو حدث بعمك حدث ما كنت قائلا فان قومك يزعمون ان عقله ذهب والموت خير من ذهاب العقل وبعضهم يرويها من عزوب العقل وقال يا لبيد اسمع

قوما تنوحان مع الانواح * فأبنا ملاعب الرماح

أبا براء مدره الشياح * كان غياث المرمل الممتاح

وهي من أبيات ثم شرب أبو براء الخمر صرفا حتى مات وهو يقول لا خير في العيش وقد عصتني بنو عامر وبنو جعفر يزعمون انه مات مسلما وكان شريف بيته يزعمون انه لما تنافر ابن اخيه عامر بن الطفيل مع علقمة بن علاثة سأل عمه الاعانة فأعطاه نعليه وقال استعن بهما في مفاخرتك فاني ربعت فيهما أربعين مربعا مع انه كان كارها للمنافرة وفي ذلك يقول

أأومران أسب بني شريح * ولا والله افعل ما حييت

ومن احسن ما سمعت من شعره قوله

لحا الله أنآنا عن الضيف بالقرى * والأمنا عن عرض والده ذبا

وأدخلنا للبيت من قبل استه * اذا القور ابدى من جوانبه ركبا

القور الأكم والجبال الصغار يعني ان البخيل اذا كان جالسا بفنائه فرأى راكبا قد لاح من القور زحف بظهره داخلا الى بيته فرارا وخشية من الضيف كيلا يراه فيطرقه

(وقيس بن زهير انما استعان بدهائك)

هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي صاحب الحروب بين عبس وذبيان

قوله فأبنا أبا له وحدة أي أبونا وهو على آفة النقص (جز).

ترجمة قيس بن زهير

بسبب الفرسين داحس والغبراء كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه كان فارسا شاعرا داهية يضرب به المثل فيقال أدهى من قيس (حكى) المدائني ان رجلا من بني الاحوص فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فأتى شجرة فعلق عليها وطبا من لبن ووضع في بعض أغصانها حنظلة ووضع صرة من تراب وصرة من شوك ثم أتى راحلته فاستوى عليها وذهب فنظر الاحوص والقوم في أمره فعي به فقال أرسلوا الى قيس بن زهير فجاء فقال له الاحوص ألم تخبرني انه لا يرد عليك أمر الا عرفت مأتاه ما لم تر نواصي الخيل قال فالخبر فأعلموه فقال وضح الصبح لذي عينين فصاره مثلا يضرب في وضوح الشيء ثم قال هذا رجل أسره جيش قاصد لكم ثم أطلق بعد أن أخذت عليه العهود والمواثيق أن لا ينذركم فعرض لكم بما فعل أما الصرة من التراب فانه يزعم أنه قد أتاكم عدد كثير وأما الحنظلة فانه يخبر أن بني حنظلة غزتكم وأما الشوك فانه يخبر أن لهم شوكة وأما اللبن فهو دليل على قرب القوم أو بعدهم ان كان حلوا أو حامضا فاستعد الاحوص وورد الجيش كما ذكر (وحكى) أن النعمان بن المنذر أرسل الى أبيه زهير يخطب ابنته وسأله أن يبعث اليه ببعض بنيه فأرسل اليه ولده شاسا فلما قدم عليه أكرمه وأحسن جائزته ورده الى أبيه وعرض عليه ان يتبعه قوم يخفرونه فقال لا شيء أمنع لي من نسبتي الى أبي وخرج وحده فرجاء من مياه بني غني فأكل وشرب ونزل الى الماء يغتسل وكان رياح بن الاشل الغنوي نازلا في بيته على الماء ومعه امرأته فرآها تحدد النظر الى جسد شاس وقد شمت منه رائحة المسك فأخذته غيرة ففوق اليه سهما فقتله وغيب أثره وأخذ ما معه وكان معه عيبة مملوءة مسكا وعطرا من عطر النعمان وحللا من ثيابه وأبطأ خبر شاس عن زهير فأخبرها انصرف به من عند النعمان ولم يدر من قتله فقلق لذلك فقال قيس يا أبت أنا أكشف لك خبر أخي ثم دعا بامرأة حازمة من نساء قومه وكانت السنة شديدة فأمرها ان تأخذ تحاسمينا فتقلده وتخرج به الى بني عامر وغني وتعرض ذلك عليهم وتقول اني قد زوجت ابنتي وأنا أبتغي لها طيبا وثيابا ففعلت الى ان وقعت على امرأة الغنوي فقالت لها ان كتمت على اعطيتك حاجتك واخبرتها بأمر شاس واعطتها مسكا وثيابا وباعتها ذلك بما معها من

الشحم

الشحم واللحم وخرجت العبسية حتى أتت قيسا فأخبرته فأخبر أباه فركب في قوم من بني عبس وأغار على غني فقتلهم وفرقهم (وحكى) انه في بعض حروبه لبني ذبيان وهو يوم الشعب المشهور صعد بالجيش والنعم الى الجبل وعقل الابل عشرة أيام لا تشرب والماء كثير تحت الجبل فلما همت بنو ذبيان بالصعود الى الجبل حل عقال الابل وأمسك بذنب كل بعير رجل معه سلاحه فمرت الابل طالبة الماء لا تمر بشيء الا طحنته والرجال في أعقابها تضرب من مرت به فكانت الهزيمة على بني ذبيان (وحكى) انه لما تطاولت الحروب بينه وبين حذيفة وحمل ابني بدر الذبيانيين جمع جمعا عظيما وبلغ بني عبس انهم قد ساروا اليهم فقال قيس أطيعوني فوالله لئن لم تفعلوا لاتكئن على سيفي الى أن يخرج من ظهري قالوا فانا نطيعك فأمرهم فسرحوا السوام والضعاف بليل وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ثم ارتحلوا في الصبح وأصبحوا على ظهر العقبة وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل من الثنايا فقال قيس خذوا غير طريق المال فلا حاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم ولا يريدون غير ذهاب أموالكم فأخذوا غير طريق المال فلما أدرك حذيفة الاثر ورآه قال أبعدهم الله وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم وسارت ظعن عبس والمقاتلة من ورائهم وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال فلما أدركوه ردوا أوله على آخره ولم يفلت منهم شيء وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الابل فيذهب بها وينفرد واشتد الحر فقال قيس يا قوم ان القوم قد فرق بينهم المغنم واشتغلوا فاعطفوا الخيل في آثارهم فلم يشعر بنو ذبيان الا بالخيل فلم يقاتلهم كثيرا أحد وانما كان هم الرجل في غنيمته أن يحوزها ويمضي فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية ولم يكن لهم هم غير حذيفة فأرسلوا الخيل تقص أثرهم وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه فنزل عنه ووضع رجله على حجر مخافة أن يقص أثره ثم شد الحزام فعرفوا حنف فرسه والحنف أن تميل احدى اليدين على الاخرى فتبعوه ومضى حتى استغاث بجفر الهباءة وهو موضع بماء الهباءة وقد اشتد الحر وقد رمى بنفسه ومعه حمل بن بدر أخوه وورقاء بن بلال وقد نزعوا سلاحهم وطرحوا سروجهم ودوابهم تمعك وجعل ربيئتهم يتطلع فاذا لم ير شيأ رجع

فنظر نظرة فقال انى رأيت شخصا كالنعامة فلم يكترثوا بقوله وبينما هم يتكلمون اذ دهمهم شداد بن معاوية فحال بينهم وبين الخيل ثم جاء قرواش وقيس حتى تناموا خمسة فحمل بعضهم على خيلهم فطردها وحمل البقية على من فى الجفر فقال حذيفة يا بنى عبس فأين العقول والاحلام فضربه أخوه حمل بين كتفيه وقال اتق مأثور القول فذهبت مثلا يعنى انك تقول قولا تخضع فيه وتقتل ويشتهر عنك وقتل حذيفة وحمل ومن معه وتمزقت بنو ذبيان وأسرف قيس فى النكاية والقتل ثم ندم على ذلك ورثى حمل بن بدر بالابيات المشهورة فى الحماسة وهو أول من رثى مقتوله ولما أطال الحروب ومل أشار على قومه بالرجوع الى قومهم ومصالحهم فقالوا اسر نسر معك فقال لا والله لا نظرت فى وجه ذبيانية قتلت أباها أو أخاها أو زوجها أو ولدها ثم خرج على وجهه حتى لحق بالنمر بن قاسط فقال يا معشر النمر أنا قيس بن زهير غريب حرب فانظروا الى امرأة قد أدبها الغنى وأذلها الفقر فزوجوه امرأة منهم ثم قال انى لا أقيم فيكم حتى أخبركم باخلاقى انى امرؤ غيور فخور أنف ولست أفخر حتى ابتلى ولا أغار حتى أرى ولا آنف حتى أظلم فرضوا باخلاقه فأقام فيهم زمانا ثم أراد التحول عنهم فقال يا معشر النمر انى أرى لكم على حقا صاهرتى لكم ومقامى بين أظهركم وانى آمركم بخصال وأنهاكم عن خصال عليكم بالاناة فيها تدرك الحاجة وتسويد من لا تعابون بتسويده والوفاء فبه تتعايشون واعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسئلة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح وخلط الضيف بالالزام واياكم والرهان فبه ثكلت مالكا أخى والبغى فانه صرع زهيرا أبى وحملا والسرف فى الدماء فان قتل أهل الهباءة أورثنى العار ولا تعطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق ثم رحل الى عمان فأقام بها حتى مات وقيل انه خرج هو وصاحب له من بنى أسد عليهما المسوح يسيحان فى الارض ويتقوتان مما تنبت الى أن دفعا فى ليلة قرة الى أخبية لقوم من العرب وقد اشتد بهما الجوع فوجدا رائحة القتار فسعيا بر يدانه فلما قاربا أدركت قيسا شهامة النفس والانفة فرجع وقال لصاحبه دونك وما تريد فان لى لبثا على هذه الاجارع أترقب داهية القرون الماضية فقضى صاحبه ورجع من الغد فوجده قد لجأ الى شجرة

بأسفل وادفنال من ورقها شيأ ثم مات وفى ذلك يقول الحطيئة من أبيات

ان قيسا كان ميتته * أنفا والحر منطلق
فى دريس لايغيبه * رب حر ثوبه خلق

ومن شعر قيس بن زهير يرثى حمل بن بدر يقول

تعلم ان خير الناس ميت * على جفر الهباءة لا يريم
ولولا ظلمه مازلت أبكى * عليه الدهر مابدت النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغى مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومى * وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسونى * فمعوج على ومستقيم

وقوله أيضا

تعرفن من ذبيان من لولقيته * بيوم حفاظ طارفى اللهوات
ولوان سافى الريح يجعلكم قذى * لاعيننا ماكنتم بقذاة

وقوله أيضا

اذا أنت أقررت الظلامة لامرئ * ومالك بأخرى شبهها متفاقم
فلاتبعد للأعداء الاخشونة * فمالك منهم أن تمكن راحم

ترجمة اياس ابن معاوية

(واياس بن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك)

هو اياس بن معاوية بن قرة المزنى قاضى البصرة وكنيته أبو واثلة صاحب الفراسة والاجوبة البديعة يضرب به المثل فيقال أزكن من اياس والزكن التفرس بالشئ بالظن الصائب قال الشاعر

زكنت منهم على مثل الذى زكنوا وبعض الناس يقول أذكى من اياس وهو الذى أراده أبو تمام فى قوله فى حلم أحنف فى ذكاء اياس (حكى) ابن عائشة قال أول ماعرف من ذكاء اياس انه دخل الشام وهو صغير فقدم خصما له شيخا الى قاضى عبد الملك بن مروان وكان القاضى يعرف الخصم فقال لا ياس أما تستحى تتقدم شيخا كبيرا فقال اياس الحق أكبر منه قال له اسكت قال فمن ينطق بحجتى اذا سكت قال ما أحسبك تقول حقا حتى تقوم قال أشهد أن لا اله الا الله فقام القاضى فدخل على عبد الملك فأخبره الخبر فقال اقض حاجته واصرفه عن الشام لئلا يفسد علينا الناس (وحكى) غيره

قال أول ما عرف من ذكاء اياس انه كان صبيا فى المكتب فاجتمع قوم من النصارى يضحكون من المسلمين وقالوا ان المسلمين يزعمون انه لا يكون فى الجنة ثفل الطعام يعنون الغائط فقال اياس لمعلمه يا معلم أليس تزعم أن أكثر الطعام يذهب فى البدن قال نعم قال فما ينكر أن يكون الباقى يذهبه الله فى البدن فسكت النصارى وأعجب به المعلم وحكى أنه دخل الى الشام مرة ثانية وأراد الحج فقال لامكارى انظر لى انسانا غريبا فانى أريد أن أخرج سرا يعنى عديله فاكراهما فلبثا فى المحمل ثلاثا لا يسأل هذا هذا شيأ فقال اياس يا عبد الله بعد ثلاث لا أصبر من أنت قال غيلان فقال غيلان العذرى قال نعم فمن أنت قال اياس قال أبو واثلة قال نعم ان شئت سألتنى وان شئت سألتك فقال له غيلان تكلم قال ان شئت أخبرتك بخبر أهل الجنة والنار والملائكة والشيطان والعرب والعجم فقال غيلان أخبرنى بها قال قال أهل الجنة حين دخلوها الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وقال أهل النار حين دخلوها ربنا غلبت علينا شقوتنا وقالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وقال الشيطان رب بما أغويتنى وقالت العرب

ولا ينعتاك الطير شيأ أرته * فقد خط بالاقلام ما كنت لاقيا

وقالت العجم هرچه بايدبان بودهماں ازبيش * وكان سبب ولايته القضاء أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أرسل رجلا من أهل الشام وأمره ان يجمع بين اياس والقاسم بن ربيعة ويولى القضاء انفذهما فجمع بينهما فكان كل منهما يمتنع من الولاية فقال اياس للشامى سل عنى وعن القاسم فقيهى المصر الحسن البصرى وابن سيرين فعلم القاسم انه ان سأل عنهما اشارا به فقال للشامى لا تسأل عنه فوالله الذى لا اله الا هو ان اياسا لافضل منى وأعلم بالقضاء فان كنت ممن يصدق فينبغى لك أن تصدق قولى وان كنت كاذبا فما يحل لك أن توليني القضاء وأنا كذاب فقال اياس للشامى انك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار بيمين كاذبة يستغفر الله عز وجل منها وينجو من النار فقال الشامى أما اذ فطنت لها فانى أوليك فاستقضاه فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب ولما ولى القضاء

دخل عليه الحسن البصري فبكى اياس وقال يا أبا سعيد بلغني أن القضاة ثلاثة رجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن ان فيما قضى الله تعالى في النبي داود ما يرد قول مولاى ثم قرأ قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فحمد سليمان ولم يذم داود (وحكى) المدائني قال اودع رجل آخر كيسا فيه دنانير وغاب مدة طويلة فلما طال الامر فتق الرجل الكيس وأخذ الدنانير ووضع عوضها دراهم والخيط والخاتم على حاله ثم قدم صاحب المال فطلب ماله فدفع له الكيس بخاتمه فلم يقبله وقال هذه دراهم ومالى دنانير فقال هذا كيسك وخاتمك فرفعه لابن هبيرة فقال لاياس انظر بينهما فقال اياس منذ كم أودعك قال منذ عشرة أعوام فقال فضوا الخاتم ففضوه ونثروا الدراهم فوجدوا فيها ضرب خمس سنين ومن ست سنين وأقل وأكثر فقال اياس قد أقررت انه عندك منذ عشر سنين وفي الكيس ضرب خمس سنين فاقر بالدنانير وألزمه اياها ونظر اياس يوما الى رجل لم يره قط فقال هذا غريب وواسطى معلم صبيان هرب له غلام فوجدوا الامر كذلك فسئل عن ذلك فقال رأيته يمشي ويلتفت فعلمت انه غريب وأيضا رأيت على ثوبه حمرة تراب واسط فعلمت انه من أهلها ورأيته يمر بالصبيان ويسلم عليهم ولا يسلم على الرجال فعلمت انه معلم ورأيته اذا مر بذي هيئة لم يلتفت اليه واذا مر باسود ذى أسمال تأمله فعلمت انه يطلب آبقا * ووجده يوما الحكم بن أيوب عامل البلد فسبه وقال انك خارجي منافق فائتني بكفيل فقال أنت أيها الامير تكفلني ولا أعلم أحدا أعرف منك بي فقال وما علمي بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق فقال اياس ففيم الشهادة منذ اليوم * وتبصر الناس هلال شهر رمضان فلم يره أحد غير أنس بن مالك وقد قارب المائة سنة من العمر فشهد عند اياس فقال اياس أشر لنا الى موضعه فجعل يشير ولا يرونه فتأمل اياس واذا بشعرة بيضاء من حاجب أنس قد انثنت وصارت على عينيه فمسحها اياس وسواها ثم قال يا أبا حمزة أرنا موضع الهلال فنظر فقال ما أرى شيأ * وقيل لاياس يوما ان فيك عيوبا دمامة الشكل واعجابك بما تقول

وعجلة بالحكم فقال أما الدمامة فليس أمرها الى وأما الاعجاب بالقول أفليس يعجبكم ما أقول قالوا نعم قال فانا أحق بالاعجاب بقولى وأما العجلة بالحكم فكم هذه ومد أصابع يده فقالوا خمس فقال أعجلتم بالجواب ولم تعدوها اصبعا اصبعا فقالوا كيف نعد ما نعلمه فقال وانا كيف اؤخر حكمى ما اعلمه ودخل الى واسط فقال يوم قدمت بلدكم عرفت خياركم من شراركم من غير أن اكشف عنهم قالوا كيف قال معنا قوم خيار الفوا منكم قوما وقوم شرار ألفوا قوما فعلمت أن خياركم من ألفه خيارنا وكذلك شراركم وكان يقول عرفت الزكن من أمى وكانت خراسانية وأهل بيتها يتكنون أى يتفرسون ولاياس أخبار كثيرة من هذا الباب مجموعة فى كتاب يسمى زكن اياس * ومات رحمه الله سنة احدى وعشرين ومائة وهو ابن ست وتسعين سنة وقال فى العام الذى مات فيه رأيت فى المنام كأنى وأبى على فرسين فجريا جميعا فلم أسبقه ولم يسبقنى وكان أبوه أيضا قد مات وهو ابن ست وتسعين سنة

(وسحبان انما تكلم بلسانك)

ترجمة سحبان وائل

هو سحبان بن زفر بن اياس الوائلى وائل باهلة خطيب مفصح يضرب به المثل فى البيان أدرك الاسلام وأسلم ومات سنة أربع وخمسين (وحكى) الأصمعى قال كان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ * وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم سعيد بن عثمان فطلب سحبان فلم يوجد فى منزله فاقتضب من ناحية اقتضابا وأدخل عليه فقال تكلم فقال انظروا الى عصا تقوم من أودى قالوا وما تصنع بها وأنت بحضرة امير المؤمنين قال ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه فى يده فضحك معاوية وقال هاتوا عصا فجاؤا بها اليه فركلها برجله ولم يرضها وقالوا هاتوا عصاى فأتوا بها فأخذها ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر الى أن قامت صلاة العصر ماتنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ فى معنى فخرج منه وقد بقى عليه منه شئ فما زالت تلك حاله حتى أشار معاوية بيده فأشار اليه سحبان أن لا تقطع على كلامى فقال معاوية الصلاة قال هى امامك ونحن فى صلاة وتحميد ووعد ووعيد فقال معاوية أنت أخطب العرب فقال سحبان والعجم والجن والانس * ومما روى عنه فى بعض خطبه البليغة يقول ان الدنيا دار بلاغ

والآخرة دار قرار أيها الناس خذوا من دار ممركم لدار مقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن يخرج منها أبدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم ان الرجل اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لله فقدموا بعضا يكون لكم ولا تخلفوا كلا يكون عليكم * ومن شعره يمدح طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله الخزاعي

يا ملح اكرم من بها * حسبا وأعطاهم لتالد
منك العطاء فأعطني * وعلى مدحك في المشاهد

فقال ان طلحة قال له احتكم قال فرسك الورد وقصرك بكذا فقال طلحة اف لك لو سألتني على قدري أعطيتك كل فرس لي وكل قصر ولكن أبيت الا باهليتك

(وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك)

ترجمة عمرو بن الاهتم

هو عمرو بن سنان الاهتم بن سمي التميمي المنقري وانما لقب سنان بالاهتم لانه هتمت ثنيته يوم الكلاب * وعمرو من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والاسلام وهو بليغ القول طلق العبارة وكان يدعى المكحل لجماله وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو والزبرقان بن بدر فأسلما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمهما فسأل يوما عمرا عن الزبرقان بحضوره فقال مطاع في ناديه شديد العارضة في قومه مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان يا رسول الله انه ليعلم مني أكثر مما قال ولكنه حسدني فقال عمرو أما والله لئن علمت ما قد علمت فانه زمن المروءة أحمق الاب لئيم الخال ضيق العطن حديث الغنى فرأى تغير النبي صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله لا تغضب لما رضيت قلت أحسن ما علمت ولما غضبت قلت أقبح ما علمت فوالله ما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الثانية فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا واختلف قوم في معنى الحديث ان من البيان لسحرا فقال قوم أريد به المدح فان البيان الفهم وانما سمي سحرا لحدة عمله وسرعة قبول القلب له والتعجب منه كما يتعجب من السحر وقد اتفق الناس على أن تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة

الحق من أعلى درجات البلاغة وقال قوم أريد به الذم لان السحر تمويه والبيان كثرة الكلام والنفاق واحتجوا بقوله عليه السلام الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق والاول أصح وانما سمى البيان هنا نفاقا اذا كان من البذاء (وحكى) العتبي قال وفد الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فأراد أن يقرع بينهما في الرياسة فلما اجتمعت بنو تميم قال الاحنف وهي من سقطاته

ثوى قدح عن قومه طول ما ثوى * فلما أتاهم قال قوموا فقاخروا

فقال عمرو انا كنا نحن وأنتم في دار جاهلية وكان الفضل فيها لمن جهل فسفكنا دماءكم وسبينا نساءكم واليوم في دار الاسلام والفضل فيها لمن حلم فغفر الله لنا ولك فغلب يومئذ عمرو على الاحنف ووقعت القرعة لآل الاهتم فقال عمرو

ولما دعتني للرياسة معشر * لدى مجلس أضحى به النجم باديا
شددت لها ازري وقد كنت قبلها * لامثالها قدما أشد ازاريا

وتوفى في سنة سبع وخمسين * وكان يقول أشجع الناس من ردّ جهله بحلم * وكان يقول اف للخمر وكان ممن حرمها في الجاهلية وقال لو كان شئ يشترى ما كان شئ أنفس منه يعني العقل فالعجب لمن يشترى الحمق بماله فيدخله في رأسه فيقئ في جيبه ويسلح في ذيله * ومن شعره وهو في أعلى الطبقات قوله

ومستنبح بعد الهدوّ دعوته * وقد حان من سارى الشتاء طروق
يعالج عرنينا من الليل باردا * تلف رياح ثوبه وبروق
أضفت فلم أفحش عليه ولم أقل * لاحرمه ان المكان مضيق
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * فهذا مبيت صالح وغبوق
وقمت الى البزل الهواجد فاتقت * مقاصيد كوم كالمجادل روق
بأدماء مرتاع النتاج كأنها * اذا عرضت دون العشار فنيق
فقام اليها الجازران فأعلوا * يطيران عنها الجلد وهي تفوق
فجر الينا ضرعها وسنامها * وأزهر يحبو للقيام عتيق
وبات لنا منها وللضيف موهنا * عشاء سمين آهن ووشيق
وكل كريم يتقى الذم بالقرى * وللخير بين الصالحين طريق

قوله ومستنبح الى آخر القصيدة ينبغي مراجعة هذه القصيدة في مظانها فانها وان صححت حسب الامكان الا انها لاتخلو عن نظر لتحريف ما بيدي من الاصول وكذلك الابيات الاربعة بعدها اه مصححه

لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق
نمتني عروق من زرارة للعلا * ومن فدك والاسد عز عروق
مضاريب يجعلن الفتى فى أرومة * يفاع وبعض الوالدين رقيق

وقوله أيضا من أبيات

وذى لوثة منهى الرقاد بعينه * بغام وخيم الصوت ألوث فاتر
فقلت له كمش ثيابك وارتحل * والا يكايدك السرى والهواجر
اذا ما نجوم الليل صارت كأنها * هجائن يطلعن الفلاة صوادر
شآمية الاسهيلا كأنه * فنيق غداء عن شولة وهو جافر

وقوله وهو أحسن ما للمتقدمين فى هذا المعنى

تطارحنى يوم جديد وليلة * هما أبليا جسمى وكل فتى بالى
اذا ما سلخت الشهر أهللت بعده * كفى قاتلا سلخى الشهور واهلالى

مطلب الصلح بين بكر وتغلب

(وان الصلح بين بكر وتغلب تم برسالته)

بكر وتغلب هم بنو وائل الذين قامت بينهم حرب البسوس كما تقدم فى ذكر جساس ومهلهل واستمرت أعواما كثيرة الى أن تفانى الحيان وقتل عظماؤهم فخرج مهلهل الى أخواله ضجرا من الحرب وتطاول المدة ومال من بقى من القوم الى صلح بعضهم بعضا وراسلهم الحرث بن عمرو بن معاوية الكندى ملك كندة وهو جد امرئ القيس الشاعر فى الصلح بينهم والتملك عليهم وقد كانوا قالوا ان سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا وأكل القوى الضعيف والرأى أن نملك علينا ملكا نعطيه البعير والشاة فيأخذ من القوى ويرد المظالم ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فلا تنقطع الحروب فأجابوا الحرث بن عمرو الى ما أراد فقدم عليهم وتلافى بقيتهم وأصلح أمرهم وشغلهم بغزو اللخميين من بنى غسان ملوك الشام وكان الحرث ملكا جليلا رفيع الهمة ويسمى آكل المرار وانما سمى بذلك لان زياد بن الهبولة أحد ملوك الشام غزا أرضه والقوم خلوف بالبحرين فأصاب سبيا وغنائم وسبى هند بنت ظالم زوجة الحرث بن عمرو فبلغ الحرث الخبر فخرج للقاء ابن الهبولة وأرسل سدوس بن شيبان وخليع بن وهب يتجسسان له الخبر فى عسكر ابن الهبولة فخرجا حتى هجما على العسكر ليلا وقد أمن الطلب وقسم

النهب وأخذ الرباع وأوقد نارا عظيمة ونادى مناديه من جاء بحزمة حطب فله قدرها من تمر فأخذ كل منهما حزمة من الحطب وألقاها عند النار وأخذ التمر فأما خليع فقال يكفي هذه آية وانصرف وأما سدوس فقال لا أبرح حتى آتيه بأمر جلي فلما دخل ابن الهبولة قبته قرب سدوس منها بحيث يسمع كلامه وأقبل ناس يحرسون القبة فضرب سدوس يده الى جليس له مخافة أن يستنكره فقال من أنت فقال فلان ودنا ابن الهبولة من هند امرأة الحرث فقبلها وداعبها وقال ما ظنك الآن بالحرث قالت ماهو والظن بل هو اليقين انه لن يدع طلبك حتى يعاين القصور الحمر يعني الشام وكأني أنظر اليه في فوارس من شيبان يذمرهم ويذمرونه وهو شديد الكلب كأنه بعير أكل مرارا فسمي آكل المرار والمرار نبت فيه مرارة اذا أكلت منه الابل قلصت مشافرها وقيل بل سمعها سدوس يعني هندا تقول لابن الهبولة وقد سألها عن حبها الحرث فقالت والله ما أبغضت نسمة قط بغضي له وما رأيت أحزم منه نائما ومستيقظا وكان اذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عسا من لبن فبينما هو نائم يوما وأنا قريب أنظر اليه اذ أقبل ساع الى العس فشرب منه ثم مج فيه فقلت يستيقظ فيشربه فيموت فأستريح منه فانتبه من نومه فقال علي بالاناء فناولته اياه فشمه ثم ألقاه فهريق ثم قال أين ذهب الاسود فقلت ما رأيته فقال كذبت فلما سمع سدوس هذه المقالة أمهل حتى نام الحرس وخرج يسري ليلته حتى صبح الحرث فدخل عليه وهو ينشد

أتاك المرجفون برجم غيب * على دهش وجئتك باليقين

ثم قص عليه ما سمع وكان الحرث جالسا في موضع فيه شيء كثير من نبت المرار فجعل يسمع الحديث ويعبث بالمرار ويأكل منه غضبا وأسفا وهو لا يعلم انه يأكله من شدة الغيظ الى أن فرغ الحديث ووجد طعمه فسمي آكل المرار ثم لحق ابن الهبولة فقاتله وظفر عليه * ولم يزل ملكا على بني وائل الى أن مات ومن شعره يقول

رب هم جشمته في هواكم * وبعير تركته محسور
وغلام كلفته دلج الليـ * ـل فأضحى كأنه مخمور
ان من غره النساء بشيء * بعد هند لجاهل مغرور

حلوة العين واللسان وسن * كل شي تحن منها الضمير
كل أنثى وان بدا لك منها * آية الحب حبها خيتعور

(والحمالات بين عبس وذبيان أسندت الى كفالتك)

(الحمالات) جمع حمالة وهو ما يتحمله الرجل عن القوم من دية أو غرامة وأصل الحروب بين بني عبس وذبيان أن قيس بن زهير المقدم ذكره كان قد اشترى من مكة درعا حسنة تسمى ذات الفضول وورد بها الى قومه فرآها عمه الربيع بن زياد وكان سيد بني عبس فأخذها منه غصبا فانتقل عنه قيس بن زهير باهله وماله ونزل على بني ذبيان وسيدهم حمل بن بدر بن حصين وأخوه حذيفة فأكرموه وأحسنوا جواره وكانت لقيس خيل كريمة من جملتها داحس وانما سمي داحسا لانه كان لرجل من بني يربوع يقال له قرواش وكان له فرس تسمى جلوى ولرجل منهم يقال له حوط فرس يقال له ذو العقال وكان لا يطرقه شيأ وانهم توجهوا في نجعة والفحل مع ابنتين لحوط يقودانه فرت به جلوى ودبقا فلما استنشاها ودى فضحك شباب منهم فاستحيت الفتاتان فأرسلتاه فوثب على جلوى ثم جاء حوط وكان سيئ الخلق فرأى عين فرسه فقال ثار والله فأخبر بالخبر فنادى بني يربوع فاجتمعوا فقالوا والله ما أكرهناه قال أريد ماء فرسي فقالوا دونك فأوثقها حوط ثم جعل في يده ترابا وسطا عليها فأدخل يده في فرجها وأخرجها فاشتملت الرحم على ما فيها فنتجها قرواش مهرا فسماه داحسا لسطوة حوط عليه ودحسه اليد اليها وخرج داحس كأنه أبوه * ثم ان قيس ابن زهير أغار على بني يربوع فغنم وسبى وركب داحسا فتبعه فتيان من بني دريم فنجوا وقطعا الخيل فلما رآه قيس أعجب به فدعا الى أن يجعل فداء السبي ففعلوا وصار لقيس فتراهن رجلان من بني ذبيان عليه وعلى فرس لحذيفة تسمى الغبراء أيهما السابق على عشر قلائص وقد قيل ان داحسا والغبراء فرسا قيس والخطار والحنفاء فرسا حذيفة وانهم أجروا الجميع وقيل تراهنا على فرسي قيس أيهما أسبق وللرواة في ذكر هذا السباق أخبار مختلفة مطولة جدا تشتمل على أمثال وأشعار اختصرتها لكثرة ما فيها من الموضوعات ثم ان الرجلين أخبرا حذيفة بن بدر بالرهان على فرسه وفرس

الخيتعور له جملة معان انسبها هنا ما لا يدوم (حمزه)

مطلب
حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان

قوله فنجوا بفتح الواو والجيم مسند لضمير المثنى وبالسياق لا يلتبس بالجمع وان اتحدا رسما ولعل ذا سبب عدم تفريقهم خطا بينهما في الناقص الواوي اللام سيما وان مثل ما هنا لا محذور في قراءته جمعا على انه ما فوق الواحد تدبر (حمزه)

قيس فرضي به وأرضاه فأتيا قيسا فقالا انا راهنا على فرسك فقال راهنا من شئتما وجنباني بني بدر فانهم قوم يظلمون فقالا قد أوجبنا الرهان مع حذيفة فقال والله ليشتعلن علينا شرا ثم جاء قيس الى حذيفة فقال انما جئتك لاواضعك الرهان عن صاحبي فقال لا والله حتى تأتي بالعشر قلائص فأحفظ ذلك قيسا فغضب وتزايدا حتى بلغا مائة قلوص ووضعا الرهان على يد رجل من بني ثعلبة وجعلا الغاية مائة غلوة ثم قادا الفرسين الى الغاية وركبهما فتيان منهما وكان حمل بن بدر قد جعل شيئا ها ثلا ووضعه في شعب من شعاب هضب القليب على طريق الفرسين وأكمن فيه فتيانا وأمرهم ان جاء داحس سابقا أن يردوا وجهه الى أن تسبقه الغبراء فسبق داحس فأشار اليه من كان في الشعب فردوا وجهه وجاءت الغبراء وعلم قيس والذي على يده الرهان بذلك فقال قيس لحذيفة أعطني سبقي وقال الذي على يده الرهان يا حذيفة أعطوه سبقه فقد سبق داحس فأعطاه السبق ثم ان جماعة من قوم حذيفة ندموه على دفعه السبق الى قيس ونهاه آخرون عن الشر وقالوا ان قيسا لم يسبق الى كرمه وانما سبق دابة بدابة فأبى وبعث ابنه ندبة بن حذيفة الى قيس يطلب منه السبق فقال هذا سبق فكيف أعطيكم اياه فتناول ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغلظ له وكان الى جانب قيس رمح فطعنه فدق صلبه واجتمع الحيان وأدوا دية المقتول وأخذها حذيفة دفعا للشر ثم ان قومه ندموه فعاد الشر بينهم فتحمل قيس بمن معه من قومه ورحل وجمع الفرسان وقامت الفتن بين الحيين الى أن قتل مالك بن زهير أخو قيس وكان الربيع بن زياد معهما معتزل الحرب فلما سمع بقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه وقاتل بني ذبيان وأنشد

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه * بالصبح قبل تبلج الاسحار
أفبعد مقتل مالك بن زهير * يرجو النساء عواقب الاطهار

يعني انه أخذ ثار مالك فندبته النساء وكذلك عادة العرب لا تندب القتيل حتى يؤخذ ثاره ولبعض الادباء اعتراض في قوله بالصبح قبل تبلج الاسحار فان الصبح لا يكون الا بعد تبلج الاسحار وأجيب بأقوال منها ان الصبح ههنا

الحق الواضح من وصف القتيل الذي هو كالصبح كأن النساء تدبنه بخلاله الحسان الواضحة والبيت الثالث يستشهد به العروضيون على دخول الحذف في عروض الطويل كما يدخل في ضربه وهو زوال السبب من مفاعلن المقبوضة وهو قليل ولا يستعمل ثم توالت أيام الحروب بينهم وكان أعظمها يوم الهباءة كما تقدم وسئم قيس من القتال فذهب الى أخواله كما ذكر في ترجمته وكان الربيع قدمات وأكل بعض القوم بعضا فقام في الصلح الحرث بن عوف وهرم بن سنان المريان وحملا الحمالات واجتهدا في اصلاح ذات البين وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى الشاعر

تداركتما عبسا وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وكانت اليد الطولى للحرث بن عوف أولا وآخرا والسبب في ذلك أن الحرث قال يوما لخارجة بن سنان أتراني أخطب الى أحد فيردني قال نعم قال ومن ذلك قال أوس بن حارثة بن لام الطائي فقال الحرث لغلامه ارحل فركبنا حتى لقينا أوس بن حارثة في بلاده فوجدناه في فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك يا حرث قال وبك قال وما جاءك قال جئتك خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه ودخل أوس الى امرأته مغضبا وكانت من عبس فقالت من الرجل الذي وقف عليك قال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف قالت فمالك لم تستنزله قال انه استحمق قالت وكيف قال جاءني خاطبا قالت أفتريد أن تزوج بناتك قال نعم قالت فاذا لم تزوج سيد العرب فمن قال قد كان ذلك قالت فتداركه ما كان منك قال بماذا قالت بأن تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني ما فرط اليه قالت تقول انك لقيتني وأنا مغضب بأمر لم تقدم فيه قولا فانصرف ولك عندي ما تحب فانه سيفعل فركب أوس ابن حارثة في أثره قال خارجة فوالله انا لنسير اذحانت مني التفاتة فرأيته فاقبلت على الحرث وما يكلمني غما فقلت له هذا أوس بن حارثة فقال وما نصنع به امض فلما رآنا لا نلتفت صاح يا حرث اربع على فوقف له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا فبلغني أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة لأكبر بناته فأتته فقال يا بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب وقد جاءني خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين

قوله يستشهد به العروضيون الخ فيه أن البيت المذكور من الكامل لا من الطويل فلم يصادف الاستشهاد به على ما ذكره محلا لان أواخر تفاعيل الكامل أوتاد لا أسباب كما لا يخفى هذا ولم يتعرض أبو الفداء في تاريخه لهذا البيت الثالث ولعل أصله (أفبعد مقتل مالك ليث الوغى) أو نحو ذلك وليحرر اه مصححه

قالت لا تفعل قال ولم قالت لأني امرأة في وجهي ردة وفي خلقي بعض العهدة ولست بابنة عمه فيرعى رحمي وليس بجارك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فتكون على وصمة فقال قومي بارك الله فيك ثم دعا الوسطى فأجابته بمثل ذلك أو بقريب منه ثم دعا الصغيرة فقال لها كما قال لأختيها فقالت أنت وذاك فقال اني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه فقالت لكني الجميلة وجها الصناع يدا الحسيبة أبا فان طلقني فلا أخلف الله عليه قال بارك الله عليك ثم خرج الينا فقال قد زوجتك بهيسة بنت أوس قال قد قبلت فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه فلما أدخلت اليه لبث هنيهة ثم خرج الي فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله لما مددت يدي اليها قالت مه أعند أبي واخوتي هذا لا يكون قال فأمر بالرحلة فارتحلنا بها فسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل بها عن الطريق فما لبث ان لحقني فقلت أفرغت قال لا والله قالت لي كما يفعل بالأمة الجالبة والسبية الأخيذة لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلي قلت والله لأرى همة وعقل واني لأرجو أن تكون المرأة النجيبة ثم سرنا الى أن دخلنا بلادنا فأحضرنا الابل والغنم ثم دخل اليها وخرج فقلت أفرغت قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها قلت قد أحضرنا من المال ما ترين قالت والله لقد ذكرت لي من الشرف بما لا أراه فيك قلت كيف قالت أتتفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا يعني بني عبس وذبيان قلت فتقولين ماذا قالت اخرج الى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ثم ارجع الي واني لست فائتتك قلت والله اني لأرى عقلا وهمة ولقد قالت قولا فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى من الفريقين ثم يؤخذ الفضل ممن هو عليه فحملنا عنهم الديات وكانت ثلاثة آلاف بعير وعاش الحرث الى أن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ووفد عليه وأسلم وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الانصار في جواره يدعو قومه الى الاسلام فقتله رجل من بني ثعلبة فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال لحسان قل فيه فأنشد يقول

يا حار من يغدر بذمة جاره * فيكم فان محمدا لا يغدر
وأمانة المرى حيث لقيته * مثل الزجاجة صدعها لا يجبر

فتألم الحرث لهذا القول وأرسل يعتذر و بعث اليه بدية الرجل سبعين بعيرا فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات الحرث عقيب ذلك * ومن شعره قوله

فان أكبر فانى فى لداتى * وعاقبة الاصاغر أن يشيبوا
وما كثرت فوائدى بغدر * كفانى فى الفوائد ما يطيب

وقوله ولو لم يكن للشاعر الا هذا القول لكفاه

كم من يد لا أؤدى حق نعمتها * عندى لمختبط طار ومن منن
اذ جاء يسعى الى رحلى لاسعفه * أليس قد ظن بى خيرا ولم يرنى

(ان احتيال هرم لعلقمة وعامر حتى رضيا كان ذلك عن اشارتك) هو هرم بن قطبة بن سنان الفزارى حكم من حكام العرب يقضى بين السادات فيرضون بقضائه ولا يرد قوله اذا فضل أحد المنافرين على الآخر ومعنى المنافرة المحاكمة فى الحسب والفضل بين الرجلين يقال نافره اذا حاكمه ونفره اذا غلبه (وعلقمة) هذا هو علقمة بن علاثة بن جعفر من بنى عامر بن صعصعة (وعامر) هو ابن الطفيل بن مالك بن الاحوص وكل منهما سيد من سادات قومه فارس شاعر وسأورد من أخبارهما اشياء * فأما سبب منافرتهما كما حكى أبو عبيدة وغيره قال أول ما هاج النفار بين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل أن علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول فنظر اليه عامر وقال لم أر كاليوم سوأة رجل أقبح فقال علقمة لانها لا تثب على جاراتها ولا تنازل الا كفاتها بعرض بسامر فقال عامر وما أنت والقدوم والله لفرس أبى المهى حبوة أذكر من أبيك ولفحل أبى المهى الغيهب أعظم ذكرا منك فقال علقمة أما فرسكم فعارة وأما فحلكم فغدرة وكانوا قد استعاروا هذا الفحل من رجل من كلاب يستطرقونه فغلبوه عليه ولكن ان شئت نافرتك قال قد شئت فقال علقمة والله انى لبر وانك لفاجر وانى وفى وانك لغادر فبم تفاخرنى يا عامر فقال عامر والله انى لانزل منك للقفرة وأنحر للبكرة وأطعن للثغرة ثم تنافروا على مائة من الابل يعطيها الحكم أيهما

مطلب منافرة علقمة ابن علاثة وعامر ابن الطفيل الى هرم بن قطبة بن سنان الفزارى

قوله تنافروا كذا فى الاصل ولعله على ان المثنى ماذوق الواحد (جزء)

نفر عليه صاحبه ثم خرج علقمة بن معه من بنى خالد وخرج عامر بن معه من بنى مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه ملاعب الاسنة فقال يا عماه أعنى قال يا ابن أخى سبنى قال لا أسبك وأنت عمى قال دونك نعلى فانى ربعت فيهما أربعين مرباعا فاستعن بهما فى نفارك وجعل منافرتهما الى أبى سفيان بن حرب فلم يقبل منهما وكره ذلك الامر لحالهما وحال عشيرتهما فانطلقا الى هرم بن قطبة حتى نزلا به فقال هرم لاحكمن بينكما ثم لافصلن ثم لست أثق بواحد منكما فاعطيانى موثقا أطمئن اليه أن ترضيا بما أقول وأمرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل فانصرفا حتى اذا بلغ الاجل خرجا اليه فخرج علقمة ببنى الاحوص معهم القباب والجزر والقدور ينحرون فى كل منزل و يطعمون وجمع عامر بنى مالك وخرجوا على الخيل عليهم السلاح فقال رجل من غنى يا عامر ما صنعت أخرجت بنى مالك تفاخر بنى الاحوص معهم القباب والجزر وليس معك شئ تطعم الناس ما أسوأ ما صنعت فقال عامر لرجلين من بنى عمه أحصيا كل شئ مع علقمة من قبة أو قدر أو لقحة ففعلا فقال عامر يا بنى مالك انها المقارعة عن أحسابكم فاشخصوا بمثل ما شخصوا ففعلوا فأتوا هرما فأقاموا عنده أياما وأرسل الى عامر فأتاه سرا لا يعلم به علقمة فقال يا عامر قد كنت أرى لك رأيا وفيك خيرا وما حبستك هذه الايام الا لتنصرف عن صاحبك أتفاخر رجلا لا تفخر أنت ولا قومك الا بآبائه فما الذى أنت به خير منه فقال عامر ناشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة فوالله ان فعلت لا أفلح بعدها هذه ناصيتى جزها واحتكم فى مالى فان كنت ولا بد فاعلا فسو بينى و بينه فقال انصرف فسوف أرى رأيا فخرج عامر وهو لا يشك انه ينفر عليه ثم أرسل هرم الى علقمة سرا لا يعلم به عامر فأتاه فقال يا علقمة والله ان كنت لاحسب فيك خيرا أتفاخر رجلا هو ابن عمك فى النسب وأبوه أبوك وهو أعظم منك عناء وأحمد لقاء فما الذى أنت به خير منه فقال له علقمة نشدتك الله أن لا تنفر على عامر فأجابه بما أجاب به الآخر وانصرف ثم ان هرما أحضر بنيه و بنى أبيه فقال انى قائل غدا بين هذين الرجلين مقالة فاذا فعلت ذلك فليطرد أحدكم عشرة جزائر فينحرها عن عامر ويطرد بعضكم عشرة جزائر وينحرها عن علقمة وفرقوا

بين الناس لئلا يكون لهم جماعة وأصبح هرم بفناء في مجلسه وأقبل الناس وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا فقام لبيد فقال

يا هرم ابن الاكرمين منصبا * انك قد وليت حكما معجبا
فاحكم وصوب رأى من تصوبا

فقام هرم وقال يا بني جعفر قد تحاكمتما عندي والله انكما كركبتي البعير الآدم يقعان معا على الارض وليس أحد منكما الا وفيه ماليس في صاحبه وكلا كما سيد كريم وعمد بنو هرم الى الجزر فنحروها وفرقوا الناس وكره أن يفضل بينهما وهما ابنا عم فيوقع بذلك عداوة بين الحيين وخرجا من عنده راضيين وقد قيل انه قال لهما أنتما كغربي السيف فانه لو قال كركبتي البعير لقيل أيهما اليمين وقيل انه لم يقل شيئا من ذلك وانما اكتفيا بما قال سرا وذهبا عنه وادعى الاعشى أنه ما حكاه وحكم لعامر على علقمة وقال في ذلك قصائد* ومات علقمة مسلما وله وفادتان احداهما على النبي صلى الله عليه وسلم أسلم فيها والثانية على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وجرت له معه حكاية لطيفة كان علقمة صديقا لخالد بن الوليد رضي الله عنه وكان عمر يشبه بخالد فالتقاه في الليل فقال يا خالد اعزلوك وهو يظن انه خالد وكان عمر قد عزل خالدا عن جيش الشام غيظا منه بسبب قتل مالك بن نويرة وتزوج زوجته كما تقدم فقال عمر نعم فقال علقمة ماهو الا والله نفاسة عليك وحسد لك فقال عمر فما عندك معونة على ذلك فقال معاذ الله ان لعمر علينا سمعا وطاعة ولا نخرج عليه ولا نخالفه وانصرفا فلما أصبح دخل علقمة على عمر وعنده خالد فقال عمر رضي الله عنه له يا علقمة أنت القائل البارحة لخالد ما قلت فقال علقمة لخالد أفعلتها فقال والله ما لقيتك البارحة ولا رأيتك الا في هذه الساعة ففطن علقمة وعرف انه انما لقي عمر وظنه خالدا فقال يا أمير المؤمنين ما سمعت الا خيرا قال أجل ثم ولاه حوران وخرج اليها فقصده الحطيئة مادحا له فمات علقمة قبل أن يصل اليه فقال

لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى غيبته الجنادل
وما كان بيني لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا ليال قلائل

فلما وصل وجد علقمة قد أوصى له بسهم من ماله * وأما عامر بن الطفيل

غرب السيف حده

فكان شجاعا مشهورا شاعرا مقدما قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على أن فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بني ثعلبة صياد الفرسان وفارس ربيعة بسطام بن قيس وفارس قيس عامر بن الطفيل وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أربد بن قيس مع قوم من بني عامر فقال يا محمد ما لي ان أسلمت قال النبي صلى الله عليه وسلم لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال لا الا أن تجعل لي الامر من بعدك قال ليس ذلك لك ولا لقومك قال فتجعل لي الوبر ولك المدر قال لا ولكن أجعل لك أعنة الخيل قال أوليست لي ثم قال يا محمد والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا ولأربطن بكل نخلة فرسا وولى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامرا وأربد واهد بني عامر وأغن الاسلام عن عامر ثم انصرفوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فاندلع لسانه من فيه كضرع الشاة فمال الى بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم مات فواراه أصحابه وجعلوا على قبره أنصابا ميلا في ميل وجعلوه حمى فقيل ان بعض ولده رأى ذلك فيما بعد فقال لقد ضيقتم على أبي * وأما أربد فأرسل الله تعالى عليه صاعقة فقتلته وفي ذلك يقول أخوه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد

ولعامر بن الطفيل شعر جيد سري متمكن فمن ذلك قصيدته الرائية التي ذكر فيها عور عينه وذلك ان مسهر بن يزيد كان فارسا شريفا فجنى جناية في قومه فلحق ببني عامر فشهد يوم فيف الريح مع عامر بن الطفيل وكان عامر يتعهد القوم يومئذ فيقول يا فلان ما رأيتك فعلت ويا فلان ما صنعت فيقول الرجل الذي قد أبلى انظر الى سيفي وما فيه ورمحي وما فيه وان مسهرا قد أقبل في تلك الهيئة فقال يا أبا علي يعني ابن الطفيل انظر الى ما صنعت اليوم انظر الى سنان رمحي حتى اذا أقبل عليه عامر وجأه بالرمح في وجهه ففلق الوجنة وانشقت عين عامر ففقأها وترك مسهر الرمح في عينه وضرب فرسه ولحق بقومه قالوا وانما دعا مسهرا الى الغدر بعامر أنه كان يراه يصنع بقومه هذا فقال هذا والله مبير قومه فأراد قتله واراحتهم منه فقال عامر

لقد علمت عليا هوازن أنني * أنا الفارس الحامي حقيقة جعفر
وقد علم المزنوق أني أكره * على جمعهم كر المنيح المشهر
ألست ترى أرماحهم في شرعا * وأنت حصان ماجد العرق فاصبر
لعمري وما عمري على بهين * لقد شأن حر الوجه طعنة مسهر
فبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا * جبانا فما أغنى لدى كل محضر

ومن ذلك قوله

وكم مظهر بغضا لنا ود أننا * اذا ما التقينا كان أخفى الذي أبدى
مطاعيم في اللأوى مطاعين في الوغى * شمائلنا تبلى وأيماننا تندى

وقوله أيضا

وصاحب صدق قد أخذت بضبعه * وقلت له وازر أخاك فأزرا
ضروب بنصل السيف خلف صحابه * اذا اغبر أولاد المقاريف أسفرا

(وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع عن ارادتك)

يعني هرم بن قطبة المقدم ذكره وذلك انه كان أسلم وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يحبه فقال له يوما يا أبا عمرو أيهما كنت تنفر يعني علقمة وعامرا ومن كان عندك الافضل منهما فقال لو قلت الآن فيهما كلمة لعادت جذعة يعني الحرب بين الحيين فأعجب بهذا القول منه وقال بحق حكمتك العرب

(وان الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك)

(الجد) الحظ والجد الاجتهاد في الامور وكلا الوجهين يصلح ههنا * وهذا المذكور هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي السفاك المشهور ولد سنة احدى وأربعين ونشأ بالطائف وزعم بعض الرواة انه كان أول أمره معلم صبيان ويسمى كليبا وفيه يقول الشاعر

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلك دائر * وآخر كالقمر الازهر

يشير الى خبز المعلمين فانه يختلف في الصغر والكبر على قدر بيوت الصبيان ثم صار دباغا ويستدل على ذلك بحكايته مع كعب الاسقري أيام ولايته وذلك أن المهلب بن أبي صفرة لما أطال قتال الازارقة في ولاية الحجاج

قوله المزنوق على فرسه والزناق ما تحت الحنك وقوله شأن كذا في الاصل بالمهزولا وجه له فليحرر (حمزه)

ترجمة الحجاج الثقفي

كتب اليه يستبطئه في تأخير مناجزة الازارقة و يعجزه فقال المهلب لرسوله قل له ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وقام كعب الاسقرى وكان من جند المهلب فأنشد

ان ابن يوسف غره من غزوكم * خفض المقام بجانب الامصار
لو شاهد الصفين حين تلاقيا * ضاقت عليه رحيبة الاقطار
ورأى معاودة الدباغ غنيمة * أيام كان مخالف الاقتار

فبلغت أبياته الحجاج فكتب الى المهلب يأمره باشخاص كعب فأعلم كعبا بذلك وأوفده من ليلته الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه يستوهبه منه فقدم كعب برسالته من المهلب الى عبد الملك فاستنطقه واستنشده فأعجبه ما سمعه منه وكتب الى الحجاج يقسم عليه أن يعفو عنه فلما دخل كعب على الحجاج قال ايه يا كعب ورأى معاودة الدباغ غنيمة فقال أيها الامير والله لوددت في بعض ما شاهدته من تلك الحروب وما أوردناه المهلب من خطرها أن أنجو منها وأكون حجاما أو حائكا فقال الحجاج أولى لك لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع فالحق بصاحبك وبعض الرواة ينكر هذا القول ويقول هذه من اكاذيب الشعراء ويزعم أن الحجاج لم يزل في كنف أبيه * وكان أبوه رجلا نبيلا جليل القدر الى أن اتصل يعني الحجاج بروح بن زنباع ثم بعبد الملك بن مروان ولم يزل يترقى الى أن ولي العراق والمشرق وطار ذكره وعظم سلطانه وأول ما عرف من شهامته وجوره أن أباه خرج من مصر يريد عبد الملك بن مروان ومعه ابنه الحجاج فأقبل سليم بن عمر والقاضي وكان من أورع الناس وأتقاهم فقام اليه يوسف فسلم عليه وقال اني أريد أن آتي أمير المؤمنين فان كانت لك حاجة فأعلمني قال نعم حاجتي أن تسأله أن يعزلني عن القضاء فقال يوسف والله لوددت قضاة المسلمين كلهم مثلك فكيف أسأله هذا ثم انصرف فقال ابنه الحجاج من هذا الذي قمت اليه فقال يا بني هذا سليم بن عمر وقاضي أهل مصر وقاصهم فقال يغفر الله لك يا أبت أنت ابن أبي عقيل تقوم الى رجل من كندة أوتجيبه فقال والله يا بني اني أرى الناس ما يرحمون الا بهذا وأشباهه فقال والله ما يفسد الناس على أمير المؤمنين الا هذا وأشباهه يقعدون ويقعد اليهم أحداث الناس ويذكرون سيرة أبي

بكر وعمر فيخرجون على أمير المؤمنين والله لو صفا هذا الامر الى لسألت أمير المؤمنين أن يجعل لى السبيل فأقتل هذا وأشباهه فقال أبوه والله يا بنى انى لاظن أن الله تعالى خلقك شقيا وأول ما أعجب عبد الملك منه أنه كان قد اتصل بروح بن زنباع وصار من جملة أصحاب شرطته وكان روح بمنزلة نائب عبد الملك ثم ان عبد الملك توجه الى الجزيرة لقتال زفر بن الحرث عندما عصى عليه بقرقيساء فأمر روح بن زنباع جماعة من أصحابه وأصحاب شرطته يحثون المتأخرين من أهل العسكر فى كل منزلة وكان الحجاج من جملتهم وكان يجتهد فى ذلك الى أن مر يوما بعد رحيل العسكر بجماعة من خواص غلمان روح فى خيمة يأكلون فأمرهم بالرحيل فسخروا منه ادلالا بجلالهم ومحل سيدهم وقالوا له أنزل كل واسكت فضرب بسيفه أطناب الخيمة فسقطت عليهم وأطلق فيها نارا فأحرقت أثاثهم عليهم فأمسكوه وأتوا به الى روح وسمع عبد الملك الخبر فطلبه وقال من فعل هذا بغلمان روح فقال أنت يا أمير المؤمنين أمرتنا بالاجتهاد فيما وليتنا ففعلنا ما أمرت وبهذه الفعلة يرتدع من بقى من أهل العسكر وما على أمير المؤمنين أن يعوض عليهم ما ذهب وقد قامت الحرمة وتم المراد فأعجب عبد الملك فقال ان شرطيكم لجلد ثم أقره على ما هو عليه ولما طال القتال والحصار بينه وبين زفر بن الحرث ارسل عبد الملك رجاء بن حيوة وجماعة منهم الحجاج الى زفر بكتاب يدعوه الى الصلح فأتوه بالكتاب وقد حضرت الصلاة فقام رجاء فصلى مع زفر وصلى الحجاج وحده فسئل عن ذلك فقال لا أصلى مع منافق خارج على أمير المؤمنين وعن طاعته فسمع عبد الملك بذلك فزاد عجبا بالحجاج ورفع قدره وولاه بلدا تسمى تبالة وهى أول ما ولى فخرج اليها فلما قرب سأل عنها فقيل انها وراء هذه الاكمة فقال اف لبلدة تسترها أكمة فرجع فقيل فى المثل أهون من تبالة على الحجاج ثم قدم على عبد الملك ملازما خدمته فلما فرغ عبد الملك من قتال مصعب بن الزبير ورجع الى الشام قال من لابن الزبير يعنى عبد الله القائم بمكة والحجاز وندب الناس الى قتاله فقام الحجاج فقال يا أمير المؤمنين انا له ابعثنى اليه فلقد رأيت فى المنام كأنى سلخته وجردته من جلده فبعثه اليه وجهز معه جيشا فقدم الى مكة ونصب المنجنيق على الكعبة وفعل ما فعل

حتى قتل ابن الزبير وصفت الخلافة لعبد الملك فسر باجتهاده وأرسل اليه عهده على مكة والمدينة والطائف فاستخف أهل الحرمين وأهانهم ثم كتب الى عبد الملك يقول انى جزت الحجاز بشمالى وبقيت يمينى فارغة يعرض بالعراق فبعث اليه عهده على العراق وهذا أحد الاقوال فى سبب ولايته العراق والقول الآخر انه وفد على عبد الملك ومعه ابراهيم بن طلحة بن عبد الله التيمى وكان من رجال قريش علما ونبلا وعملا وزهدا ومهابة وكان الحجاج مستخفا له لا يترك من اجلاله شيأ فلما قدما على عبد الملك أذن للحجاج فى الدخول فلما دخل سلم ولم يبدأ بشئ الا أن قال يا أمير المؤمنين قدمت عليك برجل من أهل الحجاز ليس له نظير فى كمال المروءة والديانة وحسن المذهب والطاعة مع القرابة ووجوب الحق قال ومن هو قال ابراهيم بن طلحة التيمى فليفعل أمير المؤمنين معه ما يفعله بأمثاله فقال عبد الملك ذكرتنا حقا واجبا ورحما قريبة ثم أذن له فلما دخل قربه وأدناه ثم قال له ان أبا محمد ذكرلنا مالم نزل نعرفك به من الفضل وحسن المذهب فلا تدعن حاجة الا ذكرتها فقال ابراهيم ان أولى الامور أن يفتتح به الحوائج ما كان لله فيه رضا ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم أداء ولجماعة المسلمين نصيحة قال وما هو قال لا يمكن القول الا وأنا خال فأخلنى قال أودون أبى محمد قال نعم فأشار عبد الملك الى الحجاج فخرج وقال قل فقال يا أمير المؤمنين انك عهدت الى الحجاج مع تغطرسه وتجرفه وبعده عن الحق وركونه الى الباطل وولّيته الحرمين وبهما من أولاد المهاجرين والانصار من قد علمت يسومهم الخسف ويقودهم بالعسف ويطؤهم بطغام أهل الشام ورعاع لا روية لهم فى اقامة حق ولا فى ازاحة باطل ثم تظن ان ذلك ينجيك من عذاب الله فكيف بك اذا جاثاك محمد صلى الله عليه وسلم غدا للخصومة بين يدى الله تعالى أما والله انك لن تنجو هنالك الا بحجة تضمن لك النجاة فابق لنفسك أودع وكان عبد الملك متكئا فاستوى جالسا وقال كذبت ومنت فيما جئت به ولقد ظن بك الحجاج ظنا لم يجده فيك فأنت المائن الحاسد قال فقمت ووالله ما أبصر شيأ فلما جاوزت الستر لحقنى لاحق فقال للحاجب امنع هذا من الخروج وأذن للحجاج فدخل فلبث مليا ولا أشك انهما فى أمرى ثم خرج الاذن لى فدخلت فلما

كشف الستر اذا أنا بالحجاج خارج فاعتنقني وقبل ما بين عيني وقال اذا جزى
الله المتواخيين بفضل تواصلهما فجزاك الله أفضل الجزاء أما والله لئن بقيت
لأرفعن ناظريك ولاتبعن الرجال غبار قدميك قال فقلت في نفسي انه
ليسخر بي فلما وصلت الى عبد الملك أدنى مجلسي كما فعل في الاول ثم قال يا أبا
طلحة هل أعلمت الحجاج بما جرى أو شاركك أحد في نصيحتك فقلت لا والله
ولا أعلم أحدا أظهر يدا عندي من الحجاج ولو كنت محابيا أحدا بديني
لكان هو ولكني آثرت الله ورسوله والمسلمين فقال قد علمت صدق
مقالتك ولو آثرت الدنيا لكان لك في الحجاج أمل وقد عزلته عن الحرمين
لما كرهت ولايته عليهما وأخبرته انك الذي استنزلتني له عنهما استصغارا
للولاية ووليته العراق لما هنالك من الامور التي لا يدحضها الا مثله وانما
قلت له ذلك ليؤدي ما يلزمه من ذمامك فاخرج معه فانك غير ذام لصحبته مع
يدك عنده فخرجت مع الحجاج وأكرمني أضعاف اكرامه واستدللت
على مكارم عبد الملك واخلاقه واعترافه بالحق وتلطفه في الامور * وقيل في
سبب ولاية الحجاج العراق قول آخر ثم دخل الحجاج الى العراق ودخل
الكوفة وبدأ بالمسجد وخطب خطبته المشهورة التي يقول فيها يا أهل
العراق والنفاق والله لا عصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب العصا فطالما
أوضعتم في الضلالة وتماديتم في الجهالة يا عبيد العصا أنا الغلام الثقفي لا أعد
الا وفيت ولا أخلق الا فريت انما مثلكم كما قال الله تعالى وضرب الله مثلا
قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله
فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون شاهت الوجوه فانكم
أشباه ذلك فاستوثقوا واستقيموا أقسم بالله لتدعن الارجاف ولتقبلن على
الانصاف ولتنزعن عن القيل والقال وكان وكان والهن وما الهن أو لاهبرنكم
بالسيف هبرا يدع النساء أيامى والولدان يتامى والله لكأني أنظر الى الدماء
تترقرق بين اللحى والعمائم فلما سمع أهل الكوفة هذه الخطبة وكان بعضهم
قد أخذ حصا أراد حصبه به الحجاج فتساقط من أيديهم حزنا ورعبا وثبتت
مهابته في قلوبهم وتحكم حينئذ في رقابهم وكان القاسم بن سلام يقول قاتل
الله أهل الكوفة أين قبائلهم وعشائرهم وأهل الانفة منهم وأين بجبرهم قتلوا

عليا وطعنوا الحسين وقاتلوا المختار وعجزوا عن قتل هذا الملعون الذميم الصورة وقد جاءهم في اثنى عشر راكبا وهم مائة ألف ولكن ظهر تصديق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في قوله اللهم سلط عليهم الغلام الثقفي ثم أقام الحجاج بالعراق يرهب ويفتك حتى استوثقت له الأمور ثم خرج عليه عبد الرحمن بن الاشعث بأهل العراق فأمده عبد الملك بأهل الشام فكانوا شيعته فاستمرت بينه وبين ابن الاشعث الوقائع حتى هزمه الحجاج بدير الجماجم بعد ثمانين وقعة في ستة أشهر وكان مع ابن الاشعث أكثر من مائتي ألف فلما هزموا قال الحجاج لاصحابه اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ثم نادى مناديه من رجع فهو آمن ودخل الكوفة وجاء الناس من المنهزمين يبايعونه فكان يقول لمن جاء يبايعه اشهد على نفسك بالكفر وبخروجك عن الجماعة ثم تب فان شهدوا الا قتله فأتاه رجل من خثعم فقال اشهد على نفسك بالكفر فقال ان كنت عبدت ربي ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر لبئس العبد أنا والله ما بقي من عمري الاظم ء حمار واني أنتظر الموت صباحا ومساء فامر به فضرب عنقه وقدم بعده شيخ آخر فقال الحجاج ما أظن الشيخ يشهد على نفسه بالكفر فقال يا حجاج أتخادعني أنت عن نفسي أنا أعرف بها منك واني لأكفر من فرعون وهامان فضحك الحجاج وخلى سبيله * وكان في الحجاج خلال امتاز بها عن أبناء وقته الكرم والفصاحة والدهاء والجور وحلم في بعض الاوقات * فأما كرمه فحكى انه لما دخل المدينة فرق في أهلها عشرة آلاف دينار ثم قال أتيناكم وقد غاض الماء لكثرة النوائب فاعذرونا فقال رجل لا عذر الله من يعذرك وأنت أمير المصرين وأنت عظيم القريتين فقال صدقت واقترض أموالا من هناك من التجار فكان شيأ عظيما ولما ولي العراق كان يطعم في كل يوم على ألف مائدة يجتمع على كل مائدة عشرة أنفس ويطاف به في محفة على أيدي الرجال يشرف على القوم ويقول يا أهل الشام اهشموا الخبز لئلا يعاد عليكم وقيل كان فعله هذا خصيصا بأهل الشام وكان يرسل الرسل الى الناس لحضور الطعام فكثر عليه ذلك فقال أيها الناس رسلي اليكم الشمس اذا طلعت فاحضروا للغداء واذا غربت فاحضروا للعشاء فكانوا يفعلون ذلك واستقل الناس يوما فقال ما بال الناس قد قلوا

فقام رجل وقال يا أيها الامير انك أغنيت الناس في بيوتهم عن الحضور الى مائدتك فأعجبه ذلك وقال اجلس بارك الله عليك * وأما دهاؤه فحكى عبد الله بن ظبيان قاتل مصعب بن الزبير قال كنت يوما واقفا على باب الحجاج فاذا به قد خرج وحده وكانت القائلة وما بالباب أحد فوقع في نفسي أن أقتله فنظر الى فقال هل لقيت يزيد بن أبي أسلم يعني كاتبه قلت لا قال القه فان عهدك على الري معه فطمعت وكففت عنه وتوجهت الى يزيد فلم يكن عنده عهد ولا شئ من ذلك وانما قال الحجاج ذلك حذرا وشغلا لي عما أردته به وبني هو وعبد الملك في بعض المساجد بابين فوقعت صاعقة فأحرقت باب عبد الملك فداخله حسد للحجاج فكتب اليه انما مثل أمير المؤمنين ومثلي كمثل ابني آدم اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ودخل يوما على عبد الملك فدعا بالشراب فقال يا أمير المؤمنين اعفني فاني أنهى أهل عملي عنه وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فقال عبد الملك انه نبيذ الرمان يشهي الطعام ويزيد في الباه فقال الحجاج أما كونه يشهي الطعام فوالله لوددت أن هذه الأكلة تكفيني حتى أموت وأما كونه يزيد في الباه فحسب الرجل أن يصرع في الشهر مرة وصعد يوما المنبر فأراد أن يختبر طاعة الناس له فقال الآن الحجاج كافر فلم يرد عليه أحد شيأ فقال باللات والعزى وبالبغلة الشهباء ويوم الاربعاء ودخل عليه قاتل الحسين رضي الله عنه فقال له أنت قاتل الحسين قال نعم قال كيف قتلته قال دسرته بالرمح دسرا ثم هبرته بالسيف هبرا وكلت أمر رأسه الى أمير غير وكل فقال الحجاج أما والله لا يجتمعان في الجنة وكان قصده رضا أهل العراق وأهل الشام فخرج أهل العراق يقولون صدق الحجاج لا يجتمع والله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتله في الجنة وخرج أهل الشام يقولون صدق الامير لا يجتمع من شق عصا المسلمين وخالف أمير المؤمنين هو وقاتله في طاعة الله في الجنة * وأما جوره وسفكه الدماء فقد ذكر انه قتل أكثر من مائة ألف صبرا آخرهم سعيد بن جبيل بل جبير وهو الصحيح رضي الله عنه ومات في حبسه أكثر من عشرين ألفا لم يجب على أحد منهم حد وكان حبسه بغير سقف ولا ظل

صيفا وشتاء وليس فيه مستراح والناس بعضهم على بعض ومر يوما عليهم فاستغاثوا به فقال اخسؤا فيها ولا تكلمون وقال أبو عمرو بن العلاء كنت اقرأ الامن اغترف غرفة بالفتح و بلغ الحجاج وكان يقرأ بالضم فطلبني فهربت الى وادي صنعاء فأقمت زمانا فسمعت أعرابيا يقول لآخر قدمات الحجاج فقال الاعرابي

ربما تجزع النفوس من الامـ * ـر له فيه فرجة كحل العقال

فلم أدر بأي شئ كنت أشد فرحا أبموت الحجاج أم بسماع البيت استشهد به على القراءة (وحكي) بعض القراء قال قرأ الحجاج في سورة هود انه عمل غير صالح فلم يدر ايقول عمل أم عمل فقال ائتوني بقارئ فأتى بي وقد قام من مجلسه فحبست ونسيني الحجاج حتى عرض السجن بعد ستة أشهر فلما انتهى الي قال فيم حبست فقلت في ابن نوح أصلح الله الامير فضحك وأطلقني وحكى أنه أراد سفرا فصعد المنبر فقال اني قد عزمت على السفر وخلفت عليكم ابني محمدا وأوصيته خلاف ما أوصى به العبد الصالح أن لا يتقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الا واني أعلم انكم تقولون لا أحسن الله له الصحابة الا واني معجل لكم الصواب بالجواب فاقول لا أحسن الله عليكم الخلافة وحدث رجل قال هربت من الحجاج حتى مررت بقرية فأجد كلبا نائما في ظل حب فقلت في نفسي ليتني كنت الكلب وكنت مستريحا من خوف الحجاج ومررت ثم عدت من ساعتي فأجد الكلب مقتولا فسألت عنه فقيل جاء أمر الحجاج بقتل الكلاب فعجبت من عموم جوره * وأما حلمه فحكى عنه انه خرج يوما الى ظاهر الكوفة منفردا فرأى رجلا فقال ما تقول في أميركم قال الحجاج قال نعم قال زعموا أنه من ثمود وكفى بسوء سيرته شرا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فقال الحجاج أتعرفني قال لا قال أنا الحجاج فقال الرجل أتعرفني أيها الامير قال لا قال أنا مولى بني عامر اجن في الشهر ثلاث مرات هذا اليوم أشد الصرع علي فضحك من قوله وصفح عنه واتي بقوم من أصحاب ابن الاشعث فأمر بضرب أعناقهم فقام رجل فقال ايها الامير ان لي عندك يدا قال وما هي قال شتمك رجل بحضرة ابن الاشعث فرددت عنك فقال من يشهد لك فأشار هذا واشار بيده الى رجل منهم فقال صدق ايها الامير فقال

ما منعك أن تفعل كما فعل قال بغضي لك فقال الحجاج أطلقوا هذه اليد عندنا وهذه الصدقة في مثل هذا الوقت وقال يوما لاحد بني يونس فكرت في أمرك فوجدت دمك ومالك حلالا فقال أيها الامير أشدّ ما في القضية أن هذا الرأي بعد الفكر فضحك وعفا عنه وكان عنده يوما بعض ندمائه وقد أدركته سنة فعطس النديم عطسة منكرة ففزع الحجاج وقام منكرا مغضبا وقال ما أردت بهذه العطسة الا أن تروعني فقال أيها الامير والله هذه عادتي فقال والله ان لم تأتني بشاهد على ذلك والا ضربت عنقك فخرج الرجل فوجد بعض أصحابه فقص عليه الامر فقال أنا أشهد لك فدخلا على الحجاج فقال لصاحبه بم تشهد فقال أيها الامير أشهد بأنه عطس يوما عطسة وقع منها ضرسه فضحك الحجاج حتى استلقى فقال حسبك وأمر بهما فأخرجا وكان قليل الضحك الا أن يغلب عن نفسه * وأما فصاحته وبلاغته فمنها خطبته المشهورة المطولة مثل يوم دير الجماجم وغيره وفصوله الموجزة في المكاتبات وعلى المنابر قال مالك بن دينار والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على المنبر ويذكر حسن صنعه الى أهل العراق وسوء صنيعهم له حتى يخيل لي أنه مظلوم وقال الحسن البصري لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج يقول على هذه الاعواد ان امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول حسرته * وخطب يوما فقال أيها الناس اقدعوا هذه الانفس فانها أسأل شيء اذا اعطيت وأعطى شيء اذا سئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فاني رأيت الصبر عن محارمه أيسر من الصبر على عذابه * وبلغه وفاة أخيه وابنه فصعد المنبر فقال محمدان في يوم أما والله ما كنت أحب أن يكونا معي في الدنيا بما أرجوه لهما من ثواب الآخرة وايم الله فيوشكن الباقي منا ومنكم أن يفنى والجديد أن يبلى وستدال الارض منا لتأكل من لحومنا وتشرب من دمائنا كما كنا من ثمارها وشربنا من أنهارها وخطب يوما فقال ان الله أمرنا بالعمل وكفانا الرزق فليتنا لو أمرنا بالرزق وكفينا العمل وقال أيها الناس والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا بعمامتي هذه ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء ولما قتل عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فصعد

قوله فيوشكن كذا في الاصل بالفاء والظاهر أن المحل للام تأمل (جزء)

الحجاج المنبر فقال الآن ابن الزبير كان من احبار هذه الامة حتى رغب فى الخلافة ونازع فيها وخلع طاعة الله واستكن بحرم الله ولو كان شيأ مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة لان الله تعالى خلقه بيده واسجدله ملائكته واباحه جنته فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته وآدم على الله أكرم من ابن الزبير والجنة اعظم حرمة من الكعبة * وخطب يوما فقال ايها الناس من ادعى داءه فعندى دواؤه ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله ان للشيطان طيفا وللسلطان سيفا فمن وضعه ذنبه رفعه صلبه ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة وأرجف قوم بموته فخرج متحاملا حتى صعد المنبر فقال الآن أهل العراق اهل النفاق نفخ الشيطان فى مناخرهم فقالوا مات الحجاج وان مت فه والله ما ارجى الخير الا بعد الموت وما رضى الله تعالى ذكره بالتخليد لاحد من خلقه الا لاخسهم واهونهم عليه وهو ابليس لعنه الله ولقد سأل سليمان يوما ربه فقال رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ففعل ثم اضمحل كأن لم يكن أستغفر الله لامير المؤمنين ولى وللمسلمين ثم نزل وكتب الى قتيبة بن مسلم انى نظرت فى سنى فاذا انا قد بلغت خمسين سنة وانت نحوى فى السن وان امرأ قد سار نحو خمسين حجة الى مورد لقمن أن يورده ولما حضرته الوفاة كان يقول اللهم اغفر لى فان الناس يزعمون انك لا تفعل ومات بواسط سنة خمس وتسعين وهى مدينته التى انشأها وكان يوم موته عرس العراق ولم يعلم بموته حتى اشرفت جارية من القصر وهى تبكى وتقول الا ان مطعم الطعام ومفلق الهام قد مات ثم دفن فسمع جرّ السلاسل من قبره فقال كاتبه رحمك الله أبا محمد ما تدع قراءة القرآن حيا ولا ميتا فضحك الناس من قوله ووقف رجل من أهل دمشق على قبره فقال اللهم لا تحرمنا شفاعة الحجاج وحلف رجل بالطلاق الثلاث من زوجته أنّ الحجاج من أهل النار فاستفتى طاوس فقال يغفر الله لمن يشاء وما اظنها الا طلقت ويقال انه استفتى الحسن البصرى فقال اذهب الى زوجتك وكن معها فان لم يكن الحجاج فى النار فما يضركما انكما فى متعة الحرام

قوله شيأ مانعا كذا فى الاصل بنصبهما فالاسم المستكن يعود للحرم لكن لفظة شيأ فيها شئ تأمل (حمزه)

ترجمة قتيبة بن مسلم الباهلى

(وقتيبة فتح ما وراء النهر بعد ذلك)

هو قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلى وكنيته ابو صالح نشأ فى الدولة المروانية

وترقى وولي الامارة وفتح الفتوحات العظيمة وعبر الى ماوراء النهر مرارا وابلى في الكفار * وكان شجاعا جوادا دمث الاخلاق فطنا ولم يكن يعاب الا بانه باهلي * وكان أصحابه يمازحونه بذلك ويحتمل ويحلم (حكى) أبو عبيدة قال قدم رجل من بني سلول على قتيبة بن مسلم بكتاب عامله على الري وهو المعلى المحاربي فرآه على الباب قدامة بن جعفر وكان صديقا لقتيبة كثير الادلال عليه فدخل على قتيبة فقال بيابك الأم العرب فقال ومن هو قال سلولي رسول محاربي الى باهلي فتبسم قتيبة تبسم غيظ والتفت الى مرداس الاسدي وقال انشدني شعر اللاقيشر ففهم مرداس مراده فأنشده شعر اللاقيشر فيه تعريض بقدامة يقول

قالت قم صلي فصلي قاعدا * يتغشاه سمادير السكر

فتغير وجه قدامة فقال قتيبة هذه بتلك والبادي أظلم * ويروى انه مازح اعرابيا حافيا فقال أيسرك ان تكون مثلي باهليا اميرا فقال لا والله قال فتكون باهليا خليفة فقال لا والله ولوان لي ما طلعت عليه الشمس قال فيسرك أن تكون باهليا وتكون في الجنة فأطرق ثم قال بشرط أن لا يعلم أهل الجنة اني باهلي فضحك قتيبة من قوله * وكان قتيبة من أكبر الامراء المنتمين الى الحجاج وهو الذي كاتب عبد الملك بن مروان في أمره حتى ولاه خراسان وذلك أن يزيد بن المهلب كان قد ولي خراسان بعد أبيه وظهرت مناقبه وعظمت آثاره فحسده الحجاج وعمل على عزله وتولية قتيبة وكان مما أكد أمر يزيد عنده ان الحجاج وفد على عبد الملك ثم عاد الى العراق فمر في طريقه بدير فيه راهب عالم بالكتب وعلوم الاول فسأله هل تجدون أمورنا في كتبكم قال نعم قال ما تقول في عبد الملك قال نجده في زماننا الذي نحن فيه قال ومن يقوم بعده قال رجل يسمى الوليد قال فهل تعلم ما الى قال نعم قال فمن يليه قال يزيد قال في حياتي أم بعد مماتي قال لا أعلم فوقع في نفس الحجاج انه يزيد بن المهلب ثم جلس يوما يفكر وعنده عبيد بن يونس وهو ينكت في الارض فقال له ما الذي بك قال ان اهل الكتب يذكرون أن ما تحت يدي يليه رجل يسمى يزيد واني نظرت في هذا الاسم فذكرت جماعة منهم يزيد بن أبي كبشة ويزيد بن الحصين ويزيد بن دينار وليس

قوله ما الى كذ في الاصل ولا معنى له فلعل في العبارة سقطا والاصل ... تعلم من يليه بدل ما بعده تأمل (ح)

فيهم من يصلح لهذا الامر وما ثم غير يزيد بن المهلب قال فأخاف به فلم يجد شيأ يعزله به فكتب الى عبد الملك بن مروان يذم من يزيد ويقول انه يميل الى آل الزبير فكتب اليه عبد الملك ان ذلك وفاء لآل الزبير من آل المهلب وان وفاءهم لأولئك يدعوهم الى الوفاء لنا فكتب اليه الحجاج يخوفه غدر يزيد وآل المهلب فكتب اليه عبد الملك قد أكثرت في يزيد فسم لي رجلا يصلح لخراسان فسمى له مجاعة بن مسعر ولم يكن يصلح وانما جعل ذلك دهاء منه حتى لا يعرف ميله الى قتيبة ويعلم أن عبد الملك لا يرضى مجاعة بن مسعر فكتب اليه عبد الملك يسفه رأيه ومعناه لم يرض ابن مسعر فسمى له قتيبة بن مسلم فقال وله فولاه وكره أن يواجه ابن المهلب بالعزل فكتب اليه أقدم علي واستخلف أخاك ففعل وعند قدومه سار قتيبة الى خراسان فدخلها وصعد المنبر فسقطت العصا من يده فتطير الناس فأخذها وقال ليس كما ساء الصديق وسر العدو ولكن كما قال الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

ثم وثب قتيبة لغزو ما وراء النهر فجمع جيوشه فخطبهم خطبة بليغة فقطع النهر فتلقاه من الطالقان رسل الملوك وهدايا هم وأولهم صاحب طخارستان وهو من ملوك الترك وأرسل اليه مفتاح بلده وغير ذلك من الهدايا فصالحه وأقام قتيبة على بلخ لان بعضها كان عاصيا عليه فقاتل أهلها وسباهم وكان فيمن سبي امرأة برمك جد البرامكة فصارت الى عبد الله ابن مسلم أخي قتيبة فواقعها فيما قيل انها حملت منه بخالد وقيل كانت حاملا به * ثم غزا قتيبة بيكند وهي أدنى مدائن بخارى الى النهر ويقال لها مدينة التجار وهي على رأس المفازة من بخارى فلما نزل بهم استنصروا بالصغد واستنجدوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير وأخذوا على قتيبة الطرق والمضايق فلم يصل اليه رسول ولا قدر على انفاذ رسول مدة شهر وأبطأ على الحجاج خبره فأشفق عليه وعلى من معه من المسلمين فأمر الناس بالدعاء وكتب بذلك الى الامصار وأقام قتيبة يقاتلهم كل يوم وكان لقتيبة عين فيهم يقال له تندر أعجمي فدفع اليه أهل بخارى مالا على أن يدفع قتيبة عنهم فأتاه فقال أخلني فأخلى المجلس فقال قد عزل الحجاج عن العراق وهذا

عامل جديد يقدم عليك فارجع بالناس الى مرو وكان عند قتيبة ضرار الضبي فقال قتيبة لغلامه اقتل بندر فضرب عنقه فقال لضرار والله لئن علم أحد بهذا الحديث قبل أن يقضي حربنا لالحقتك به فان انتشار مثل هذا الحديث يفت في أعضاد المسلمين ثم أصبح الناس على راياتهم وانكر واقتل بندر وقالوا كان ناصحا للمسلمين فقال قتيبة ظهر لي غشه فأخذه الله بذنبه ثم تقدم فقاتل وأنزل الله النصر على المسلمين فهزموهم وفتح قتيبة أكثرهم ووصل الى بيكند ففتحها عنوة وأصاب بها من الاموال والجواهر مالم يصبه في بلد آخر وكان بها صنم من ذهب فأذابوه فخرج منه مائة ألف وخمسون ألف مثقال من الذهب وكتب الى الحجاج بالفتح ثم توجه الى سجستان فأرسل اليه صاحبها فصالحه ثم توجه الى خوارزم وكان صاحبها قد راسله سرا خوفا من أخيه الخارج عليه فصالحه وسلم اليه أخاه لانه كان شرط عليه ذلك ثم توجه الى سمرقند فقاتل وثلم السور فصالحوا الصلح فصالحهم على ألفي ألف ومائتي ألف في كل سنة وعلى أن يعطوه ثلاثين ألف رأس ليس فيهم طفل ولا شيخ وعلى أن يخلوا المدينة لقتيبة ويخرجوا منها المقاتلة ويدخلها قتيبة ويبني بها مسجدا ويصلي فيه ويخطب ويتغدى ويخرج منها فأجابوه الى ذلك فقال ابعثوا النساء ما صالحنا كم عليه فبعثوا اليه بالمال والرؤس فقال قتيبة الآن ذلوا حين صار أولادهم واخوانهم في أيدينا ثم بنوا جامعا ونصبوا منبرا وأخلوا المدينة وانتخب قتيبة من أراد من فرسانه ودخلها فأتى المسجد فصلى وخطب ثم تغدى وأرسل الى أهلها الست بخارج منها فخذوا ما أعطيتمونا وكان قتيبة يعير بالغدر بأهل سمرقند ثم حرق الاصنام وبيوت النيران ووجد جارية من بنات يزدجرد فقال قتيبة أترى ابن هذه يكون هجينا فقالت نعم من قبل أبيه فأرسل بها الى الحجاج فبعث بها الى الوليد ابن عبد الملك فولدت له يزيد ثم غزا قتيبة الصين وكاشغر فبعث اليه ملك الصين ابعث لنا رجلا من قومك نسأله عن دينكم فانتدب له عشرة من أشراف القبائل لهم هيبة وجمال فدخلوا عليه وعليهم ثياب رقيقة فلم يكلمهم أحد فنهضوا ثم دخلوا عليه في اليوم الثاني وعليهم البيض والمغافر والسلاح كأنهم الجبال فسأل الملك أحدهم عن صنيعهم أمس واليوم فقالوا

ذلك لباسنا في أهلنا وهذا في حربنا فقال انصرفوا الى صاحبكم وقولوا له ينصرف فقد عرفت قلة أصحابه والا بعثت له من يهلكه ومن معه فقالوا كيف تقول هذا لمن أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون يعنون الشام وقد غزاك في بلادك ودوّخها وقدسي وهو في طلبك لا ترد له راية ولا غاية قال وما الذي يريد لاك انه اقسم أن لا يرجع حتى يطأ أرضك ويختم على أعناق أولاد الملوك ويأخذ الجزية قال الملك ونحن نبر قسمه ثم دعا بصحاف من ذهب وجعل فيها من تراب قصره ودعا بأربعة من اولاد الملوك وبعث مالا كثيرا وقال ليطأ هذا التراب ويختم على هذه الغلمة ويأخذ منا المال ففعل قتيبة ذلك وقرر عليهم مالا ومضى وقد أذعنت له ممالك ما وراء النهر واشتهرت فتوحاته حتى سمع معبد المغني انه فتح سبعة حصون في المشرق لا يرتقى اليها فصنع سبعة أصوات صعبة المأخذ وسماها مدن معبد معارضة لقتيبة * وأقام قتيبة بالمشرق واليا عليه ثلاث عشرة سنة عظيم الرتبة مرهوب الجانب وكان شرف بيته ثم عمل على خلع سليمان بن عبد الملك لما سمع انه عازم على ولاية يزيد بن المهلب (حكى) الجاحظ قال لما بلغ قتيبة ان سليمان يريد عزله عن خراسان كتب اليه ثلاث صحائف وقال للرسول ادفع اليه هذه فان دفعها الى يزيد بن المهلب فادفع اليه هذه فان شتمني فادفع اليه الثالثة فلما دفع له الكتاب الاول اذ فيه يا أمير المؤمنين ان بلائي في طاعتك وطاعة أبيك كيت وكيت فدفعه الى يزيد فدفع اليه الرسول الكتاب الثاني وفيه يقول عجبا كيف تأمن ابن رحمة على اسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات اولاده يعني يزيد بن المهلب فشتم قتيبة فدفع اليه الثالث وفيه من قتيبة الى سليمان أمّا بعد والله لا وثقن لك اخية لا ينزعها المهر الارن فقال سليمان جددوا له عهدا على عمله ثم فسدت على قتيبة بطانته فقتلوه في خلافة سليمان وقام العزاء في المشرق عليه وقال رجل من الاعاجم يامعشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان فينا لجعلناه في تابوت واستفتحنا به غزونا * ولقتيبة أخبار وألفاظ تدل على غزارة علمه وعقله وفصاحته كتب اليه الحجاج انى قد طلقت بنت قطن الهلالية عن غير ريبة فتزوجها فكتب اليه ليس كل مطالع الامير أحب ان اطلع فقال الحجاج ويل أم قتيبة اعجابا بقوله وكتب

عبد الملك بن مروان الى الحجاج أنت قدح بن مقبل فلم يدر الحجاج ما أراد فسأل قتيبة وكان عالما برواية الشعر فقال قتيبة ان ابن مقبل نعت قدحا له فقال

غدا وهو مجدول فراح كأنه * من المس والتقليب بالكف أفطح
اذا امتحنته من معد قبيلة * غدا ربه قبل المفيضين يقدح

يصف هذا القدح وهو السهم الذي يستقسم به على عادة العرب في الميسر وهو اصطلاح على نوع من انواع القمار معروف فيقول ان هذا القدح لكثرة فوزه وخروجه دون اقداح الجماعة بكثرة تقليبه والتعجب منه يقدح صاحبه النار قبل خروجه ثقة بفوزه وقال قتيبة ان هذا القدح فاز سبعين مرة لم يخب منها مرة واحدة حتى ضرب به المثل * ولما دخل قتيبة خراسان قام اليه بعض الشعراء وانشد يقول

شد العصاب على البرى وما جنى * حتى يكون لغيره تنكيلا
والجهل في بعض الامور وان غلا * مستخرج للجاهلين عقولا

فقال قتيبة قبحك الله من مشير والله لا قت معي في بلد ثم اخرجه من خراسان ونظر في بعض مغازيه الى رجل من الازد معه ترس من جلد حمير قد تشعب من جميع نواحيه فقال يا اخا الازد ترس ابن أبي ربيعة خير من ترسك يريد قول عمر بن أبي ربيعة في قصيدته المشهورة وقد تستر بنسوة من الحي

فكان مجني دون من كنت اتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فقال الرجل أيها الامير هذا المجن أوفى من ذلك المجن ومن كلام قتيبة لا تستعن على من تطلب اليه حاجة بمن له عنده طمع فانه لا يؤثرك على نفسه ولا بكذاب فانه يقرب لك البعيد ويبعد القريب ولا بأحمق فانه ربما أراد نفعك فضرك * ومر يوما بكناسة فيها عظام وأقذار فقال ان الذي يبخل بما يصير آخره الى هذا البخيل

ترجمة المهلب بن ابي صفرة

(والمهلب أوهن شوكة الازارقة بيدك * وفرق ذات بينهم بكيدك)

هو المهلب بن أبي صفرة واسمه ظالم بن سراق بن صبح الازدي العتكي البصري أمير كبير شهير والذكر شجاع جواد نشأ في دولة آل أبي سفيان ثم أمره مصعب بن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام اخيه عبد الله بن الزبير ثم ولاه

عبد الله خراسان وقتل الخوارج واستمر على ذلك الى ان مات فى زمن الحجاج فى سنة ثلاث وثمانين من الهجرة وهو أول من اتخذ الركب الحديد وكانت قبل ذلك من الخشب * وكان يقال ساد الاحنف بحلمه ومالك بن مسمع بمحبته للعشيرة وقتيبة بدهائه وساد المهلب بهذه الخلال جميعها وسيأتى فى آخر الترجمة نبذة من اخباره وألفاظه فأما الازارقة فهم الخوارج القائلون بمذهب نافع بن عبد الله بن الازرق الخارجى خرجوا معه من البصرة والاهواز وغيرهما من بلاد فارس واتبعوه وعظمت شوكتهم وتملكوا الامصار وكانت له آراء ومذاهب دافوا مسامعه * منها انه كفر عليا كرم الله وجهه بسبب التحكيم المشهور وقال أنزل الله فى حقه ومن الناس من يعجبك قوله الآية وانزل فى حق ابن ملجم ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله * ومنها انه كفر من لم يقل برأيه واستحل دمه وكفر القعدة عن القتال وتبرأ ممن قعد عنه او كان على دينه وحكم ان من ارتكب كبيرة خرج عن الاسلام * وكان مخلدا فى النار مع سائر الكفار واستدل بكفر ابليس وقال ما ارتكب الا كبيرة حيث أمر بالسجود فامتنع والا فهو عارف بوحدانية الله عز وجل الى غير ذلك من المذاهب التى اجمعت عليها الازارقة (وحكى) عن خالد بن خداش قال لما تفرقت الازارقة وآراء الخوارج ومذاهبهم اقام نافع بن الازرق بسوق الاهواز يعترض الناس وكان متشككا فى ذلك فقالت له امرأته ان كنت كفرت بعد ايمانك وشككت فدع كلمتك ودعوتك وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم تعنى المسلمين المخالفين لمذهبه وأثخن فى النساء والصبيان كما قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فقبل قولها وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء فاذا وطئ بلدا كان ذلك دأبه الى ان يجيبه اهلها فيضع عليهم الجباية والخراج واشتدت شوكته وفشا عماله فى السواد الاعظم فارتاع لذلك اهل البصرة فمشوا الى الاحنف بن قيس وشكوا اليه أمرهم وقالوا ليس بيننا وبين القوم الا ليلتان فقال لهم الاحنف ان سيرتهم فى مصركم ان ظفروا بكم مثل سيرتهم فى سوادكم فخذوا فى جهاد عدوكم وقد حرضهم الاحنف فاجتمعوا اليه بزهاء عشرة آلاف فى السلاح وأتى

حطاب الكلام على الازارقة

عليهم مسلم بن عبيس وكان شجاعا دينا وخرج بهم فلما صاروا بموضع يعرف بدولاب خرج اليه نافع بن الازرق على الشراة وكانوا ستمائة نفر فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وتضاربوا بالعمد فقتل فى المعركة ابن عبيس وهو أمير أهل البصرة وقتل نافع بن الازرق أيضا فعجب الناس من قتل الاثنين ثم ولى على أهل البصرة الربيع بن عمرو وعلى الازارقة عبد الله بن الماحور فقتل الربيع وتولى الحجاج بن رباب فقتل وتولى حارثة بن بدر ونادى فى الناس بأن اثبتوا فاذا فتح الله عز وجل فللعرب زيادة فريضتين ثم وللموالى زيادة فريضة وثبت الناس فالتقوا وقد فشت بينهم الجراح وما تطأ الخيل الا على القتلى فبينما هم كذلك اذ أقبل من اليمامة مدد عظيم للازارقة فاجتمعوا وهم مريحون مع أصحابهم وحملوا على الناس فلما رأتهم الجيوش ورآهم حارثة نكص برايته وانهزم وقال لاصحابه

كرنبوا ودولبوا * وحيث شئتم فاذهبوا

امر الحمار فريضة لعبيدكم * والخمسيتان فريضة الاعراب

فتتابع الناس على أثره منهزمين وتبعهم الخوارج فألقوا نفوسهم فى دجيل فغرق منهم خلق أكثرهم من الازد وفى ذلك يقول شاعر الازارقة

يرى من جاء ينظر فى دجيل * شيوخ الازد طافية لحاها

وقلق أهل البصرة لذلك ودخل قلوبهم الرعب من الخوارج فبينما هم كذلك اذ ورد المهلب بن أبى صفرة متوجها الى خراسان وقد كتب له عبد الله بن الزبير عهده بها فلما مر بالبصرة قال الاحنف لوجوه أهل البصرة والله ما للخوارج غير المهلب فكلموه فى ذلك فقال هذا عهدى على خراسان وما كنت لادع أمر أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير فاتفق أهل البصرة مع الاحنف على أن يفتعلوا كتابا على ابن الزبير يأمره فيه بقتال الخوارج فكتبوه وفيه (أما بعد) فان الحسن بن عبد الله كتب الى يخبرنى أن الازارقة أصابوا جندا من المسلمين وانهم قد أقبلوا نحو البصرة وكنت قد كتبت عهدك على خراسان ووجهتك وقد رأيت أن تتبدئ بقتال الخوارج فان الاجر فيه أعظم من سيرك الى خراسان فلما قرأ المهلب الكتاب قال والله ما أسير اليهم حتى تجعلوا لى ما غلبت عليه وتقووني من بيت المال وأنتخب من فرسانكم ورجالكم

من شئت فأجابوه الا طائفة من بنى صعصعة فقدمها عليهم المهلب وساروا الى الخوارج فكان عليهم أشد من كل من قاتلهم وبلغ ابن الزبير افتعال الكتاب فلم يقل شيأ وأقره على ذلك ثم ان المهلب أخذ بالحزم فى القتال واعمال الرأى والمطاولة فأذكى العيون وأقام الحرس وخندق ولم يزل الجند على مصافهم والناس على راياتهم واخماسهم فكانت الازارقة اذا أرادوا اتيان المهلب وجدوا أمرا محكما ثم خرج المهلب يوما على تعبية حسنة وخرج الخوارج على مثل ذلك الا انهم أحسن عدة وأكرم خيلا وأكثر سلاحا من أهل البصرة وذلك انهم أكلوا ما بين كرمان الى الاهواز فجاؤا فى المغافر والدروع يسحبونها فالتقى الناس واشتد القتال وصبر بعضهم على بعض عامة النهار ثم شدت الخوارج على الناس شدة منكرة فأجفل الناس فانصاعوا منهزمين وأسرع المهلب حتى سبقهم الى مكان يفاع ثم نادى الناس الىّ الىّ عباد الله فثاب اليه جماعة من قومه حتى اجتمع اليه نحو من ثلاثة آلاف فلما نظر الى من اجتمع اليه رضى بجماعتهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله يكل الجمع الكثير الى أنفسهم فينهزمون وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ولعمرى انى الآن بجماعتكم راض وأنتم والله أهل الصبر وفرسان المصر وما أحب أن أحدا ممن انهزم معكم ولو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا عزمت على كل نفر منكم الا أخذ عشرة أحجار معه ثم امشوا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيولهم فى طلب اخوانكم فقبلوا منه ثم أقبل بهم زحفا فلا والله ما شعرت الخوارج الا بالمهلب يضاربهم فى جانب عسكرهم ثم استقبلوا أميرهم عبد الله بن الماخور وأصحابه وعليهم الدروع والسلاح فجعل الرجل من أصحاب المهلب يتعرض وجه الرجل بالحجارة حتى يثخنه ثم يضربه بسيفه فلم يقاتلهم الا ساعة حتى قتل ابن الماخور وضرب الله وجوه أصحابه وأخذ المهلب معسكر القوم وما فيه ومضى المنهزمون الى كرمان واصبهان ثم ولى مصعب بن الزبير العراق ورجع اليه المهلب فقاتل معه المختار بن أبى عبيد الى أن قتل ورجع الى الازارقة فلم يزل يغاديهم القتال ويراوحهم وهو مع ذلك شديد الاحتراز على عسكره والتحفظ واليقظة الى أن بلغ مدة طويلة وبلغ الخوارج قتل مصعب بن

الزبير أمير العراق واستيلاء عبد الملك بن مروان قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج ما تقولون في مصعب قالوا امام هدى ولينا في الدنيا والآخرة قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا ذاك ابن اللعين قالوا فأنتم منه برآء في الدنيا والآخرة قالوا نعم ونحن له أعداء كعدا وتنالكم قالوا فان امامكم المصعب قد قتله عبد الملك وانكم ستجعلون عبد الملك غدا امامكم وأنتم اليوم تتبرؤن منه وتلعنون أباه قالوا كذبتم يا أعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك فناداهم الازارقة يا أعداء الله بالامس تتبرؤن منه وتلعنون أباه واليوم تبايعونه بالخلافة وقد قتل امامكم الذي كنتم تتولونه فأيهما المهدي وأيهما الضال فقالوا رضينا بذلك وترضى بهذا اذا ولي كل منهما أرواحنا وأمورنا فقالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين وطلبة الدنيا ثم ولى عبد الملك وأمر الحجاج على العراق وأمره بامداد المهلب فشمر الحجاج لذلك وتتابع المدد الى أن قال المهلب لقد ولي العراق والٍ ذكر ثم ان الحجاج كتب الى المهلب يستبطئه في مناجزة الازارقة ويستعجزه فحبس المهلب رسول الحجاج أياما حتى رأى صنع الخوارج وجلدهم وثباتهم وكتب الى الحجاج يقول ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فان كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أديرها كما أرى فان أمكنتني فرصة انتهزتها وان لم تمكني توقفت فأنا أدير ذلك بما يصلحه وان أردت مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب فان كان صوابا فلك وان كان خطأ فعلي فابعث من رأيت مكاني والسلام ولما طالت الحرب بين المهلب وبينهم ورأى اتفاق أهوائهم وثباتهم علم انه لا يظفر الا بالاختلاف اذا وقع بينهم وكان في عسكرهم حدّاد يسمى ابزن يصنع نصالا مسمومة يرمي بها أصحاب المهلب فوجه المهلب رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر الخوارج وقال ألق الكتاب في العسكر واحذر على نفسك وكان في الكتاب الى الحدّاد أما بعد فان نصالك قد وصلت الينا وقد وجهت اليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب الى قطري فدعا ابزن وقال ما هذا الكتاب قال لا أدري قال فما هذه الدراهم قال لا أعلم علمها فأمر به فقتل فجاءه عبد ربه الصغير وكان من كبار القوم فقال

له قتلت رجلا على غير بينة ولا تبين أمره فقال فما هذه الدراهم قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز أن يكون حقا قال قطري قتل رجل في صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما يراه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبد ربه في جماعة معه فلم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدس اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل له انما سجدت لك ففعل النصراني ذلك فقال له قطري انما السجود لله فقال ما سجدت الا لك فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلا قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فقال قطري ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضر عيسى شيأ فقام رجل من الخوارج الى النصراني فقتله فأنكر ذلك عليه وقال قتلت ذميا فاختلفت الكلمة فبعث اليهم المهلب رجلا يسألهم عن شيء تقدم به اليه فأتاهم الرجل فقال أرأيتم لو أن رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما في الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة ما تقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فهو من أهل الجنة وأما الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر الخلاف فخرج قطري الى حدود اصطخر وأوقع المهلب بمن بقي منهم مع صالح بن مخراق وزحف الى البقية وخندق عليه ثم أقام أياما وأوقع بينهم الفتنة حتى وقع بين قطري وعبد ربه فانحاز الى عبد ربه جماعة وولوه عليهم وذهب قطري بأصحابه وقاتل المهلب جيش عبد ربه فقتل عبد ربه بعد وقائع طويلة وانفل جند الازارقة وتشتتوا في البلاد وتخطفهم الناس وكتب المهلب الى الحجاج بالفتح يقول الحمد لله الكافي بالاسلام فقد ماسواه بأن حكم بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد فقد كنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علا أمرهم حتى ارتاعت الفتاة وتوهم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة في وقت امكانها وأدنيت السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج يشكره ويذكر بلاءه ويأمره بالقدوم عليه واستخلاف

أحد بنيه فقدم على الحجاج فأجلسه على السرير الى جانبه وأظهر اكرامه وبره وقال يا أهل العراق أنتم عبيد عتقاء المهلب ثم قال انت والله كما قال لقيط الايادي

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحق مطلعا
لايطعم النوم الاريث يبعثه * هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
حتى استمر على شزر مريرته * مستحكم الرأي لاقحما ولا ضرعا

فقام رجل وقال أصلح الله الامير والله لكاني أسمع قطريا وهو يقول المهلب كما قال لقيط ثم أنشد هذا الشعر فسر الحجاج حتى ظهر عليه * وسئل المهلب ما أعجب ما رأيت من قتال الازارقة قال رأيت رجلا منهم يطعنه الرجل فيمشي في الرمح الى طاعنه وينال منه وهو يقول وعجلت اليك رب لترضى * وكانت مدة اقامة المهلب على قتال الخوارج ومصابرته لهم تسع عشرة سنة الى أن فتح الله على يديه وطهر منهم الارض ومات على فراشه * ومن أخباره المستحسنة انه أقبل يوما من بعض غزواته فتلقته امرأة فقالت له أيها الاميراني نذرت ان أقبلت سالما أن أصوم شهرا وتهب لي جارية وألف درهم فضحك وقال قد وفينا نذرك فلا تعودي لمثله فليس كل أحد يفي لك به و وقف له رجل فقال أريد منك حويجة فقال اطلب لها رجلا يعني ان مثلي لا يسأل الاحاجة عظيمة * ومر يوما بالبصرة فسمع رجلا يقول هذا الاعور ساد الناس ولو خرج الى السوق لا يساوي أكثر من مائة درهم فبعث اليه بمائة درهم وقال لو زدتنا في الثمن زدناك في العطية * ولما هزم قطري بن الفجاءة دخل عليه المغيرة وأنشد

أمسى العباد لعمري لاغياث لهم * الا المهلب بعد الله والمطر
هذا يجود ويحمي عن ديارهم * وذا يعيش به الانعام والشجر

فقال هذا والله هو الشعر وأمر له بعشرين ألفا * ومن كلامه عجبت لمن يشتري العبيد بماله ولا يشتري الاحرار بافضاله * وكان يقول لولده اذا غدا عليكم الرجل وراح فكفى بذلك تقاضيا * وتذاكروا عنده الثياب فقال أحسن ثيابكم ما رأيتموه على غيركم * وكان كثيرا ما يأمر بصلة الرحم والمكيدة في الحرب (وحكى) أن عبد الرحمن بن الاشعث لما خرج على الحجاج

بالجيش الذى كان بعثه معه الى قتال زنبيل كاتب المهلب وهو بخراسان يدعوه الى خلع الحجاج فقال المهلب لاغدر بعد سبعين سنة ثم كتب الى الحجاج أمّا بعد فان أهل العراق مع ابن الاشعث قد أقبلوا اليك وهم مثل السيل المنحط من أعلى الى أسفل ليس يردّه شئ حتى ينتهى الى قراره ولاهل العراق شدة فى أول جريهم وبهم صبابة الى نسائهم وأبنائهم فلا شئ يردّهم دون أهليهم فلا تستقبلهم وخل لهم السبيل حتى يأتوا البصرة فيضاجعوا نساءهم ويتشهوا أبناءهم فتفرق قلوبهم ويخلدوا الى المقام فى منازلهم ويتفرقوا عن ابن الاشعث فأوقع بمن حاربك منهم فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ الحجاج كتابه قال ويلى على ابن المروى والله مالى نظر وانما نظر الى ابن عمه ولم يقبل منه ذلك وكان ذلك مراد المهلب وتلطف له فى طى هذه النصيحة البليغة * ومما روى من شعره

انا اذا أنشأت قوما لنا نعم * قالت لنا أنفس أزدية عودوا
لايوجد الجود الا عند ذى كرم * والمال عند لئام الناس موجود

(وان هرمس أعطى بلينوس ما أخذ منك)

ترجمة هرمس وبلينوس

هرمس هذا هو الذى تزعم قوم من الصابئة أنه نبى مرسل وأنه ادريس عليه السلام ويسندون اليه شرائعهم فى تعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر والتقرب اليها بالذبائح والدخن وما أشبه ذلك من مذاهبهم قال أبو معشر البلخى هو أوّل من تكلم فى الاشياء العلوية من الحركات النجومية وجدّه كيومرث وهو آدم عليه السلام علمه ساعات الليل والنهار وهو أوّل من بنى الهيا كل ومجد الله فيها وأوّل من نظر فى الطب وتكلم فيه وصنف لأهل زمانه كتبا كثيرة بأشعار موزونة بلغتهم فى معرفة الاشياء العلوية والارضية وأوّل من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلحق الارض من الماء والنار * وكان مسكنه مصر فعند ذلك بنى الاهرام ومدائن التراب وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابى والجبل المعروف ببربا اخميم وصور فى ذلك الموضع الصناعات وصناعها نقشا وأشار الى صفات العلوم لمن بعده حرصا على تخليدها لمن بعده وتزعم الصابئة أن النبوّة من بعده لاسقلبيوس وكان اسمه بلينوس فرّ بدفنه تعظيما لاسمه وكذلك يقال

فى ارسطاطاليس فان اسمه ارسطو وكان كل من مهر فى علومه زيد فى اسمه * وكان بلينوس قد أخذ العلوم والاسرار عن هرمس هذا وهو هرمس الهرامسة وزعم آخرون أن هرمس صاحب بلينوس كان بعد الطوفان وهو غير هذا وقال الكندى وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم وكان طبيبا فيلسوفا عالما بطبائع الادوية جوالا فى الارض طوافا فى البلاد عالما بنصبة المدائن وطبائعها وطبائع أهلها وأدويتها وهو صاحب الطلسمات الاندلسية مثل السودانية النحاس وغيرها * وكان بلينوس هذا تلميذه سافر معه البلاد فلما خرجا من الهند الى فارس خلفه ببابل وكان قد أخذ عنه جميع علومه وظهرت له فى الطب وابراء المرضى وقائع معجزة الى أن كثرت فيه أقاويلهم وقالوا هو نبى وقالوا ملك وزعموا أن مولده روحانى وأن الله تعالى رفعه فى عمود من نور واقليدس ينسب اليه وهو الذى وضع علم الطب فى هيكل يعرف بهيكل اسقنبلينوس ويدل على ذلك قول جالينوس فى بعض كتبه ان الله تعالى لما خلصنى من دبيلة قتالة كانت عرضت لى حججت الى بيته المسمى بهيكل اسقنبلينوس ويقال ان هذا الهيكل بمدينة رومية كانت فيه صورة تكلم الناس مركبة على حركات نجومية وانه كان فيها روحانية كوكب من الكواكب السبعة (وحكى) جالينوس ان الله تعالى أوحى الى اسقنبلينوس انى الى أن أسميك ملكا أقرب من تسميتك انسانا وكان معظما عند اليونان يستسقون بقبره ويوقدون عليه كل ليلة ألف قنديل وخلف ابنين ماهرين فى صنعة الطب وعهد اليهما أن لا يعلما الطب الا لاولادهما وأهل بيتهما ولا يدخلا فى هذه الصناعة غريبا وكان تعليم الطب تلقينا الى أن وضع أبقراط الكتب وهو السادس عشر من ولده قال جالينوس وأما صورته يعنى المصورة فى الهيكل فصورة رجل ملتح قائما متشمرا مجموع الثياب يدل بهذا الشكل على انه ينبغى للاطباء أن يستعدوا فى جميع الاوقات آخذا فى يده عصا معوجة ذات شعب يدل ذلك على انه يمكن فى صناعة الطب أن يبلغ بمن استعملها من السن أن يحتاج الى عصا يتوكأ عليها وقيل انما صور العصا لانها من شجرة الخطمى وانه يطرد بها الامراض وأما شعبها فتدل على كثرة أصناف الطب والتفنن فيه ثم

صوّر على تلك العصا صورة حيوان طويل العمر وهو التنين ويقرب هذا الحيوان منه لاشياء كثيرة أحدها انه حيوان حاد البصر كثير السهر وكذلك ينبغي للطبيب أن يكون في المعرفة والاجتهاد كذلك والثاني انه يسلخ لباسه الذي يسمونه الشيخوخة فكذلك يمكن الطبيب أن يسلخ الشيخوخة بما يفيده من الصحة والثالث انه طويل العمر وعلى ذلك يحرص بعض الاطباء ويروى انه عاش تسعين سنة ومن كلامه الصنيعة عند الكفور اضاعة للنعمة المتعبد بغير معرفة كحمار الطاحون يمشي ولا يبرح ولا يعرف ما هو فاعل في تدبيره

(وأفلاطون أورد على ارسطاليس ما نقل عنك)

ترجمة افلاطون

هو أفلاطون بن ارسطس الالهي آخر المتقدمين الاوائل معروف بالتوحيد والحكمة ولد في زمان أردشير الاول وتلمذ لسقراط ولما اعتل سقراط ومات مسموما قام مقامه وجلس على كرسيه وقد أخذ العلم عن سقراط وطيماوس وكان قد رحل الى مصر فأخذ أيضا عن أصحاب فيثاغورس وغيره وضم الى علومه الالهية العلوم الطبيعية والرياضية وهو أحد المشائين المشهورين ومعنى المشائين انه كان من رأيه الرياضة للبدن بالسعي المعتدل لتحليل الفضول ومدارسة الحكمة في تلك الحالة ويقال انه أمر الملوك باتخاذ بيوت الحكمة لتعليم أولادهم فكانوا يتخذون البيوت المذهبة المزخرفة ويصوّرون فيها أصناف الصور المستحسنة التي ترتاح اليها النفوس ثم يتعلم فيها الصبي فاذا حفظ علما أو حكمة صعد يوم عيد على درج في مجلس بديع الصنعة وقد اجتمع كبار أهل المملكة فيتكلم بالحكمة التي حفظها على رؤس الاشهاد وعليه التاج ويسمى حكيما كل ذلك ترغيب للصبي في الاشتغال لما يحصل له من الشرف والسرور وفي يوم من هذه الايام ظهر أمر ارسطاطاليس كما سيأتي ذكره ولافلاطون آراء ومذاهب أخذها عنه ارسطاطاليس وخالفه في بعضها مثل حدوث العالم وغيره وكان يصوّر لافلاطون الصورة ويؤتى بها اليه فيقول من خلق هذه الصورة كذا ومن حالها كذا فصوّرت صورته وسئل عنها فقال من خلق صاحب هذه الصورة كذا وكذا وهو محب للزنا فقيل انها صورتك فقال نعم ولولا

أنى أحبس نفسي عن الزنا لفعلت * ومن كلامه ان الله تعالى بقدر ما يعطى من الحكمة يمنع من الرزق فقيل له ولم قال لان الحكمة حظ النفس الناطقة والمال حظ النفس الشهوانية والناطقة غالبة على الشهوانية فالمال والحكمة متغايران فلا يجتمعان وقال لا ينبغي أن تفعل شيأ اذا عيرت به غضبت فانك اذا فعلت ذلك كنت أنت القاذف لنفسك وقال عقول الناس مدونة فى رؤس أقلامهم وظاهرة فى اختياراتهم وقيل له بماذا ينتصف الانسان من عدوه قال بأن يزداد فضلا فى نفسه وقال فى معنى الملك هو كالبحر تستمد منه الانهار فان كانت الانهار عذبة فأصلها منه وان ضد ذلك فمنه وقال ينبغى للذين يأخذون على أيدى الاحداث أن يدعوا لهم موضعا للعذر لئلا يضطروا الى الضجر بكثرة التوبيخ وقيل له فلان لا يعرف شيأ من الشر قال فاذا لا يعرف الخير يريد أن تكون الامور متميزة عند الانسان فانه بعد تمييزها يختار منها واذا لم يوضحها التمييز بطل اختياره ومتى بطل اختياره خيف عليه أن يقع فى مهلكاتها وقال من القبيح أن نمتنع من الطعام اللذيذ لتصح أبداننا ولا نمتنع من القبائح لتصح وبذلك أنفسنا * فأما ارسطاطاليس فهو

ترجمة ارسطاطاليس

ابن نيقوماخس المعروف بالمعلم الاول وانما سمى بذلك لانه أول من وضع التعاليم المنطقية وأخرجها من القوة الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض وكان سبب محبة أفلاطون له والقاء علومه اليه أن أباه كان قد أسلمه لافلاطون صغيرا ومات فاستمر ارسطاطاليس يتيما فى خدمته وكان ذوفسطاليس الملك قد اتخذ لولده بطاقورس بيتا للحكمة وأمر افلاطون بتعليمه وكان غلاما متخلفا قليل الفهم وارسطاطاليس غلاما ذكيا حاذقا وكان افلاطون يعلم بطاقورس الآداب والحكمة وارسطاطاليس يعى ذلك ويرسخ فى صدره حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب الذى هو بيت الحكمة وألبس بطاقورس التاج وحضر الملك وأهل المملكة على العادة وصعد افلاطون وولد الملك الى مجلس الحكمة والشرف على رؤس الاشهاد فلم يورد الغلام شيأ ولا نطق بحرف فأسقط فى يد افلاطون واعتذر بأنه لم يقصر فى الالقاء عليه ثم قال يا معشر التلامذة من فيكم من ينوب عن بطاقورس فشار ارسطاليس وصعد الى مجلس الشرف وأخذ يسرد جميع

ما ألقاه افلاطون الى ابن الملك لم يغادر منه حرفا فقال افلاطون أيها الملك هذه الحكمة التى ألقيتها على ولدك قد حفظها هذا اليتيم فما احتيالى فى الرزق والحرمان ثم انصرف الجمع وقد اغتبط افلاطون برسطاليس واعتنى به بعد ذلك ومكث عنده نيفا وعشرين سنة وكان كثير التعظيم له بحيث انه كان اذا جلس فاستدعى منه الكلام يقول اصبر حتى يحضر الناس وربما قال اصبر حتى يحضر العقل فاذا حضر ارسطاليس قال تكلموا ثم مات افلاطون وقد أخذ عنه ارسطاليس جميع علومه وخالفه فى مسائل استدركها عليه وكان يقول انا نحب افلاطون ونحب الحق فاذا افترقنا فالحق أولى بالمحبة ثم وضع علم المنطق ورتب أصوله وقال انما فضل الناس على البهائم بالمنطق فأحقهم بالانسانية أبلغهم منطقا وأوصلهم الى عبارات من ذات نفسه بالايجاز وله فى ذلك مسائل ومصنفات معروفة وكذلك فى جميع علومه الحكمية والفلسفية وكان قد تسلم الاسكندر بن فيلبش من أبيه فعلمه وهذبه وولى الاسكندر المملكة فكان لا يبرم أمرا وينقضه الا باشارته وكان بمنزلة الوزير والمشير الى أن توفى الاسكندر وعاش بعده قليلا ومات فوضعت جثته فى اناء من نحاس وقيل فى خشبة كالتابوت وعلقت فى جزيرة صقلية وكان أهل البلد يجتمعون اليها عند المشاورة والمدارسة فى فنون الحكمة ويقولون ان مجيئهم الى ذلك الموضع يذكى عقولهم ويصحح فكرهم وربما استسقوا به فى الجدب * ومن كلامه مما كتب به للاسكندر وهو فى غاية البلاغة أيها الملك لا تنخدع للهوى وان خيل اليك أن فى انخداعك له خداعه فقد يسترسل الانسان وهو يظن انه متحفظ واجمع فى سياستك بين بدار لا حدة فيه وريث لا غفلة معه وامزج كل شكل بشكله حتى تزداد قوة وكن عبد الحق فعبد الحق حر وليكن وكدك الاحسان الى الخلق ومن الاحسان وضع الاساءة فى موضعها وكن نصيح نفسك فليس لك أرأف بك منك واذا أشكل عليك أمر فاضرع الى الله تعالى يبلغك هذه الغاية فانه يفتح لك المرتج واذا فاتك شئ فاعلم أن ذلك لسهو عرض لك فى الشكر على ما أفادك ومهما أخطأك شئ فلا يخطئنك الفكر فى الرحيل من هذه الدار * ومنه ان لكل شئ صناعة وصناعة العقل حسن الاختيار ورأى

انسانا سمين البدن فقال ما أشد عنايتك برفع سور جسمك وقال سلوا القلوب عن المودّات فانها لاتقبل الرشا وقال مقدم الرأس للفكر ومؤخره للذكر والدليل على ذلك أنّ المتفكر يطأطئ برأسه والمتذكر يرفع رأسه وقال من علم انّ الفناء مستول على كونه هانت عليه المصائب وأكثر الامثال فى شعر المتنبي من قوله وقد أفرد الهاشمي رسالة فى ذلك (وحكى) عبدالله بن طاهر أنّ المأمون قال رأيت فى المنام رجلا قد جلس مجلس الحكماء فقلت له من أنت فقال ارسطاليس الحكيم فقلت أيها الحكيم ما أحسن الكلام قال ما يستقيم فى الرأى قلت ثم ماذا قال ما يستحسنه سامعه قلت ثم ماذا قال ما لايخشى عاقبته قلت ثم ماذا قال ما عدا هذا هو ونهيق الحمار سواء قال المأمون ولو كان حيا ما زاد على هذا الكلام شيأ آخر اذ به جمع ومنع وقال قوم انّ هذا الكلام وجد فى كتبه

ترجمة بطليوس صاحب كتاب المجسطى

(وبطليوس سوّى الاصطرلاب بتدبيرك وصوّر الكرة على تقديرك) هو بطليوس صاحب كتاب المجسطى الكبير والجغرافيا والاصطرلاب وكتاب اللحون الثمانية وغير ذلك وهو أوّل من شرح القول على هيئات الفلك وأخرج علم الهندسة من القوّة الى الفعل وأكثر الرواة يقولون انه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر وبطليوس لقب ملوكهم وكان رجلا حكيما وسبب ملكه أنه لما مات بطليوس الصانع ملك اليونان لم يكن فى بيت هذا الملك من أهله من يصلح للملك فذكر لليونان رجل يصلح فقال بطليوس انه لا يصلح للملك قالوا ولم قال لانه كثير الخصومة وليس يخلو فى خصومته أن يكون ظالما أو مظلوما فان كان ظالما لم يصلح للملك لظلمه وان كان مظلوما لم يصلح للملك لعجزه وضعفه قالوا صدقت فأنت أولى بالملك فملكوه عليهم وقال بعض محققى التاريخ ليس بطليوس الحكيم من ملوك اليونان بل هو رجل حكيم كان فى زمن انطيسوس أحد ملوك الروم بعد اليونان بملوك كثيرة والدليل على انه ليس من ملوك اليونان انه ذكر فى كتاب المجسطى انه رصد الشمس بالاسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين لبخت نصر وكان من بخت نصر الى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة ومن قتل دارا الى زوال ملك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وثمانون سنة ومن غلبة اوغسطس الى أن ملك انطيسوس مائة وسبعون سنة

فيكون ذلك موافقا لما حكاه بطلميوس فى كتابه * وأمّا الاصطرلاب فيزعمون أنه باللغة اليونانية ميزان الشمس وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ الارصاد ومطالع الكواكب وغير ذلك وبه مثلت هيئة الفلك وكذلك الكرة والاصطرلاب كرة مطبوعة مثاله كرة من شمع ضمت عليها اليدان فصارت دائرة وزعم بطلميوس ان الافلاك تسعة فأولها أقربها الى الارض وهو أصغرها وهو فلك القمر ثم الذى يليه فلك عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشترى ثم زحل والثامن فلك البروج وفيه سائر الكواكب الثابتة التاسع الفلك الاعظم الحاكم على جميع الافلاك ويسمى الاثير لانه يؤثر فى غيره وغيره لا يؤثر فيه ويقال القسرى لانه يدير الافلاك دورة قسرية فى كل يوم وليلة وهيآت البروج مثال البطيخة المخططة أعلاها وأسفلها كالنقطتين وكل بيت بين خطين بمنزلة البرج ثم ان الفلك المحيط يدير الافلاك الثمانية من المشرق الى المغرب كل يوم دورة واحدة والافلاك الثمانية تدور من المغرب الى المشرق وشبهوا ذلك بسفينة تجرى مع الماء وفيها رجل يمشى مصعدا (وحكى أبو حيان التوحيدى قال كان ابن بكير يقول دون فلك القمر فلكان هما سبب المد والجزر ويقطعان الفلك كل يوم وليلة مرتين وهذا من آرائه التى تفرد بها ولم أجد أحدا يوافقه عليها والصناعة برهانية ولا أعرف أى برهان قام له على هذه الدعوى * ومن كلام بطلميوس ما أحسن بالانسان أن يصبر عما يشتهى وأحسن منه أن لا يشتهى الا ما ينبغى وقال ينبغى للعاقل أن ينظر كل يوم فى المرآة فان رأى وجهه حسنا لم يشنه بشئ قبيح يفعله وان رآه دميما لم يجمع بين قبيحين وسمع جماعة من أصحابه حول خيمة له يقعون فيه فهز رمحا بين يديه ليعلموا انه يسمع منهم وأن يتباعدوا عنه فيبلغه ما يقولون ما أحبوا وكان يقول انما نحن كائنون فى الزمن الذى يأتى من بعد هذا رمزا الى المعاد اذ الكون والوجود الحقيقى ذلك الكون والعالم

(وبقراط علم العلل والامراض بلطف حسك)

ترجمة بقراط أو أبقراط

هو بقراط بن ابراقليس كان فى زمن بهمن بن اسفنديار ويقال انه سابع الاطباء الذين أولهم اسقلبيوس وهو قبل سقراط وافلاطون وهو الذى نظر فى صناعة الطب فوجدها قد كادت تبيد لقلة أبناء المورثين لها من

آل

آل اسقلبيانوس فانهم كانوا يلقنونها الابناء منهم ولا يكتبونها فيتعلمها غيرهم فبث بقراط هذه الصناعة فى الناس وعم الغرباء وعهد الى الاطباء عهدا طويلا مشهورا وقال جالينوس فى بعض كتبه ان أبقراط كان يعلم مع ما كان يعلمه فى الطب من أمر النجوم مالم يكن يدانيه فيه أحد من أبناء زمانه وكان يعلم أمر الاركان التى منها تركيب أبدان الحيوان وكون جميع الاجسام التى تقبل الكون والفساد وفسادها وهو الذى برهن كيف يكون المرض والصحة فى جميع الحيوان والنبات واستنبط أجناس الامراض وجهات مداواتها وهو أول من اتخذ البيمارستان وذلك انه عمل بالقرب من داره موضعا مفردا للمرضى وجعل لهم خدما يقومون بمداواتهم وسماه اخشيدوكن أى مجمع المرضى وكذلك لفظ البيمارستان بالفارسى ولم يكن يرغب فى الاتصال بالملوك حتى ان ملك الفرس كتب الى عامله من بلاد اليونان يأمره بحمل أبقراط اليه لأجل وباء عرض فى بلاده وأن يحمل اليه مائة قنطار ذهبا ويضمن له اقطاعا مثلها وكتب الى ملك اليونان فى ذلك الوقت يستعين به على اخراجه اليه وضمن له مهادنته سبع سنين فلم يجب ابقراط الى هذا وقال أهل المدينة ان خرج أبقراط خرجنا كلنا وقتلنا دونه وتفسير أبقراط ضابط الكل وقيل ضابط الخيل وهو الصحيح وكتبه جليلة وأخباره حسنة ومن ظريف حكاياته أن ولدا لأحد ملوك اليونان عشق جارية من حظايا أبيه فنحل بدنه واشتدت علته وهو كاتم خبره فأحضر أبقراط فجس نبضه ونظر الى بشرته فلم ير عنده علة فذاكره حديث العشق فرآه يهتز لذلك ويطرب فاستخبر الحال من حاضنته فلم يكن عندها خبر فقال هل يخرج عن الدار فقالت لا فقال لابيه مر رئيس الخصيان بطاعتى فأمره بذلك فقال أخرج على النساء فخرجن وأبقراط واضع يده على نبض الصبى فلما خرجت الصبية الحظية اضطرب عرقه وحار طبعه فعلم بقراط انها المعنية بهواه فصار الى الملك فقال ان ابن الملك عاشق لمن الوصول اليه صعب قال الملك ومن تيك قال هى زوجتى قال فانزل عنها ولك عنها بدل فتمنع أبقراط وقال هل رأيت أحدا كلف أحدا طلاق زوجته ولا سيما الملك فى عدله ونصفته يأمرنى بمفارقة زوجتى وهى عديلة روحى فقال الملك انى أوثر ولدى عليك

وأعوضك أحسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد والسيف فقال أبقراط ان الملك لا يسمى عادلا حتى ينصف من نفسه ما ينصف من غيره أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك ففهم الملك المراد وقال يا بقراط عقلك أتم من معرفتك ونزل عن الحظية لابنه وشفى الفتى من لاعج الهوى * ومن كلام أبقراط سلوا القلوب عن المودات فانها شهود دلاة قبل الرشا وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع يعنى من المآكل والمشارب وقال خير الغداء بواكره وخير العشاء بوادره يعنى بذلك المبادرة به فى بقايا النهار والضوء متمكن وقبل الدخول فى حد النوم وقال استهينوا بالموت فان مرارته فى خوفه وسئل كم ينبغى للانسان أن يجامع فقال فى كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال فى كل شهر قيل فان لم يقدر قال فى كل أسبوع قيل فان لم يقدر قال هى روحه متى شاء أخرجها ولما حضرته الوفاة قال خذوا منى العلم بغير حسد من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته فقد طال عمره

ترجمة جالينوس

(وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك)

(جالينوس) هو آخر الحكماء المشهورين ويسمى خاتم الاطباء والمعلمين وذلك أنه عند ما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الاطباء السوفسطائيين ومحيت محاسنها فانتدب لذلك وأبطل آراءهم وشيد آراء أبقراط والتابعين له ونصرها وساح وطلب الحشائش وجرب وقاس أمزجتها وطبائعها وشرح الاعضاء ووضع الكتب النفيسة فى هذه الصناعة وهى مادة الاطباء الى يومنا هذا وأشهرها الكتب الستة التى شرحها الاسكندرانيون ولم يأت بعده الا من هو دون منزلته وكانت وفاته بعد مبعث المسيح عليه السلام ولم يره (حكى) انه لما بلغه دعوة المسيح صلوات الله عليه احياء الموتى وخلق الطير وابراء الاكمه والابرص قال لمن حوله من التلامذة ان علم من هذا المدعى بما لا تستقل به الطبيعة سفه قبل ما ادعاه لا يخاطب ويحمل فيما ادعاه على ما تقدم العلم منه من السفه وان لم يعلم منه سفه تقدم دعواه يطلب بالبيان لامكانه مما وراء عالم الطبيعة وذلك سبيل كل ناطق يقوم فى ابتداء كل قرن يأتى من الزمان للاضطرار اليه عند ظهور الفساد فى الارض سبيله الدعوى بما لا تستقل به الطبيعة لانقياد الناس

الى طاعته بعد القيام بصحة ما ادّعاه فن سلك سبيله بعد ذلك تحت حركته ثم تجهز للاجتماع به وسار اليه فات فى طريقه بمدينة الفرما وهى على شاطئ بحيرة تنيس وبها قبره ولما اشتد به المرض قيل له الا تتداوى قال اذا نزل قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الاجل ثم مات مبطونا ومات ارسطاطاليس بالسل ومات افلاطون مبرسما ومات أبقراط مفلوجا * ومن حكايات جالينوس عن نفسه قال مررت بشيخ يزرع شجرة فقلت ياشيخ ماتزرع فقال شجرة ثمرتها لى ولك قلت وماهى قال شجرة المشمش ثمرتها لى لانى آخذ ثمنها ولك لانها تكثر المرضى فتأخذ من اموالهم (وحكى) عن نفسه فى معرفة التشريح قال أعرف رجلا شكا ضعف شهوة الطعام فوضعت على رقبته أدوية فبرئ لان فى العضوين المجاورين للعرقين النابضين شعبة الى فم المعدة تنال منها الحس وكان فى رقبة ذلك الرجل خنازير فقطعها الاطباء فأضر ذلك بتلك القصبة التى منها الشعبة وبرئت رقبته وصار ضعف الشهوة عن الطعام فوضعت عليها الادوية المقوية فبرئ * ومن كلامه الانسان سراج ضعيف كيف يدوم ضوءه بين رياح أربع يعنى الطبائع وقال الانسان الى تجنب مايضره أحوج منه الى تناول ماينفعه وقال من كان له درهم فليجعل نصفه فى النرجس فانه راعى الدماغ والدماغ راعى العقل ورأى مصارعا كان لايرمى أحدا قد صار طبيبا فقال الآن كما صرعت الناس

(وكلاهما قلدك فى العلاج وسألك عن المزاج)

العلاج والمعالجة فى اللغة المغالبة وسمى الطب علاجا لكون الطبيب يغالب المرض وقال أبقراط يعالج الجسد على خمسة أضرب مافى الرأس بالغرغرة ومافى المعدة بالقىء ومافى أسفل المعدة بالاسهال ومابين الجلدين بالعرق واسهال الدم ويحتاج ذلك الى علوم الأصول من الاستقصات والطبائع والاخلاط والقوى والارواح والاسباب وغير ذلك والمزاج فى اللغة خلط الشراب بغيره وعبر عنه الاطباء بأنه عبارة عن تكافؤ الطبائع واختلاطها فى البدن والمزاج عندهم تسعة واحد معتدل وثمانية غير معتدلة وفى الثمانية أربعة مفردة وهى الحار والبارد والرطب واليابس والاخلاط أربعة وهى الدم والمرة الصفراء والمرة السوداء والبلغم فالدم

حار رطب والمرة الصفراء حارة يابسة والبلغم بارد رطب والمرة السوداء باردة يابسة ومعرفة أمزجة الانسان من أقسام الاسباب والعلامات و يعرف مزاج غير ذلك بالتجربة وبالقياس فليعلم ذلك

(واستوصفك تركيب الاعضاء واستشارك فى الداء والدواء)

يشير بمعرفة الاعضاء الى ذكر صفات التشريح التى ذكرها جالينوس وحكى فيها عن نفسه الحكايات العجيبة والاعضاء عندهم على قسمين بسيط ومركب فالبسيط كالعظم والعصب والعروق والمركب كالرأس واليدين والرجلين ومن الاعضاء أعضاء رئيسة وأعضاء مرؤسة وأعضاء ليست برئيسة ولا مرؤسة فالرئيسة أربعة كالدماغ والقلب والكبد والانثيين والمرؤسة ماتخدم هذه الرئيسة وذلك أن الدماغ يخدمه العصب والقلب يخدمه الشرايين والكبد تخدمها العروق والانثيان أوعية المنى وماليس برئيس ولا خادم كالعظام والغضاريف والشحم واللحم والاعضاء التى لها قوى كالمعدة والكلى * والداء هو المرض الداخل على الابدان وأجناسه ثلاثة الاول فساد المزاج والثانى تفرق الاتصال والثالث المرض المشترك * والدواء ما يحفظ به الصحة المائلة عن البدن أو ما يجلب به الصحة للبدن المزايلة له وهو نفس القسم العملى ومداره على الحذق وكان بقراط يقول الطبيب الحاذق يصير بحذقه السم دواء نافعا والجاهل يصير الدواء سما فا تلا مثال ذلك أن الجاهل بالطب اذا أخذ الصندل وسحقه كالكحل ثم طلاه على بدن حار كثير الحرارة طليا ثخينا دخلت تلك الاجزاء الدقيقة فى منافس الجسد ومسامه فتؤذى العليل والطبيب الحاذق يأخذ العود الهندى فيسحقه ناعما ثم يطليه على البدن طليا رقيقا فيتصل ما فيه من الرطوبة الى حرارة البدن فيبردها و يجد الحر سبيلا الى الخروج فتكون حرارة العود مبردة بتدبير الطبيب فاعلم ذلك

(وانك نهجت لابى معشر طريق القضاء)

النهج بيان الطريق و وضوحه ومنه نهج الثوب اذا بان فيه البلاء * والقضاء فصل الامر قولا كان أو فعلا وأصله قضاى من قضيت فقلبت الياء همزة والمراد به ههنا حكم المنجمين وقولهم بتأثير الكواكب قال الشاعر

(يقضون بالامر عنها وهى غافلة) * وأبو معشر هذا هو جعفر بن محمد بن عمر البلخى المنجم المشهور فى علم النجامة كان فى الاول من أصحاب الحديث ببغداد وكان يشنع على الكندى الفيلسوف بعلوم الفلسفة و يغرى به العامة فدس له الكندى من حسن له النظر فى علم الحساب والهندسة فدخل فى ذلك ثم عدل الى أحكام النجوم فتفنن ومهر وانقطع شره عن الكندى لانه من جنس علوم الكندى ويقال انه اشتغل بالنجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره وصنف الكتب الحسنة فى هذا العلم مثل كتاب الالوف وكتاب المدخل وكتاب المذاكرات وغير ذلك وظهرت له اصابات عجيبة وحكى عنه فيها حكايات بديعة قال فى كتاب المذاكرات قال حضرت وشيلة والزيادى عند الموفق وكان الزيادى استاذ زمانه فى النجوم فأضمر الموفق ضميرا فقال الزيادى أضمر الامير فقد أمر جليل رفيع فقال له كذبت فقال شيلة قولا قريبا منه فقال الموفق كذبت ثم قال لى هات ماعندك فقلت أضمر الامير الله عز وجل فقال أحسنت والله ويلك أنى لك هذا قلت الرئيس يرى فعله ولا يرى نفسه وكان فى أرفع درجة الفلك فى الضمير ولم أعرف له مثلا الا الله عز وجل لان الله تعالى يرى فعله ولا يرى هو وهو فوق كل عزة وسلطان ليس فوقه شئ (وحكى) عنه انه كان قد تنقل فى البلاد فاتصل ببعض ملوك العجم وان الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليطالبه بجريمة وقعت منه فاستخفى الرجل وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطريق الذى يستخرج بها الخفايا والاشياء الكامنة فأراد أن يصنع شيأ لا يهتدى اليه و يبعد عنه الحدس فأخذ طشتا وملأه دما وجعل فى الدم هاونا من ذهب كبيرا يتمكن من القعود عليه ثم جلس عليه أياما وتطلب الملك ذلك الرجل فأعياه فاحضر أبا معشر وقال له عرفنى بموضعه كما جرت عادتك فعمل المسئلة التى يستخرج بها المجهولات وسكت زمانا حائرا فقال له الملك ما سبب حيرتك قال أرى شيأ عجيبا قال وما هو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل فى بحر دم ولا أعلم فى العالم موضعا على هذه الصفة فلما يئس الملك من القدرة عليه نادى فى البلد بأمان الرجل ومن أخفاه فلما اطمأن الرجل بذلك ظهر وحضر بين يدى الملك فسأله عن

الموضع الذى كان فيه فأخبره بما اعتمد فأعجبه حسن احتياله وأصابة أبى معشر فى استخراجه * ولابى معشر فى هذا الباب أخبار كثيرة والله أعلم بحقيقتها وكان مع تقدمه فى هذه الصناعة يصيبه الصرع عند امتلاء القمر فى كل شهر وكان لا يعرف لنفسه مولدا ولكن كان قد عمل مسئلة عن عمره وأحواله وسأل عنها الزيادى المنجم ليكون أصح دلالة اذا اجتمع عليها طبعتان طبعة المسئول وطبعة السائل فخرج طالع تلك السنة السنبلة والقمر فى العقرب فى مقابلة الشمس والمريخ ناظرا الى القمر من الدلو وهذه الصورة توجب الصرع ومات به سنة اثنتين وسبعين ومائتين وقيل كان سبب موته ان المستعين ضربه أسواطا لانه اخبر بشئ قبل كونه فأصاب فكان يقول أصبت فعوقبت

(وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء)

(الكيمياء) معروفة الاسم باطلة المعنى وليعقوب الكندى رسالة بديعة سماها ابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة جعلها مقالتين يذكر فيهما تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم ويقال أن أبا بكر الرازى رد عليه فى رسالة له ورأيت لأبى عثمان الجاحظ فى كتاب الحيوان عند ذكر خلق الفار من الطين كلاما فى الكيمياء بعد فيه وقرب ولم يخرج على شئ من ابطالها وتحقيقها والصحيح الاشهر عدم الصحة فيها ولذكرها هنا عقب صناعة النجوم مناسبة لأقوال الناس فيهما * وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة فى كتاب يعتمد عليه وهذا دليل على قول أكثر الناس انه اسم موضوع وضعه المصنفون فى هذا الفن وزعموا انه كان فى زمن جعفر الصادق وانه اذا قال فى كتبه قال لى سيدى وسمعت من سيدى فانه يعنى به جعفر الصادق ومع ذلك فان الله تعالى أعلم بحقيقتها

جابر بن حيان

(وأعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق)

ترجمة النظام

هو ابراهيم بن سيار بن هانى البصرى المعروف بالنظام ويكنى أبا اسحق شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم متقدم فى العلوم شديد الغوص على المعانى وانما أداه الى المذاهب التى استبشعت منه تدقيقه وتغلغله فانه كان قد اطلع على

كثير

كثير من كتب الفلاسفة ومال فى كلامه الى الطبيعيين منهم والالهيين فاستنبط من كلامهم رسائل ومسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم مثل قوله ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى خلافا لاصحابه لانهم قضوا بانه قادر عليها لكنه لا يفعلها ومثل قوله ان الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت وقوله ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هى عليه الآن معادن ونبات وحيوان وانسان ولم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده غير أن الله تعالى أكمن بعضها فى بعض وهذا قول أهل الكمون من الفلاسفة وقوله فى القرآن ان فى قوى البشر أن تأتى بمثله الا أن الله تعالى صرف أذهانهم عن ذلك الى غير ذلك من مسائله المذكورة فى كتب الاصوليين ومراد ابن زيدون بالحقائق غير ذلك من مسائله الحسنة المعجبة فانها كثيرة وانما عدت سقطات النظام لكثرة اصابته وكان من صغره يتوقد ذكاء ويتدفق فصاحة (حكى) أن أباه جاء به وهو صغير الى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يمتحنه وفى يده قدح زجاج يا بنى صف لى هذه الزجاجة قال أبمدح أم بذم قال بمدح قال تريك القذى ولا تقبل الاذى ولا يستر ما وراءها قال فذمها قال يسرع اليها الكسر ولا تقبل الجبر قال فصف لى هذه النخلة وأومأ الى نخلة فى داره قال بمدح أم ذم قال بمدح قال حلو جناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال فذمها قال صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالأذى فقال الخليل يا بنى نحن الى التعلم منك أحوج ثم اشتغل على أبى الهذيل العلاف بمذهب الكلام الى أن برع وظهر فى أيام المعتصم وتبعه خلق كثير وكان أصل مذهبهم أنه من زعم أن الله تعالى شئ فهو كافر ثم ناظر شيخه أبا الهذيل وظاهر عليه مرارا وقيل له أتناظر أبا الهذيل قال نعم وأطرح له رخا من عقلى (وحكى) الجاحظ عنه فانه كان من اكبر تلامذته وأصحابه قال دخل أبو اسحق النظام على أبى الهذيل وقد أسن وبعد عهده بالمناظرة وأبو اسحق حدث السن فقال يا أبا الهذيل اخبرنى عن فراركم أن يكون جوهرا مخافة أن يكون جسما فهلا فررتم من أن يكون جوهرا مخافة أن يكون عرضا والجوهر أضعف من العرض فبصق أبو الهذيل فى وجهه فقال أبو اسحق قبحك الله من شيخ فما أضعف حجتك

(وحكى) عنه قال مات لصالح بن عبد القدوس ولد فمضى اليه أبو الهذيل والنظام معه وهو غلام حدث كالتبع له فرآه محترقا فقال أبو الهذيل لا أعرف لجزعك وجها اذا كان الناس عندك كالزرع فقال صالح يا أبا الهذيل انما أجزع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال أبو الهذيل وما كتاب الشكوك قال كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان فقال له النظام فشك أنت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان مات وشك أيضا في انه قد قرأ هذا الكتاب وان لم يكن قرأه فحصر صالح وكان مذهبه مذهب السوفسطائية فانهم يزعمون أن الاشياء لا حقيقة لها وأن ما نستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده وان حال اليقظان كحال النائم (وحكى) الجاحظ قال تجاذبت يوما أنا واياه حديث الطيرة فقال أخبرك اني جعت حتى أكلت الطين وما صرت الى ذلك حتى قلبت قلبي أتذكر هل ثم رجل أصيب عنده غداء أو عشاء فما قدرت عليه وكان علي جبة وقميص فبعت القميص ثم قصدت الاهواز وما أعرف بها أحدا وما كان ذلك نائشا الا عن الحيرة والضجر فوافيت الفرضة فلم أجد بها سفينة فتطيرت من ذلك ثم اني رأيت سفينة في صدرها خرق وهشم فتطيرت أيضا فقلت للملاح تحملني قال نعم قلت ما اسمك قال داوداذ بالفارسية وهو اسم شيطان فتطيرت فركبت معه فلما قربت من الفرضة صحت يا حمال ومعي لحاف سمل ومضربة خلق وبعض ما لا بد لمثلي منه فكان أول حمال أجابني أعور فقلت لبقار كان واقفا بكم تكرى ثورك هذا الى الخان فلما أدناه مني اذ هو أعضب فازددت طيرة الى طيرة وقلت في نفسي الرجوع أسلم ثم ذكرت حاجتي الى أكل الطين وقلت ومن لي بالموت فلما صرت الى الخان وأنا حائر ما أصنع اذ سمعت قرع باب البيت الذي أنا فيه فقلت من هذا فقال رجل يريدك فقلت من أنا فقال ابراهيم بن سيار النظام فقلت هذا عدو ورسول سلطان ثم اني تحاملت وفتحت له الباب فقال أرسلني اليك ابراهيم بن عبد العزيز ويقول لك انا كنا اختلفنا في المقالة فانا نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق والحرية وقد رأيتك حيث مررت بي على حال كرهتها وينبغي أن تكون نزعت بك حاجة فان شئت فأقم بمكانك مدة

شه

شهراً أو شهرين فعسى نبعث اليك ببعض ما يكفيك زماناً من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون ديناراً فخذها وانصرف وأنت أحق من عذر قال فورد على أمر أذهلني أما واحدة فاني لم أكن ملكت قبل في جميع دهري ثلاثين ديناراً والثانية انه لم يطل مقامي وغيبتي عن أهلي والثالثة ما تبين لى من الطيرة انها باطل * وتوفى النظام سنة احدى وعشرين ومائتين وله من العمر ست وثلاثون سنة وله كلام حسن وشعر رقيق ومن كلامه العلم شئ لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيته كلك فأنت من اعطائه لك البعض على خطر وقال كأنا لهو وبالاماني ونعد أنفسنا بالمواعيد فذهب من كان يحجز ثم اشتغلنا بالهموم عن الآمال وقال مما يدل على لؤم الذهب والفضة صيرورتهما عند اللئام فالشئ يصير الى شبهه والجنسية علة الضم وقال اذا كانت فى جيرانك جنازة وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة فان المصيبة عندك أكثر منها عند القوم وبيتك أولى بالمأتم وقال أبو العيناء أنشدت النظام

اذا هم النديم له بلحظ * تمشت فى مفاصله الكلوم

فقال ما ينبغى أن ينادم هذا الا أعمى ثم نظر المعنى فى شعره ومن شعره

ذكرتك والراح فى راحتى * فشبت المدام بدمع غزير
فان ينفد الدمع فرط الاسى * بكتك الحشى بدموع الضمير

ومنه أيضاً

يا تاركى جسداً بغير فؤاد * أسرفت فى الهجران والابعاد
ان كان يمنعك الزيارة أعين * فادخل الىّ بعلة العوّاد
ان العيون على القلوب اذا جنت * كانت بليتها على الاجساد

ومنه

أريد الفراق وأشتاقكم * كأنا افترقنا ولم نفترق
وأستغنم الوصل كى اشتفى * وهل يشتفى أبداً من عشق

ومنه

يروع مناجيه بهاروت لفظه * ويؤنسه منه بصورة آدم
ترى فيه لأماً فردة فوق وردة * وفصاً من الياقوت من فوق خاتم

ومنه

وشادن ينطق بالطرف * يقصر عنه منتهى الوصف
رق فلو بزت سرابيله * علقه الجو من اللطف
يجرحه اللحظ بتكراره * ويشتكي الايماء بالطرف
أفديه من مغرى بما ساءني * كأنه يعلم ما أخفي

وقيل له وهو في مرضه وفي يديه قدح من زجاج مملوء من بعض الادوية ما هذا فقال أصبحت في دار بليات أدفع آفات بآفات

(وجعلت الكندي ربما استخرج به الدقائق)

ترجمة الكندي

(الكندي) هو يعقوب بن الصباح المسمى في وقته فيلسوف الاسلام من ولد الاشعث بن قيس كان أبوه ابن الصباح من ولاة الاعمال بالكوفة وغيرها في أيام المهدي والرشيد وانتقل يعقوب الى بغداد واشتغل بعلم الادب ثم بعلوم الفلسفة جميعها فأتقنها وحل مشكلات كتب الاوائل وحذا حذو ارسطاطاليس وصنف الكتب الجليلة الجمة وكثرت فوائده وتلامذته وكانت دولة المعتصم تجمل به وبمصنفاته وهي كثيرة جدا ومن أجودها كتاب أقسام العقل الانسي وكتاب الجوامع الفكرية وكتاب الفلسفة الاولى * وله أخبار حسنة ونوادر في البخل وغيره فمن أخباره حكى انه كان حاضرا عند أحمد بن المعتصم وقد دخل أبو تمام فانشده قصيدته السينية فلما بلغ الى قوله

قوله أبوه ابن الخ الظاهر ان لفظة ابن زائدة تأمل (حمزه)

اقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء اياس

قال الكندي ما صنعت شيأ قال كيف قال ما زدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب وأيضا ان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الى قول العكوك في أبي دلف حيث قال

رجل أبر على شجاعة عامر * بأسا وغبر في محيا حاتم

فأطرق أبو تمام ثم أنشد

لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندا والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكات والنبراس

ولم يكن هذا في القصيدة فتعجب منه ثم طلب أن تكون الجائزة ولاية

حمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندي ولوه فانه قصير العمر لان ذهنه ينحت من قلبه فكان كما قال وقد يكون في ذلك الوقت ظهرت له دلائل من شخصه على قرب أجله وسمع الكندي انسانا ينشد ويقول

وفي أربع مني حلت منك أربع * فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
خيالك في عيني أم الذكر في فمي * أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

فقال والله لقد قسمها تقسيما فلسفيا وقال يوما لجارية كان يهواها اني أرى فرط الاعتياصات من المتوقعات على طالبي المودات مؤذنات بعدم المعقولات فنظرت اليه وكان ذا لحية طويلة فقالت ان اللحى المسترخيات على صدور أهل الركاكات محتاجات الى المواسي الحالقات * ومن نوادره وكلامه في البخل كان يقول من شرف البخل أنك تقول للسائل لا ورأسك الى فوق ومن ذل العطاء انك تقول نعم وأنت برأسك الى أسفل وكان يقول سماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع فيطرب فينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت وقال عمر بن ميمون تغديت يوما عند الكندي فدخل جار له فدعوته الى الطعام فقال الرجل والله لتغديت فقال الكندي ما بعد الله شيء فكتفه كتافا ونشط ليأكل معه لكان كافرا ومن وصيته لولده يا بني كن مع الناس كلاعب الشطرنج تحفظ شيئك وتأخذ من شيئهم فان مالك اذا خرج عن يديك لم يعد اليك واعلم أن الدينار محموم فاذا صرفته مات واعلم انه ليس شيء أسرع فناء من الدينار اذا كسر والقرطاس اذا نشر ومثل الدرهم كمثل الطير الذي هو لك مادام في يدك فاذا طار عنك صار لغيرك وقال المتلمس

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد
لحفظ المال خير من فناه * وسير في البلاد بغير زاد

واعرف هذا بيتا بيت أكثر من مائة ألف في المساجد وهو قول القائل

فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

فاحذر يا بني أن تلحق بهم * ومن كلامه في الفلسفة علوم الفلسفة ثلاثة فأولها العلم الرياضي في التعليم وهو أوسطها في الطبع والثاني علم الطبيعيات وهو أسفلها في الطبع والثالث علم الربوبية وهو أعلاها في الطبع وانما كانت

العلوم ثلاثة لان المعلومات ثلاثة اما علم ما يقع عليه الحس وهو ذوات الهيولى واما علم ما ليس لذى هيولى اما أن يكون لا يتصل بالهيولى البتة واما أن يكون قد يتصل بها فاما ذات الهيولى فهى المحسوسات وعلمها وهو العلم الطبيعى وأما أن يتصل بالهيولى فان له انفرادا بذاته كعلم الرياضيات التى هى العدد والهندسة والتنجيم والتأليف وأما لا يتصل بالهيولى البتة وهو علم الربوبية * ومن شعره فى وصف قصيدة

تقصر عن مداها الريح جريا * وتعجز عن مواقعها السهام
تناهب حسنها حاد وشاد * فحث به المطايا والمدام

ومنه له

أناف الذنابى على الارؤس * فغمض جفونك أو نكس
وعند مليكك فابغ العلو * وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى وفى غدا * وان التعزز بالانفس
وكائن ترى من أخى عسرة * غنى وذى ثروة مفلس
وكم كاتم شخصه ميت * على انه بعد لم يرمس

وسمع رجلا ينشد قول ربيعة الرقى

لو قيل للعباس يا ابن محمد * قل لا وأنت مخلد ما قالها

فقال ليس يجب أن يقول الانسان فى كل شئ نعم وكان الوجه أن يستثنى ثم قال

هجرت فى القول لا الا لمعارضة * تكون أولى بلا فى اللفظ من نعم

{وان صناعة الالحان اختراعك
وتأليف الاوتار والانقار توليدك وابتداعك}

(الالحان) الاصوات ذوات النغم والايقاع المؤلف على أعداد هندسية وزعم قوم أن الالحان هى موضوعة على أعاريض فقال اسحق الموصلى وهو خاتم القوم هذا قول من لم يدر هذه الصناعة * واختلف فيمن وضعها فقيل بطليوس وقيل غيره والصحيح انها قديمة موجودة فى تعاليم الفلاسفة الاولى والاشهر أن بطليوس اول من أفردلها كتابا وسماه كتاب اللحون الثمانية ولها ألقاب وأوضاع معروفة وكان بطليوس يقول الالحان

أشرف المنطق ولذلك ترتاح اليها النفوس أكثر من كل نطق وأشرف النفوس ما كان اليها أكثر ارتياحا وقال غيره النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على اخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحن اليه القلب وقال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات المطربة فان النفس اذا حزنت خمد نورها فاذا سمعت ما يطربها اشتعل منها ما خمد وسئل أبو سليمان المنطقي لم صارت الطبيعة محتاجة الى الصناعة في أن الشخص يكون بغيض المنظر والقرب فاذا غنى بألحان مطربة عشق قربه وأقبل الطرف عليه فقال ان الطبيعة انما احتاجت الى الصناعة في هذا المكان لان الصناعة ههنا تستملي من النفس والعقل وتملي على الطبيعة وقد صح أن الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس وانما تعشق النفس وتقبل آثارها وتكتسب باملائها وللموسيقي حاصل للنفس موجود فيها على نوع لطيف بالموسيقا واذا صادف طبيعة قابلة ومادة منقادة أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوسا شريفا وأعطاها صورة معشوقة فمن ههنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة الحاذقة التي من شأنها استملاء ما ليس لها واملاء ما يحصل فيها مستكملا فكما تأخذ تعطي * فأما الاوتار والانقار فاشارة الى الآلات المطربة الملهية من العيدان والدفوف وما أشبه ذلك * ويقال ان أول من اتخذ العود لمك بن متوشلخ على مثال فخذ ابنه الميت وهو قول ضعيف وقيل بطليوس وقيل بعض حكماء الفرس وسماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وقد جعلت أوتاره أربعة بازاء الطبائع فالزير بازاء المرة السوداء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء المرة الصفراء فاذا اعتدلت أوتاره المركبة على ما يجب جانست الطبائع فانبعث الطرب وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعة واحدة وأول من اتخذ الدفوف لوبابن لمك واتخذت العرب القصب والتوقيع عليها واتخذت الفرس الصنوج واشباهها وكل ذلك موضوع على نقرات معدودة وموقفات بينها وأول من غنى من العرب على العود بألحان الفرس النضر بن الحرث بن كلدة وفد على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء وقدم مكة فعلم أهلها وأول من غنى في

الاسلام بألحان الفرس سعيد بن مسجح وقيل طويس وذلك أن عبد الله ابن الزبير لما وهى بناء الكعبة رفعها وجدد بناءها وكان فيها صناع من الفرس يغنون بألحانهم فوقع عليها ابن مسجح الغناء العربى ثم دخل الى الشام فأخذ الالحان عن الروم ثم دخل الى فارس فأخذ الغناء وضرب العود واتبعه من بعده وبدئ هذا العلم بيطليوس وختم باسحق بن ابراهيم الموصلى

ترجمة عبد الحميد

(وان عبد الحميد بن يحيى بارى أقلامك)

(هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامرى) البالغ الى أعلى المراتب فى الكتابة البليغة يقال انه كان فى أول عمره معلم صبيان بالكوفة ثم اتصل بمروان ابن الجعدى قبل أن يصل الى الخلافة وصحبه وانقطع اليه فلما جاء الامر بالخلافة سجد مروان وسجد أصحابه الا عبد الحميد فقال له مروان لم لا سجدت فقال ولم أسجد على أن كنت معنا فطرت عنا يعنى بالخلافة فقال اذا تطير معى قال الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته وهو أول من اتخذ التحميدات فى فصول الكتب واستعمل فى بعض كتبه الايجاز البليغ وفى بعضها الاسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال فمن الايجاز أن بعض عمال مروان أهدى اليه عبدا أسود فأمره بالاجابة ذامّا مختصرا فكتب لو وجدت لونا شرا من السواد وعددا أقل من الواحد لاهديته وأما الاسهاب فانه لما ظهر أبو مسلم الخراسانى بدعوة بنى العباس كتب اليه عن مروان كتابا يستميله ويضمنه ما لو قرئ لاوقع الاختلاف بين أصحاب أبى مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ثم قال لمروان قد كتبت كتابا متى قرأه بطل تدبيره فان يك ذلك والا فالهلاك فلما ورد الكتاب على أبى مسلم لم يقرأه وأمر بنار فأحرقه وكتب على حزازة منه الى مروان

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى * عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولما اشتد الطلب على مروان وتتابعت هزائمه المشهورة قال لعبد الحميد القوم محتاجون اليك لادبك وان اعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم وأظهر الغدر بى فلعلك تنفعنى فى حياتى أو بعد مماتى فقال عبد الحميد

اسر

أسر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا أمير المؤمنين ان الذي أمرتني به أنفع الامرين اليك وأقبحهما بي ولكني أصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد فغمز عليه بالجزيرة عند ابن المقفع وكان صديقه وفاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما انا خوفا على صاحبه الى أن عرف عبد الحميد فأخذ وسلمه السفاح الى عبد الجبار صاحب شرطته فكان يحمي له طشتا ويضعه على رأسه الى أن مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان أبو جعفر المنصور يقول غلبنا بنو أمية بثلاثة أشياء بالحجاج وعبد الحميد والمؤذن البعلبكي وقيل لعبد الحميد ما الذي مكنك من البلاغة قال حفظ كلام الاصلع يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقيل له أيما أحب اليك أخوك أم صديقك قال انما أحب أخي اذا كان صديقي وقال أكرموا الكتاب فان الله تعالى أجرى الارزاق على أيديهم وقال العلم شجرة وثمارها الالفاظ وكان ابراهيم بن جبلة يكتب خطا رديئا فقال له عبد الحميد أطل جلفة قلمك وأسمنها وحرف قطتك وأيمنها يصلح خطك والى هذا أشار ابن زيدون بقوله وعبد الحميد باري أقلامك * ومن رسائله ما كتب عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة من حظاياه ان الله تعالى أمتع أمير المؤمنين من أنسيته وقرينته متاعا مدة الى أجل مسمى فلما تمت له مواهب الله وعاريته قبض اليه العارية ثم أعطى أمير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها أنفس منها في المنقلب وأربح في الميزان وأسنى في العوض فالحمد لله رب العالمين وانا لله وانا اليه راجعون * وكتب موصيا بشخص يقول حق موصل كتابي اليك كحقه على اذ جعلك موضعا لامله ورآني أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فصدق أمله * وكتب يعرض بشعار بني العباس الاسود من رسالة فرويدا حتى ينصب السيل وتمحى آية الليل * وكتب في فتنة بعض العمال من رسالة حتى اعترافي حنادس جهاله * ومهاوي سبل ضلاله * ذللا لسياقه * وسلما في قياده * الى نزل من حميم * وتصلية جحيم * سوى ما أنتجت الحفيظة في نفسه من عوائد الحسك وقدحت الفتنة في قلبه من نار الغضب مضادة لله تعالى بالمناصبة

ومبارزة لامير المؤمنين * بالمحاربة ومجاهدة للمسلمين بالمخالفة * الى ان أصبح بفلاة قفر * ونية صفر * بعيدة المناط * يقطع دونها النياط * وكذلك يفعل الله بالظالمين * ويستدرجهم من حيث لا يعلمون * وكتب من رسالة أخرى الى أهله وهو منهزم مع مروان أما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ومن عضته بنابها ذمها ساخطا عليها وشكاها مستزيدا لها وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا مولية فملح عذبها وخشن لينها فأبعدتنا عن الاوطان وفرقتنا عن الاخوان فالدار نازحة والطير بارحة وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعدا واليكم وجدا فان تتم البلية الى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والذل شر جار نسأل الله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الابدان والاديان فانه رب العالمين وأرحم الراحمين * ومن كلام عبد الحميد وصيته المشهورة عند الكتاب * ومن شعره رحمه الله

ترحل ما ليس بالقافل * وأعقب ما ليس بالزائل
فلهفي لذي خلف قادم * وا لهفي على سلف راحل
سأبكي على ذا وأبكي لذا * بكاء مولهة ثاكل
فتبكي من ابن لها قاطع * وتبكي على ابن لها واصل

ومنه أيضا

كفى حزنا اني أرى من أحبه * قريبا ولا غير العيون تترجم
فأقسم لو أبصرتنا حين نلتقي * ونحن سكوت خلتنا نتكلم

(وسهل بن هرون مدون كلامك)

ترجمة سهل بن هارون

(هو سهل بن هرون بن راهبون) ويكنى أبا عمرو من أهل نيسابور نزل البصرة فنسب اليها ويقال انه كان شعوبيا والشعوبية فرقة تبغض العرب وتتعصب عليها للفرس وانفرد سهل في زمانه بالبلاغة والحكمة وصنف الكتب معارضا بها كتب الاوائل حتى قيل له بزرجمهر الاسلام وله اليد الطولى في النظم والنثر وكان في أول أمره مختصا بالفضل بن سهل ثم قدمه الى المأمون فأعجب ببلاغته وعقله وجعله كاتبا على خزانة الحكمة وهي

كتب الفلاسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرس وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم فى بيت لا يظهر عليها أحد أبدا فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوى الرأى واستشارهم فى حمل الخزانة الى المأمون فكلهم أشاروا بعدم الموافقة الا مطرانا واحدا فانه قال الرأى أن تعجل بانفاذها اليه فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها فأرسلها اليه واغتبط بها المأمون وجعل سهل بن هرون خازنا لها فتصفحها ونسج على منوال كتب منها وصنف كتاب عفرا وثعلة فى معارضة كتاب كليلة ودمنة وصنف كتابا فى مدح البخل ثم أهداه للحسن بن سهل واستماحه فكتب اليه الحسن قد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبحه الله وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيأ * وكان سهل من أبخل الناس وله فى البخل وغيره نوادر حسنة (حكى) الجاحظ قال اتى رجل سهل بن هرون فقال هب لى ما لا ضرر به عليك فقال وما هو يا أخى قال درهم قال لقد هونت الدرهم وهو طابع الله فى أرضه لا يعصى وهو عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية المسلم ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذى هونته وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم فانصرف الرجل ولولا انصرافه لم يسكت (وحكى) دعبل الخزاعى قال أقمنا يوما عند سهل بن هرون واطلنا الحديث حتى أضر به الجوع فدعا بغدائه فأتى بصحفة فيها مرق تحته ديك هرم فأخذ كسرة وتفقد ما فى الصحفة فلم يجد رأس الديك فبقى مطرقا ثم قال للغلام أين الرأس قال رميت به قال ولم قال لم أظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك فوالله انى لأمقت من يرمى برجله فكيف برأسه والرأس رئيس يتفاءل به وفيه الحواس الخمسة ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بصفائها المثل ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم أر عظما قط أهش من رأسه فان كان بلغ من قبلك أن لا تأكله فعندنا من يأكله أما علمت أنه خير من طرف الجناح والساق انظر أين رميته فقال والله ما أدرى قال لكنى أدرى انك رميته فى بطنك (وحكى) الجاحظ

أن أبا الهذيل العلاف المتكلم سأله رقعة يكتب بها الى الحسن بن سهل يستعينه على ضائقة لحقته فكتب رقعة وختمها ودفعها اليه فأوصلها الى الحسن فلما رآها ضحك وأوقف عليها أبا الهذيل واذا فيها مكتوب

انّ الضمير اذا سألتك حاجة * لابي الهذيل خلاف ما أبدي
فامنحه روح اليأس ثم امدد له * حبل الرجاء المخلف الوعد
حتى اذا طالت شقاوة جدّه * وعناته فاجبهه بالردّ
وان استطعت له المضرة فاجتهد * فيما يضر بأبلغ الجهد

ثم قال الحسن هذه صفتنا لاصفتنا وأمر لابي الهذيل بمال فعاد اليه فعاتبه فقال سهل ترى أين عزب عنك الفهم أما سمعت قولي انّ الضمير خلاف ما أبدي فلو لم يكن ضميري الخير ما قلت هذا وهذه من مغالطات سهل وبلاغته وستأتي في ترجمة الجاحظ حكاية مثل هذه * ومن محاسن تعريضات سهل أنه خاطب بعض الامراء فقال له كذبت فقال أيها الامير ان وجه الكذاب لا يقابلك يعني الامير بذلك لان وجه الانسان لا يقابله ويروى أن المأمون كان قد انحرف عن سهل الى أن دخل عليه يوما فقال يا أمير المؤمنين انك ظلمتني وظلمت فلانا الكاتب فقال ويلك وكيف قال رفعته فوق قدرة ووضعتني دون قدري الا انك له في ذلك أشدّ ظلما قال كيف قال لانك أقمته مقام هزؤ وأقمتني مقام رحمة فضحك المأمون وقال قاتلك الله ما أهداك ورضي عنه وقد رويت هذه الحكاية لغيره (وحكى) عن سبب رضا المأمون عنه انه تكلم بكلام حسن في محفل فقام سهل وقال مالكم تسمعون ولا تعون ولا تعجبون أما والله انه ليقول ويفعل في اليوم القصير مثل ما قالت وفعلت بنو مروان في الدهر الطويل فاعجب المأمون قوله ورضي عنه * ومن كلامه يعزي التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة وقال في المعنى مصيبة في غيرك لك ثوابها خير من مصيبة فيك لغيرك ثوابها وقال حق على كل ذي مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكتب الى صديق له ابل من ضعف بلغني خبر الفترة في المامها وانحسارها والشكاة في حلولها وارتحالها فكاد يشغل القلق بأوّله عن السكون لآخره وتذهل الحيرة في ابتدائه عن المسرة في

انتهائه وكان تغيري في الحالين بقدرهما ارتياعا للاولى وارتياحا للاخرى وكتب لآخر أمّا بعد فالسلام على عهدك وداع ذي وذ ضنين بك في غير مقلية لك ولا سلوة عنك بل استسلام للبلوى في أمرك واقرارا بالعجز عن استعطافك الى أوان فيئتك أو يجعل الله لنا دولة من رمقك * وقال يفضل الزجاج على الذهب في رسالة الزجاج مجالوّ نوري والذهب متاع سائر والشراب في الزجاج أحسن منه في كل معدن ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل اليد ولا يرتفع في السوم واسم الذهب يتطير منه ومن لؤمه سرعته الى اللئام وهو فاتن فاتك لمن صانه وهو أيضا من مصايد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران والزجاج لا يحمل الوضر ولا يداخله الغمر ومتى غسل بالماء وحده عاد جديدا وهو أشبه شئ بالماء وصفته عجيبة وصناعته أعجب من رسالة طويلة وكان سبب قوله لها أن شدّادا الحارثي كان قد وصف الذهب فاطنب وكان النظام قد ذم الزجاج وقال تعلموا العلم فلأن يذم الزمان لكم خير من أن يذم بكم وقال يوما الاذة من المجانين الغضبان والغيران والسكران فقال شخص من العوام فما تقول في المنعظ فضحك حتى استلقى وأنشد يقول

وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

ومن كلامه في كتاب عفراء وثعلة اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدّما قبل الذى تجودون به من تفضلكم فان تقديم النافلة مع الابطاء في أداء الفريضة شاهد على وهن العقيدة وتقصير الروية ومضر بالتدبير ومخل بالاختيار وليس في نفع تحمد به عوض من فساد المروءة ولزوم النقيصة * ومن شعره قوله

ان كنت أخطأت أو أسأت ففي * عفوك مأوى للفضل والمنن
أتيت ما أستحق من خطاء * فجد بما تستحق من حسن

ومنه

أعان طرفي على جسمي وأعضائي * بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غرا بما تجني على يدي * لا علم لي أن بعضي بعض أعدائي

وقوله يهجو رجلا

من كان يعمر ما شادت أوائله * فأنت تهدم ما شادوا وما سمكوا

ما كان فى الحق أن تأبى فعالهم * وأنت تحوى من الميراث ما تركوا

وقوله

تكنفنى همان قد كسفا بالى * وقد تركا قلبى محلة بلبالى
هما أجريا دمعى ولم تدر أدمعى * ربيبة خدر ذات قط وخلخال
ولكنما أبكى بعين سخينة * على خلل تبكى له عين أمثالى
فراق خليل فقده يورث الاسى * وخلة حر لا يقوم لها بال
فواحربا حتى متى أنا موجع * بفقد حبيب أو تعذر أفعالى

وقوله

اذا امرؤ ضاق عنى لم يضق خلقى * من أن يرانى غنيا عنه باليأس
لا أطلب المال كى أغنى بفضلته * ما كان مطلبه فقرا الى الناس

(وعمرو بن بحر مستمليك)

ترجمة الجاحظ

(هو عمرو بن بحر بن محبوب) ويكنى بأبى عثمان ويعرف بالجاحظ وبالحدقى والاول أشهر امام الفصحاء والمتكلمين الذى ملأت الآفاق اخباره وفوائده حتى قيل مما فضل الله تعالى به أمة محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من الامم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى بسياسته والحسن البصرى بعلمه والجاحظ ببيانه ولد بالبصرة ونشأ ببغداد واشتغل على أبى اسحق النظام المقدم ذكره بمذهب الاعتزال وتأمل كتب الفلاسفة ومال الى الطبيعيين منهم وساد على المتكلمين بفصاحته وحسن عبارته ومما تفرد به القول بأن المعرفة طباع وهى مع ذلك فعل العباد على الحقيقة *وكان يقول فى سائر الافعال انها انما تنسب الى العباد على أنها وقعت منهم طباعا وأنها وجبت بارادتهم وليس بجائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه الى غير ذلك من آرائه التى تبعه عليها أصحابه المعروفون بالجاحظية *فأما مصنفاته الادبية مثل كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وكتاب الامصار وغيرها من الرسائل فكثيرة جدا مشحونة بأنواع الفضائل *وكان منقطعا الى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات ولما قبض عليه وعوقب فى التنور هرب الجاحظ فقيل له لم هربت قال خفت أن

أكون ثاني اثنين اذهما في التنور يريد بذلك ما صنعوا بابن الزيات من ادخاله تنورا فيه مسامير محماة كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات ثم أتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن أبي دواد قال والله ما علمتك الا كفورا للنعمة معددا للمساوى في كلام يقرعه به فقال الجاحظ خفض عليك أيدك الله فوالله لأن يكون لك الامر علي خير من أن يكون لي عليك ولأن أسيء فتحسن أحسن في الاحدوثة عنك من أن أحسن فتسيء ولأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل بك من الانتقام مني فقال ابن أبي دواد قبحك الله فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان يا غلام سر به الى الحمام فأدخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب فاخرة ولبس ذلك وأتاه فصدره في مجلسه ثم أقبل عليه فقال هات الآن أحاديثك يا أبا عثمان ولم يزل عزيز الجانب موفور المال والجاه من مبتدا أمره الى أن مات سنة خمس وخمسين ومائتين بعد أن بلغ أكثر من تسعين سنة * وله أخبار ظريفة كثيرة ونثر طائل ونظم ضعيف فمن أخباره ونوادره قال أتيت منزل صديق لي فطرقت الباب فخرجت الي جارية سندية فقلت قولي لسيدك الجاحظ بالباب فقالت أقول الجاحد بالباب على لغتها فقلت لا قولي الحدقي فقالت أقول الحلقي فقلت لا تقولي شيأ ورجعت وقال ما أخجلني أحد مثل امرأتين رأيت احداهما في العسكر وكانت طويلة القامة وكنت على طعام فأردت أن أمازحها فقلت انزلي كلي معنا فقالت اصعد أنت حتى ترى الدنيا وأما الاخرى فانها أتتني وأنا على باب داري فقالت لي اليك حاجة وأريد أن تمشي معي فقمت معها الى أن أتت بي الى صائغ يهودي فقالت له مثل هذا وانصرفت فسألت الصائغ عن قولها فقال انها أتت الي بفص وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان فقلت يا ستي ما رأيت الشيطان فأتت بك وقالت ما سمعت وكان الجاحظ بشع المنظر الا أن بيانه كان يجلي عنه وقال دخلت ديوان المكاتبات ببغداد فرأيت قوما قد صقلوا ثيابهم وصفوا عمائمهم ووشوا طروزهم ثم اختبرتهم فوجدتهم كما قال الله تعالى فأما الزبد فيذهب جفاء ظواهر نظيفة وبواطن سخيفة فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما

يكسبون وقال وقفت يوما على قاض فأردت الولع به فقلت لمن حوله انه رجل صالح لا يحب الشهرة فتفرقوا عنه فنظر الىّ وقال حسبك الله وقال قلت يوما لعبيد الكلابى أيسرّك أن تكون هجينا ولك ألف دينار قال لا أحب اللؤم بشئ قلت فان أمير المؤمنين ابن أمة قلت أخزى الله من أطاعه قالت نبيا الله محمد واسمعيل كانا ابنى أمة قال لا يقول هذا الا قدرى قلت وما القدرى قال لا أدرى الا انه رجل سوء وقال أتانى بعض الثقلاء فقال سمعت أن لك ألف جواب مسكت فعلمنى منها فقلت نعم فقال اذا قال لى شخص يا زوج القحبة يا ثقيل الروح أى شئ أقول له قلت قل له صدقت وقال أنشدت أبا شعيب القلال شعرا لابى نواس فقال هذا شعر لونثر لطف فقلت ويلك ماتفارق الجرار والخزف حيث كنت واشترى خصيا أسود فقيل له فى ذلك فقال أخذته اسود لئلا يتهم بى وخصيا لئلا أتهم به واجتمع فى البصرة بالمجاز فى مجلس فقال له المجاز كم نار فى اللغة فقال نار الحرب ونار الشجر ونار الحباحب ونار المعدة والنار المعروفة قال تركت أبلغ النيران قال وما هى قال نار حرامتك التى كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها فقال الجاحظ أما نار حرامتى فقد قضيت أنها احدى الكبر والشأن فى نار حرامتك التى يقال لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد وسأله شخص كتابا لى بعض أصحابه بالوصية فكتب له رقعة وختمها فلما خرج الرجل من عنده فضها فاذا فيها كتابى اليك مع من لا أعرف ولا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمدك وان رددته لم أذمك فرجع اليه الرجل فقال الجاحظ كانك فضضت الورقة قال نعم قال لا يضرك ما فيها فانه علامة لى اذا أردت العناية بشخص فقال الرجل قطع الله يديك ورجليك ولعنك فقال ما هذا قال علامة لى اذا أردت أن أشكر شخصا وقال نزلت على صديق لى فلم آكل عنده لحما فعرضت له فقال انى لا أكثر من اللحم منذ سمعت الحديث ان الله يكره البيت اللحم فقلت يا أخى انما أراد البيت الذى تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة فلم يؤخر حضور اللحم من ذلك اليوم (وحكى) أن أبا طاهر قال صرت الى الجاحظ ومعى جماعة وقد أسنّ واعتل فى آخر عمره وهو فى منظرة له وعنده ابن خاقان جاره فقرعنا الباب فلم يفتح لنا وأشرف من المنظرة فقال الا انى قد حولت وجلت

قوله قلت اخزى صوابه قال اخزى وقوله كانا ابنى أمة انظر بشاعة هذه العبارة وما فيها من سوء الادب فى منصب النبوة مع عدم تسليمها بالنسبة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وحديث أنا ابن الذبيحين أو كون النساء ظروفا أوعية الله تعالى لا يجدى فيه استنادا تأمل منصفا (حمزه)

قوله فتقول التلاوة بالواو (حمزه)

رميح أبي سعد وسقت الغنم فما تصنعون بي سلموا سلام الوداع فسلمنا وانصرفنا

قوله حوقلت أي أكثرت من قولي لا حول ولا قوة الا بالله لتتابع الامراض وقوله رميح أبي سعد هو رجل من العرب أسن فاستعان بالعصا وهو أول من فعل ذلك فقيل لكل من شاخ أخذ رميح أبي سعد وقوله سقت الغنم هو عند العرب كناية عن الهرم لان سائق الغنم يطأطئ من رأسه * وكان سبب علة الجاحظ أنه حضر مائدة ابن أبي دواد في الطعام سمك ولبن وكان ابن بختيشوع الطبيب حاضرا فنهاه عن الجمع بينهما فقال الجاحظ ان السمك ان كان مضادا للبن فاني اذا أكلتهما دفع كل منهما ضرر الآخر وان كانا متساويين فكأني أكلت شيأ واحدا فقال ابن بختيشوع أنا لا أحسن الكلام ولكن ان شئت أن تجرب فكل فأكل فأصابه فالج عظيم ونقرس حتى دخل عليه بعض أصحابه فقال له كيف حالك فقال اصطلحت على الاعلال لو خرج شقي الايمن ما حسست به من الفالج ولو مرت على شقي الايسر ذبابة أوجعتني وأشد ما أشكو التسعون (وحكى) بعض أبناء البرامكة قال تقلدت السند وحصل لي ما شاء الله ثم صرفت عنها وكنت قد اكتسبت بها ثلاثين ألف دينار فصغتها عشرة آلاف اهليلجة وجاء الصارف فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت أن الجاحظ بها وأنه عليل بالفالج وأحببت أن أراه قبل وفاته فصرت اليه وقرعت الباب فخرجت الي خادمة صغرى فقلت رجل غريب أحب أن أنظر الى الشيخ فبلغته فسمعته يقول قولي له ما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقلت للجارية لا بد من النظر اليه فقال هذا رجل ورد البصرة وسمع بي ويريد أن يقول رأيت الجاحظ فأذن لي فدخلت وسلمت فرد ردا جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله أسلافك وآباءك السمحاء فلقد كانت أيامهم رياض الدهر ولقد رأى بهم الخلق خيرا كثيرا فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت له أنشدني شيأ فقال

لئن قدمت قبلي رجال فطالما * مشيت على رسلي فكنت المقدما

ولكن هذا الدهر تأتي صروفه * فتبرم منقوضا وتنقض مبرما

ثم نهضت فلما قربت من الباب قال يا فتى أرأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج قلت

لا قال ان الاهليلج الذى معك ينفعنى فابعث الى منه فقلت نعم وعجبت من وقوعه على خبرى مع كثرة شغله وبعثت له منه شيأ * ومن كلامه فى رسالة أبقاك الله بقاء أياديك ولا نقلنا عن ظلك ولا أضلنا عن سبلك فاصان وجه الاحرار سواك ولا أخذنا المهوف مظلمته فى دهر الابعد وأك * وكتب الى قليب المغربى والله يا قليب لولا أن كبدى فى هواك مقروحة وروحى بك مجروحة لساجلتك هذه القطيعة وماددتك حبل المصارمة وأرجوا أن الله تعالى يديل صبرى من جفائك فيردك الى مودتى وأنف القلى راغم فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء * وكتب الى ابن أبى دواد يستعطفه ليس عندى أعزك الله سبب ولا أقدر على شفيع الا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذى لا يكون الا من نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال المأمول وأرجوا أن أكون من العتقاء الشاكرين فتكون خير معتب وأكون أفضل شاكر ولعل الله أن يجعل هذا الامر سببا لهذا الانعام وهذا الانعام سببا للانقطاع اليكم والكون تحت أجنحتكم فيكون لا أعظم بركة ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه وبمثلك جعلت فداك عاد الذنب وسيلة والسيئة حسنة ومثلك من انقلب به الشر خيرا والغرم غنما من عاقب فقد أخذ حظه وانما الاجر فى الآخرة وطيب الذكر فى الدنيا على قدر الاحتمال وتجرع المرائر وأرجوان لا أضيع وأهلك فيما بين عقلك وكرمك وما أكثر من يعفو عن صغر ذنبه وعظم حقه وانما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة وان كان العفو العظيم مستطرفا من غيركم فهو تلاد فيكم حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس الى مخالفة أمركم فلا أنتم عن ذلك تنكلون ولا على سالف احسانكم تندمون وما مثلكم الا كمثل عيسى ابن مريم حين كان لا يمر بملا من بنى اسرائيل الا أسمعوه شرا وأسمعهم خيرا فقال له شمعون الصفاء ما رأيت كاليوم كلما أسمعوك شرا أسمعتهم خيرا فقال كل امرء ينفق مما عنده وليس عندكم الا الخير ولا فى أوعيتكم الا الرحمة وكل اناء بالذى فيه ينضح * ومن كلامه فى المعنى زينك الله بالتقوى وكفاك ما أهمك من الآخرة والاولى من عاقب أبقاك الله تعالى على الصغيرة عقوبة الكبيرة وعلى الهفوة عقوبة الاصرار فقد تناهى فى الظلم ومن

لم يفرق بين الاسافل والاعالى والادانى والاقاصى فقد قصر والله لقد كنت أكره سرف الرضا مخافة أن يؤدّى الى سرف الهوى فاظنك بسرف الغيظ وغلبة الغضب من طياش مجول فحاش ومعه من الخرق بقدر قسطه من التهاب المرة الحمراء وأنت روح كما أنت جسم وكذلك جنسك ونوعك الا أن التأثر فى الرقاق أسرع وضدّه فى الغلاظ الجفاة أكمل ولذلك اشتدّ جزعى عليك من سلطان الغيظ وغلبته فاذا أردت أن تعرف مقدار الذنب اليك من مقدار عقابك عليه فانظر فى علته وفى سبب اخراجه الى معدنه الذى منه نجم وعشه الذى منه درج والى جهة صاحبه فى التسرع والثبات والى حلمه عند التعريض وفطنته عند التوبة فكل ذنب كان سببه ضيق صدر من جهة الغيض فى المقادير أومن طريق الانفة وغلبة طباع الحمية من جهة الجفوة أومن جهة استحقاقه فيما زين له عمله انه مقصر به فى حقه موثر عن رتبته أوكان مبلغا عنه مكذوبا عليه أوكان ذلك جائزا فيه غير ممتنع منه فاذا كانت ذنوبه من هذا الشكل فليس يقف عليها كريم ولا ينتظر فيها حليم ولست اسميه بكثرة معروفه كريما حتى يكون عقله غامرا لعلمه وعلمه غالبا على طباعه كما لا اسميه بكف العقاب حكيما حتى يكون عارفا بمقدار ما أخذ وترك ومتى وجدت الذنب بعد ذلك لا سبب له الا البغض المحض والنفار الغالب فلو لم ترض لصاحبه بعقاب دون قعر جهنم لعذرك كثير من العقلاء وصوّب رأيك عالم من الاشراف والاناة أقرب من الحمد وأبعد من الذم وأنأى من خوف العجلة وقد قال الاوّل عليك بالاناة فانك على ايقاع ما تتوقعه أقدر منك على ردّ ما قد أوقعته وليس يصارع الغضب أيام شبابه شئ الا صرعه ولا ينازعه قبل انتهائه الا قهره وانما يحتال له قبل هيجه فتى تمكن واستفحل وأذكى ناره وأشعل ثم لاقى من صاحبه قدرة ومن أعوانه سمعا وطاعة فلو استعطفته بالتوراة وأوجرته بالانجيل ولددته بالزبور وأفرغت على رأسه القران افراغا وأتيته بآدم شفيعا لما قصر دون أقصى قوّته ولن يسكن غضب العبد الاذكره غضب الرب فلا تقف حفظك الله بعد مضيك فى عتابى القياس الا العفو عنى ولا تقصر عن افراطك من طريق الرحمة بى ولكن قف وقفة من يتهم الغضب على عقله والشيطان على دينه ويعلم أن للكرم أعداء

ويمسك امساك من لا يبرئ نفسه من الهوى ولا يبرئ الهوى من الخطا ولا تنكر لنفسك أن تزل ولعقلك أن يهفو فقد زل آدم صلى الله عليه وسلم وقد خلقه بيده ولست أسألك الا ريثما تسكن نفسك ويرتد اليك ذهنك وترى الحلم وما جلب من السلامة وطيب الاحدوثة والله يعلم وكفى به عليما لقد أردت أن أفديك بنفسي في مكاتباتي وكنت عند نفسي في عداد الموتى وفي حيز الهلكى فرأيت أن من الخيانة لك ومن اللؤم في معاملتك أن أفديك بنفس ميتة وأن أريك أني قد جعلت لك أنفس ذخر والذخر معدوم وأنا أقول كما قال أخو ثقيف مودة الاخ التالد وان أخلق خير من مودة الاخ الطارف وان ظهرت مساعيه وراقت جدته سلمك الله وسلم عليك وكان لك ومعك * ومن فصوله القصار قال البخل والجبن غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله تعالى وقال من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الرب في تدبيره وظن أن رحمته فوق رحمة الله جل ثناؤه والناس لا يصلحون الا على الثواب والعقاب وقال من رسالة من العدل المحض أن تحط عن الحاسد نصف عقابه لان ألم حسده لك قد كفاك شر مؤنة غيظه عليك وقال لما مسخ الانسان قردا أنزل فيه مشابه من الانسان ولما مسخ زماننا لم ينزل فيه مشابه من الازمان * ومن شعره يقول

يطيب العيش ان تلقى حكيما * غذاه العلم والفهم المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل * وفضل العلم يعرفه اللبيب
سقام الحرص ليس له شفاء * وداء الجهل ليس له طبيب

ومنه

ان حال لون الرأس عن حاله * ففي خضاب المرء مستمتع
هب أن من شاب له حيلة * فما الذي تحتال له الاضلع

ومنه

وكم كان من أصدقاء له * وأعداء تفانوا فما خلدوا
تساقوا جميعا كؤوس الردى * فمات الصديق ومات العدو

وله من أبيات يمتدح بها

بدا حين أثرى باخوانه * يفلل عنهم شباة العدم

وذكره الحال صرف الزمان * فبادر قبل انتقال النعم
فتى خصه الله بالمكرمات * فمازج منه الحيا بالكرم

ومما أورد له الشريف المرتضى والعهدة عليه فانّ هذا الشعر أرفع طبقة من شعره ويذكر فيه الخضاب

رب فتاة من بني هلال * قد عجلت الى بالسؤال
مالى أراك فاني السبال * كانما كرعت في جريال
تنح عن فكري وعن خيالي

ترجمة الامام مالك رضي الله تعالى عنه

(ومالك بن أنس مستفتيك)

(هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر التميمي) وكنيته أبو عبد الله امام دار الهجرة ولد بالمدينة سنة سبع وتسعين ويقال انه أقام في بطن أمه ثلاث سنين * وكان يقول قد يكون الحمل ثلاث سنين وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين يعني نفسه وكان طويلا شديد البياض مائلا الى الشقرة مهيبا سوى اللباس والمجلس وهو أول من صنف في الفقه كتابا فوضع الموطأ كذا قال العسكري في الاوائل ولعله أراد بالمدينة * وكان مالك اذا أراد أن يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل ويتبخر ويتطيب فاذا رفع أحد صوته قال له اخفض صوتك فانّ الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا الا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فمن رفع صوته عند حديثه فكأنما رفعه عند صوته وقال زيد بن داود رأيت في المنام كأن القبر انفرج واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد والناس مصفوفون فصاح صائح أين مالك بن أنس فجاء مالك حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه شيأ فقال فرقه على الناس فاذا هو مسك وقال الشافعي رحمه الله تعالى قال لي محمد بن الحسن أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعني أبا حنيفة ومالكا رضي الله تعالى عنهما فقلت على الانصاف قال نعم فقلت ناشدتك الله من أعلم بالقرآن قال اللهم صاحبكم قلت فمن أعلم بالسنة قال اللهم صاحبكم قلت فمن أعلم بأقاويل الصحابة قال اللهم صاحبكم قلت فلم يبق الا القياس والقياس لا يكون الا على هذه الاشياء فعلى أي شئ تقيس وقال وهب سمعت مناديا ينادي ألا لا يفتي الناس الا مالك بن أنس وابن أبي ذئب وقال محمد بن جعفر لما دعي مالك

وأشار وقيل منه حسده الناس و بغوه بكل شئ فلما ولي جعفر بن سليمان سعوا به اليه وقالوا انه لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشئ وهو يأخذ بحديث رواه الاحنف في طلاق المكره أنه لا يجوز فدعا جعفر بمالك وقد غضب فاحتج عليه بما قيل عنه ثم جرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى خلعت يداه وكتفاه فوالله مازال مالك بعد ذلك في رفعة من الناس وعلو من قدره واعظام من الناس له حتى كانما كانت تلك السياط التي ضرب بها حليا حلي به وقيل انما ضرب مالك لانه سأل عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية الاموى الداخل الى الاندلس والمتملك بجزيرته فقيل له انه يأكل خبز الشعير و يلبس الصوف و يجاهد في سبيل الله وعددت مناقبه فقال مالك ليت أن الله زين حرمنا بمثله فنقم عليه بنوا العباس هذا القول و بلغ عبد الرحمن فسر بقوله وجمع أهل الاندلس على مذهب مالك فهذا سبب اجتماع المغاربة على مذهبه * وتوفى رضي الله عنه سنة تسع وسبعين ومائة * ومن أخباره ما حكى الشافعي رضي الله عنه قال رأيت على باب مالك رضي الله عنه كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر فلما رأيت مثله فقلت لمالك ما أحسنه قال هو هدية مني الملك فقلت يا أبا عبدالله دع لنفسك منها ما تركبه فقال أنا أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة * ووجه الرشيد الى مالك رضي الله تعالى عنه ليأتيه فيحدثه فقال مالك ان العلم يؤتى فصار الرشيد الى منزله واستند الى الجدار فقال مالك يا أمير المؤمنين من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلال العلم فقام فجلس بين يديه فحدثه فبعث الرشيد الى سفيان بن عيينة فأتاه سفيان فقعد بين يديه فحدثه فكان الرشيد يقول يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به * وحكى أن أبا يوسف القاضي حضر مجلس مالك فقال أبو يوسف من جملة كلام الانسان تارة يخطئ وتارة لا يصيب فقال مالك هكذا عرفنا مشايخنا فضحك بعض الحاضرين فلما خرجوا قال بعض أصحاب مالك ان أبا يوسف قال كذا ولعله متعمد وأجبت كذا فخجل مالك ودعا على أبي يوسف أن لا ينتفع بعلمه فكان كذلك مع جودة كتبه عند الحنفية * وحكى ابن حمدون في تذكرته أن حسن بن نعمان قال كنت بالمدينة فخلا لي الطريق نصف

الكراع يطلق على جماعة الخيل خاصة وله معان أخر (حمزه)

قوله فصار لعله بالسين لان التحول هنا ليس كما ينبغي (حمزه)

النهار بجعلت أتغنى فى شعر ذى يزن وأقول

ما بال قومك بارباب * حذرا كانهم غضاب

فاذا كوة قد فتحت واذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية حمراء فقال يافاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع فغنى الصوت غناء لم أسمع بمثله فقلت أصلحك الله من أين لك هذا الغناء قال نشأت وأنا غلام فأعجبنى الاخذ عن المغنين فقالت أمى يابنى ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه فتركت المغنين وتبعت الفقهاء فبلغ الله بى الى ماترى فقلت أعد الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة تريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس واذا به مالك رضى الله تعالى عنه * ومن كلامه اذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله * وقال ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله فى القلب وسأله رجل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معقول والكيف مجهول وما أظنك الا رجل سوء

(وانك الذى أقام البراهين ووضع القوانين)

البرهان فى اللغة بيان الحجة وظهورها وهو مصدر بره يبره اذا ابيض وامرأة برهاء وبرهرهة شابة بيضاء وقال الراغب البرهان أوكد الادلة وهو الذى يقتضى الصدق أبدا لامحالة وذلك أن الادلة خمسة أضرب دلالة تقتضى الصدق أبدا لامحالة ودلالة تقتضى الكذب أبدا ودلالة الى الصدق أقرب ودلالة الى الكذب أقرب ودلالة هى اليهما سواء وقال بعض الحكماء مبادى البرهان خمس الاوليات والمشاهدات والمتواترات والمجربات والحدسيات وقال آخر البرهان حجة تنتج يقينا وينقسم الى برهان انى وبرهان لمى وأمثلته معروفة وقد ذكرت ان أول من حرر كتب المنطق ارسطاليس وقد تقدم ذكره (والقوانين) واحدها قانون وهو لفظ رومى ومعناه عند المنطقيين صورة كلية تتعرف منها أحكام جزئياتها المطابقة لها

(وحد الماهية وبين الكيفية والكمية)

ماهية الشئ تصوره فى الفكر ومعرفة ماهو وأوجز حدوده فى المنطق قولهم ماهية الشئ ما يحصل فى الذهن من صورة كلية مطابقة له بعد حذف

قوله مصدر بره الخ وكذا يقال ابره أى أتى بالبرهان وبرهن مثله بناء على زيادة النون واصالتها (حمزه)

المتخصصات عنه ان كان جزئيا وهى أحد حدود العلم عند الحكماء فان العلم ينقسم الى ثلاثة أقسام علم ما وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذى يطلب منه ماهيات الاشياء هو العلم الالهى والذى يطلب منه كيفيات الاشياء هو الطبيعى والذى يطلب منه كميات الاشياء هو الرياضى والكمية والكيفية النسبة الى كم وكيف وكم عبارة عن العدد ومن النحاة من يجعله اسما ناقصا مبنيا على السكون والنسبة اليه الكمية بالتخفيف ومنهم من يجعله اسما تاما فشدد آخره وصرفه فقال أكثرت من الكم والنسبة اليه الكمية بالتشديد وهو عند المنطقيين قسم من أقسام العرض وهو نوعان منفصل ومتصل فان لم يكن بين أجزائه حد مشترك فهو الكم المتصل وان كان بين أجزائه حد مشترك فهو الكم المنفصل وهو ان كان قار الذات فهو المقدار وان لم يكن قار الذات فهو الزمان وكيف اسم مبهم غير متمكن وانما حرك آخره لالتقاء الساكنين وبنى على الفتح دون الكسر لمكان الياء قال الراغب يسأل به عما يصح أن يقال شبيه وغير شبيه كالاسود والابيض والصحيح والسقيم ولهذا لا يصح أن يقال فى الله عز وجل كيف وقال بعض الحكماء وكل هيئة قارة فى جسم لا تقتضى قسمة ولا نسبة فقولنا قارة يخرج الزمان وقسمة يخرج الكم ونسبة تخرج المقولات فى العرض والله تعالى بكل شئ عليم

وناظر فى الجوهر والعرض وميز الصحة من المرض

قال بعض الادباء الكلام فى الجوهر والعرض على رأى الحكماء طويل غامض وانما أنقل نبذة من أقرب ما سمعت فالجوهر هو الجسم كالانسان والفرس والحجر ونحو ذلك والعرض الحال والوصف المتعاقب عليه كالالوان من بياض وسواد وحمرة والحركات المختلفة من قيام وقعود واضطجاع وجميع ما عدا الجوهر فاسم العرض واقع عليه وانما مثلنا الجوهر بالجسم دون غيره مما يقع عليه اسم الجوهر لان الذين أثبتوا جواهر ليست بأجسام كالعقل والنفس والجزء الذى لا يتجزأ ليس يمتنع أحد منهم أن يسمى الجسم جوهرا فصار الجسم هو الجوهر المتفق عليه وقال بعض الحكماء الجوهر خمسة أنواع المادة والصورة والجسم والنفس والعقل ووجه الحصر أنه ان كان حالا فى محل فهو الصورة وان كان محلا لحال فهو المادة وان كان مركبا

منهما فهو الجسم وان لم يكن كذلك فهو الجوهر المفارق وهو ان تعلق بالجسم بالتدبير فهو النفس والا فهو العقل والعرض عند أكثرهم أحد وعشرون ضربا وعند بعضهم ثلاثة وعشرون عشرة منها تختص بالاحياء وهى الحياة والقدرة والشهوة والقوة والارادة والكراهة والاعتقاد والظن والنظر والالم واحد عشر تكون للاحياء وغير الاحياء وهى الكون وتشتمل على أربعة أشياء الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والتأليف والاعتماد كالثقل والخفة والبرودة واليبوسة والرطوبة واللون والرائحة والطعم والاثنان اللذان زادهما بعضهم هما البقاء والموت * والصحة هى وجود الاعتدال الخالص بالانسان وتستعار لغيره * والمرض الخروج عن الاعتدال * والتمييز الفصل بين الشيئين * والمعنى انك الذى حررت صناعة الطب وذكر الطب عقب الجوهر والعرض لان الجميع من العلوم العقليات وقد يكون مراده التمييز بين صحة الاشياء ومرضها كالحقائق والشكوك والفضائل والرذائل واستعار الشكوك والرذائل بالمرض لكونها مانعة عن ادراك الفضل كالمرض المانع للبدن عن ادراك التصرف الكامل وعلى كلا الوجهين فالمراد انك أنت الحكيم الذى نظر فى هذه العلوم وأظهرها

(وفك المعمى)

عمى الامر اذا التبس وعميت معنى البيت من الشعر اذا أخفيته ومنه المعمى اللغز والمراد ههنا حروف يصطلح عليها الكاتب مع نفسه ويكاتب بها ويسمى الآن المترجم ولها طرائق مذكورة تعين على استخراجها وأول من وضعها الخليل واضع العروض ولا بأس بايراد نبذة من أخباره وفوائده وكذلك أفعل عند كل بيت أو لفظة يمثل بها ابن زيدون فى هذه الرسالة فما أحفظه من ألفاظ المتقدمين فانى أذكر قائلها وشيأ من نوادره اذ لا بد فى ذلك من فائدة ونكتة والكلام عليها أولى من الكف عنها * والخليل هو أحمد بن عمر الفراهيدى الازدى ويكنى أبا عبد الرحمن ولد بالبصرة سنة مائة ونشأ بها واشتغل بالعلوم وصنف الكتب الكثيرة مثل كتاب العين ولم يتمه وكتاب النقط والشكل وكتاب النغم وكتاب الشواهد وأجودها العروض

ترجمة الخليل بن أحمد

وهو أوّل من وضعه فجاء من عجائب المخترعات كالشطرنج وشبهه ثم تبعه فيه الناس واستخرج من بحر المتقارب بحر مخبون الاجزاء ويسمى الخبب ووصل الامر الى أبي نصر الجوهري فأوضحه أعني العروض واختصره أحسن اختصار وأوّل ما خالفه فيه أنّ الخليل جعل الاحرف التي يوزن بها الشعر ثمانية اثنان خماسيان فعولن وفاعلن وستة سباعية متفاعلن فاعلاتن مستفعلن مفاعيلن مفعولات فنقص الجوهري منها جزء مفعولات وأقام الدليل على انه مقول في مستفع لن مفروق الوتد لان مفعولات مركب من سببين خفيفين ووتد مفروق مؤخر وزعم أن مفعولات لو كان جزأ صحيحا لركب من مفرده بحر كما يركب من سائر الاجزاء يريد انه ليس في الاوزان وزن انفرد به مفعولات ولا يكرر في قسم منه ثم استخرج المعمى وهو أيضا أوّل من نظر فيه وذلك أنّ بعض اليونان كتب بلغتهم كتابا الى الخليل فخلا به شهرا حتى فهمه فقيل له في ذلك فقال علمت انه لا بدّ وأن يفتتح باسم الله تعالى فبنيت على ذلك وقست وجعلته أصلا ففتحته ثم وضعت كتاب المعمى * وكان الجاحظ يقول ليس المعمى بشيء قد كان كيسان مستملى أبي عبيدة يسمع خلاف ما يقال ويكتب خلاف ما يسمع ويقرأ خلاف ما يكتب وكان أعلم الناس باستخراج المعمى وكان النظام على قدرته على أصناف العلوم لا يقدر على استخراج أخف ما يكون من المعمى وللجاحظ تحامل على مصنفات الخليل ليس هذا موضع ذكره ثم استخرج الخليل أيضا اتفاق الحروف مع النجم فقال عدد الحروف العربية عدد منازل القمر ثمانية وعشرون وغاية ما يبلغ الكلام اليه مع الزيادة سبعة على عدد النجوم السبعة وصور الزوائد اثنى عشر على عدد البروج وأربعة عشر تدغم مع لام التعريف مثل منازل القمر التي يسيرها تحت الارض وأربعة عشر فوقها ثم وضع في الشطرنج جملين في طرفي الرقعة لعب بها زمانا ثم تركت ثم أراد أن يخترع شيأ في الحساب فقال أريد أن أقرب نوعا من الحساب تمضي الجارية بدرهم الى البياع فلا يمكنه ظلمها فدخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك فصدمته سارية وهو غافل عنها الفكرة فانقلب على ظهره فكان سبب موته ومات سنة ستين ومائة وكان من العقلاء الزهاد * واجتمع هو وابن المقفع يتحدثان الى

الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع قال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه فكان كذلك أدى الخليل عقله الى أن مات زاهدا وابن المقفع الى أن مات قتيلا بسبب كتاب كتبه وحكى أن سليمان بن المهلب بعث اليه يوما بألف دينار ليتجهز بها ويأتيه الى الاهواز فدخل عليه الرسول وهو يبل كسرة يابسة ويأكلها فردّ الالف دينار وقال للرسول مادمت أجد هذه فلا حاجة لى الى سليمان * وقرأ عليه شخص كتاب العروض مدة فلم يفهم منه شيأ وأتعبه فقال له الخليل يوما اقطع هذا البيت

اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

ففهم الرجل التعريض ولم يعد * ودخل يوما الى مريض يعوده فقال أخو المريض افتح عينك فان أبو عبد الرحمن حضر فقال الخليل ماذا أعييك الامن كلامك وكتب اليه بعض الثقلاء معمى بحله فاذا هو بيت من الشعر يقول فيه

أنا ان لم أكن أهوا * ك فرأسي فى حرامى

فكتب الخليل تحته وان هويت أيضا * ومن كلامه الزاهد من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود وقال من استعمل الحزم فى وقت الاستغناء عنه غنى عن الاحتيال فى وقت الحاجة اليه وقال بحسب امرئ من الشر أن يرضى من نفسه فسادا لا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها وأقبح القول أن يتحول المرء من ذنب الى غير توبة منه وقال من الابواب ما لو شئنا شرحناه حتى يستوى فى علم القوى والضعيف كفعلنا ولكن نحب ان يكون للعالم مؤنة * ومن محاسن شعره ما أورده أبو حيان التوحيدى

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * لا بدّ من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يماثله * من منزل حاضر ان شئت أو باد
تلقى سفائنه والعيس سائرة * والنون والضب والملاح والحاد

ومنه ما قاله فى سليمان بن المهلب

انّ الذى شق فى ضامن * للرزق حتى يتوفانى
أحرمتنى خيرا قليلا فما * زادك فى مالك حرمانى

وقال فيه وقد قطع عنه برًّا

يا زلة يكثر الشيطان ان ذكرت * منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبن لرفد زل من يده * فالكوكب النحس يسقى الارض أحيانا

وقال أيضا

أبلغ سليمان أني عنه في سعة * وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحا بنفسي اني لا أرى أحدا * يموت هزلا ولا يبقى على حال

وقال نظرت في علم النجوم فهجمت منه على ما الزهد في تركه فقلت منشدا اذذاك

بلغا عني المنجم أني * كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أن ما يكون وما كا * ن قضاء من المهيمن واجب

(وفصل بين الاسم والمسمى)

الاسم ما يعرف به ذات الاصل وأصله من السمو وهو الذي ذكر به المعرف ويقال اسم وسم وسما واختلف في تقدير أصله والمسمى هو المعنى الذي وضع له الاسم وللقدماء مباحث طويلة في معنى الاسم والمسمى فمنها قول بعضهم وعليه الجمهور الاسم غير المسمى وهو الذي يراد به التسمية كقولك للرجل عرفني ما اسمك لست تسأله أن يعلمك بذاته وانما تلتمس منه العبارة المعبر بها عنه واستشهد بقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ولو كان الاسم ههنا هو المسمى لكان الله تعالى تسعة وتسعين شيأ وهذا كفر وقول عائشة رضي الله تعالى عنها والله يا رسول الله ما أهجر الا اسمك وقال آخرون الاسم هو المسمى لا بمعنى أن العبارة عين المعبر عنه وأن اللفظ هو الشخص فان ذلك محال ولكن الاسم هو المسمى على معان ثلاثة الاول انما وضعت الاسماء ليتصور بها المسميات في نفوس السامعين وتقوم عند الغيبة مقامها لو شاهدوها فلما ناب الاسم من هذا مناب المسمى في التصوير جاز أن يقال ان الاسم هو المسمى الثاني أن أكثر ما يتبين في الاسماء التي تشتق للمسمى من معان موجودة فيه قائمة به كقولنا لمن وجدت فيه الحياة حي فالاسم من هذا النوع لازم للمسمى يرتفع بارتفاعه ويوجد بوجوده ألا ترى أن الحياة اذا بطل وجودها من الجسم بطل أن يقال له حي واذا بطل أن يقال له حي بطل أن يكون به

حياة فيجوز من هذا أن يقال انّ الاسم عين المسمى يوجد بوجوده ويرتفع بارتفاعه الثالث أنّ العرب قد تذهب بالاسم الى المعنى الواقع تحت التسمية فتقول هذا مسمى زيد أى هذا المسمى بهذه اللفظة التى هى الزاى والياء والدال ويقولون فى هذا المعنى هذا اسم زيد وهو باب ظريف من كلام العرب يحتاج الى فضل نظر ويجى فى كلامهم على ضربين الاول ماصرح فيه بلفظ الاسم حتى بان لمتأمله مثل قول ذى الرمة يصف بذلك خشفا

ما ينفع الطرف الا ما تخونه * داع يناديه باسم الماء مبغوم

يعنى ان هذا الخشف لا ينتبه من النعاس الا اذا تفقدته أمّه للرضاع فصاحت به ماء ماء وكان أبو عبيدة يذهب فى تأويل هذا اللفظ الى أن الاسم زائد والتقدير يناديه بالماء وأبو على الفارسى يحمله على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فالتقدير يناديه باسم معنى والثانى مالم يصرح فيه بذكر معنى الاسم الا انه موجود من طريق المعنى مثل قولهم كتبت اسم زيد فليس المراد انه كتب هذه الاحرف وانما يريد انه كتب اسم المسمى الواقع تحتها وقال قوم يكون الشئ الواحد مسمى من جهة وتسمية من أخرى فان قولنا اسم لفظة تحوى الجنس والنوع لانه يوقع تحتها الالفاظ التى يعبر بها عن المعانى كجوهر وعرض ورجل وفرس وزيد وعمرو فكل واحد من هذه الالفاظ يقال له اسم وهو تسمية لما تحته من معناه فيكون باضافته الى الاسم الذى فوقه مسمى ويكون باضافته الى المعنى الذى تحته تسمية واسما مثال ذلك قولنا زيد وانسان وحى فانك تجد الانسان الذى هو الواسطة بين زيد والحى مسمى اذا كان يقال على الحى واسما اذا كان يقال على زيد وتجد زيدا والانسان وان كان أحدهما مسمى والآخر اسما قد تساويا فى أنهما مسميان للحى اذا كان الحى يقال على كل واحد منهما وتجد الحى الذى هو اسم الانسان والانسان الذى هو مسمى قد تساويا فى انهما اسمان لزيد وقد طال هذا الفصل عن الغرض فى هذا الكتاب وانما ذكرته لتعلق بعضه ببعض بعد حذف حشو كثير

(وصرف وقسم وعدل وقوم)

لم أتحقق المعنى المراد بهاتين السجعتين فسألت عنهما بعض علماء الاسلام

فقال الصرف نوع من المعارضة وهو ما كان العوضان فيه من النقدين أعنى الذهب والفضة وقوله وقسم كانه يريد به تقسيم الاموال المشتركة ووجه مناسبة الصرف أن المال المشترك اذا كان ذهبا قليلا فقد يتعذر قسمه بالدنانير فيصرف بالدراهم ثم يقسم وقوله وعدل وقوّم يريد به تعديل الاقسام وتقويمها فان المال المشترك اذا كانت أجزاؤه مختلفة فى الصورة والقيمة كالدور والبساتين فاذا أريد قسمتها ولا بد فتعدل بالتقويم ثم تقسم مثلا اذا كان البستان بين ثلاثة بالسوية نقوم البستان فى الاول ثم نعدل الاجزاء باعتبار ذلك فنجعل الثلاثة أجزاء متساوية ثم تقسم بالاقراع أو بتعيين الحاكم كل هذا داخل فى أبواب الفقه وقد قيل ان مالكا أول من صنف فيه وقد تقدم ذكره

(وصنف الاسماء والافعال)

(الاسماء والافعال) هنا ما اصطلح عليه النحويون فى أقوالهم وقسموه فى كتبهم الموجودة والاسم عندهم ما وقع على معنى غير مقرون بزمان ويعرف بدخول الجر عليه ويصلح فيه نفعنى وضرنى ويدخل عليه أيضا الالف واللام وهو أصل والفعل فرع عليه وقسمه بعض القدماء على ثلاثين قسما وهى معرب ومبنى وظاهر ومكنى ومعرفة ونكرة ومعين ومبهم وعربى وأعجمى وذكر وأنثى ومقصور وممدود وعامل وغير عامل ومشتق وغير مشتق ومضارع وغير مضارع ومعتل وصحيح وزائد وناقص ومنصرف وغير منصرف ومفرد ومضاف ومدغم ومظهر وشرح ذلك موجود فى كتبهم والفعل ما تصرف بالزمن كقولك ضرب ويضرب وقال السيرافى وهو محتمل للزوائد التى هى الياء والتاء والنون والالف وهو المحال قال التوحيدى وسمعت أبا حفص الاشعرى يقول لا معنى للحال انما هو الماضى والمستقبل وتحصيل الحال محال وتوهم باطل لانك لا تفرغ من الماضى الا الى المستقبل ومتى فرضت بينهما واسطة كنت فيها واهما فقيل له ان الذى يوضح الحال أنك اذا أتيت بالسين فى سيصلى لم يكن المعنى الا فى الاستقبال فلولا أن الغرض قد كان كامنا فى قولنا يصلى لم توضحه السين فكان الشبهة أن يصلى دال على الحال متضمن معنى

الاستقبال حتى يقترن باللفظ ما ينصب دليلا على الغرض الواضح فكان يكابر عند هذا البيان ويقول لو صح هذا الصح قول الفلاسفة فى الفصل بين الشيئين أى ما يكون مشتركا بين شيئين كانه مركب من بدنهما فقيل له أيضا هذا كما قاله من خالفته وأنت فى ذلك أجهل من هرة فانها تمشى على حافة الجدار غير متمكنة من سمته وتربغ مع ذلك مكانا آخر للفضل الذى يلوح لها وهى لا تمسك نفسها ولا ترسلها فظنك يا أبا حفص بشبهة تكشفها هرة * والافعال تنقسم أيضا الى أقسام كثيرة كالماضى والمضارع والامر والمتعدى الى واحد واثنين وثلاثة وغير المتعدى والتام والناقص وما سمى فاعله وما لم يسم فاعله وأفعال القلوب وغيرها * وأفعال المقاربة وأفعال التعجب وغيرها وأفعال المدح والذم وغيرها وأول من وضع علم النحو أبو الاسود الدبلى واسمه ظالم ابن عمرو بن سفيان وكان من فقهاء البصرة وعلمائهم وفصحائهم وشيعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وولاه البصرة وسبب وضعه لذلك انه دخل على ابنته بالبصرة فقالت له يا أبت ما أشد الحر فقال شهر أذار فقالت يا أبت انما أخبرتك ولم أسألك وكان مرادها التعجب فأتى أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت الاعاجم ويوشك أن تضمحل وأخبره خبر ابنته فأمره فاشترى صحفا فأملى عليه الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم قال له انح هذا النحو فسمى النحو ثم رسم رسوم النحو كلها وقيل كان سبب وضع النحو أن معاوية أرسل الى زياد يطلب ابنه فأدخل عليه فسمعه يلحن فأرسل الى أبيه يلومه فأرسل زياد الى أبى الاسود أن يضع فى النحو شيأ وكان أبو الاسود من أفصح الناس ويقول انى لاجد للحن غمرا كغمر اللحم فأبى أبو الاسود وكرما جابة زياد فوجه زياد رجلا وقال له اقعد فى طريق أبى الاسود فاذا مر بك فاقرأ شيأ من القرآن وتعمد اللحن فقعد فلما مر به أبو الاسود قرأ ان الله برىء من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم أبو الاسود ذلك وعاد الى زياد فقال قد أجبتك ثم وضع مختصره فى أصول النحو وأول ما وضع باب التعجب ثم وضع بعده عنبسة ثم أبو عمرو بن العلاء وغيرهما الى أن وصل الى سيبويه فأخذ الغاية على من قبله وبعده

ترجمة أبى الاسود الدبلى

* وكانت وفاة أبي الاسود سنة تسع وستين بالبصرة بالطاعون الجارف وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان عالما شاعرا اذا رأى الا انه كان شديد البخل جدا والتشيع فمن اخباره ما حدث أبو عمرو قال كان أبو الاسود نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان أبا الاسود كان شيعيا فكانوا يذمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا نحن ما نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما أخطأني وقال لهم يوما يا بني قشير ما أحب الى طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لانكم اذا ركبتم أمرا علمت انه غي فاجتنبته واذا اجتنبتم أمرا علمت انه رشد فاتبعته وقال له رجل أنت والله ظرف علم وحلم غير أنك بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه وسأله رجل فمنعه فقال يا أبا الاسود أما أصبحت حاتميا فقال بلى قد أصبحت حاتميا من حيث لا تدري أليس حاتم يقول

أماوي أما مانع فمبين * واما عطاء لا ينهنهه الزجر

وحكي ان أعرابيا مر به وهو يأكل رطبا على باب داره فقال السلام عليكم فقال أبو الاسود كلمة مقولة فقال أأدخل قال وراءك أوسع لك قال أنا ابن الحمامة قال انصرف وكن ابن أي طائر شئت قال سألتك بالله الا أطعمتني مما تأكل فألقى اليه ثلاث رطبات فوقعت احداهن في التراب فأخذها فمسحها بثوبه فقال دعها فان الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به فقال انما كرهت أن أدعها للشيطان فقال لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها * وجلس يوما الى معاوية يتحدثان في خلوة ثم تحرك فضرط فقال لمعاوية استرها علي قال نعم فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان ابن الحكم فلما غدا اليه أبو الاسود قال له عمرو ما فعلت ضرطتك يا أبا الاسود قال ذهبت مع الريح كما تذهب من شيخ ألان الدهر أعضاءه عن امساك مثلها وكل أجوف ضروط وان امرأ ضعفت أمانته عن كتمان ضرطة لحقيق أن لا يؤتمن على المسلمين * وأسر يوما الى معاوية بشيء وكان أبخر فأصغى اليه معاوية ماسكا أنفه فنحى أبو الاسود يده عن أنفه وقال لا والله لا تسود حتى تصبر على سرار البخر ومن شعره يقول

وكنت متى لم ترع سرك تنتشر * نوازعه من مخطئ ومصيب

فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

وكتب الى معاوية وقد وعده فأبطأ عليه يقول

لا يكن برقك برقا خلبا * ان خير البرق ما الغيث معه

لا تهنى بعد ان أكرمتنى * فشديد عادة منتزعه

وقال يخاطب ولداله كان لا يطلب الرزق

وما طلب المعيشة بالتمنى * ولكن ألق دلوك فى الدلاء

تجىء بملئها طورا وطورا * تجىء بحمأة وقليل ماء

وقال أيضا

يقول الارذلون بنو قشير * طوال الدهر لا تنسى عليا

بنو عم النبى وأقربوه * أحب الناس كلهم اليا

أحبهم كحب الله حتى * أجىء اذا بعثت على هويا

فان يك حبهم رشدا أصبه * ولست بمخطئ ان كان غيا

فروى أن بنى قشير قالوا له قد شككت يا أبا الاسود فقال كلا ماشككت أما سمعتم قول الله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين أفترون أن الله تعالى شك وقوله هويا بلغة هذيل قال أبو ذؤيب

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع

(وبوب الظرف والحال)

(الظرف) فى النحو يقال للزمان والمكان اذا جعل محلا لامور تقع فيه كقولك أعجبنى الخروج اليوم فاليوم محل للخروج الذى أسندت اليه الحديث فاذا قلت أعجبنى اليوم لم يسم ظرفا لانك انما تحدث عنه لا عن شئ وقع فيه فمن خاصة الظرف أن لا يكون محدثا عنه وأن يصلح فيه تقدير فى وكان الخليل يقول أنا أول من سمى الاوعية ظروفا لما يحل فيها (والحال) ما يعرف من هيئة الفاعل والمفعول فى حال وقوع الفعل كقولهم جاء زيد راكبا وضربت اللص قائما فالركوب هيئة زيد فى وقت مجيئه والقيام هيئة اللص فى وقت ضربه والحال اما أن يكون نكرة أو فى حكمها وبعد كلام تام أو حكمه وبعد اسم معرفة أو حكمها ولها أقسام مثل المستصحبة والسادة والمحكية والموطئة والمؤكدة وغير ذلك

قوله هذيل هم قبيلة تقلب ألف المقصور المضاف لياء النفس ياء فتقول فى فتاى فتى وهكذا (حمزه)

(وبني وأعرب ونفي وتعجب)

المبني ما لم يتغير آخره من الكلام بدخول العامل عليه * والمعرب ما تغير آخره بدخول العامل عليه بحركة أو حرف ولا يعرب من الكلام الا الاسم المتمكن والفعل المضارع * وأشار بالنفي والتعجب الى أن الكلمة الواحدة قد يراد بها النفي وقد يراد بها التعجب فمن لا يدري النحو لا يميز بين محليهما كما في قولهم ما أحسن زيد وما أحسن زيدا فانها في الاول للنفي ولهذا ارتفع زيد لانها نفت المسند الى زيد وفي الثاني للتعجب ولهذا انتصب زيد لان فاعل أحسن هو ضمير مستكن فيه يعود على ما فان معناه اي الاصل شئ أحسن زيدا وبسبب هذه المسئلة وضع علم النحو كما تقدم في ذكر أبي الاسود الديلي مع ابنته

(ووصل وقطع وثنى وجمع)

أشار الى معرفة مواقع همزة الوصل من مواقع همزة القطع وقد انشد البيت المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على وجهين وهو

فشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

فقيل شق له من اسمه باثبات الهمزة وسلامة النظم من الزحاف وقيل شق له من اسمه باستعمال الوصل ويكون ذلك مع دخول القبض في الجزء الثاني من الطويل وهو مفاعيلن بحذف الياء فيصير مفاعلن وهو زحاف مستعمل في هذا البحر تقع المعاقبة بينه وبين الكف وهو أخف منه وأكثر استعمالا (والتثنية) زيادة ألف أو ياء مفتوح ما قبلها في آخر الكلمة مع نون مكسورة كقولهم الرجلان والرجلين (والجمع) ضربان أحدهما جمع التصحيح وهو ما سلم فيه بناء مفرده وهو قسمان جمع المذكر ويكون بزيادة واو أو ياء مكسور ما قبلها في آخر الكلمة ونون مفتوحة نحو المسلمين والمسلمون وجمع المؤنث ويكون بزيادة ألف وتاء في آخر الاسم كتمرات ومسلمات في جمع تمرة ومسلمة والضرب الثاني جمع التكسير وهو ما لم يسلم فيه بناء مفرده كرجال وأصحاب في جمع رجل وصاحب

(وأظهر وأضمر واستفهم وأخبر)

(الاضمار) أن يؤتى في الكلمة بلفظ مضمر وهو ما وضع لمتكلم أو مخاطب

أو غائب كانا وأنت وهو مأخوذ من الضمر وهو الخفاء (والاظهار) أن يؤتى باللفظ المظهر وهو ما عبد المضمر مأخوذ من ظهر الشيء اذا كان على ظاهر الارض واضحا (والاستفهام) طلب الاخبار بشيء واللفظ الدال عليه بالوضع اما اسم كقولنا ما الانسان ومن زيد وكيف أنت ومتى تقوم وأما حرف وهو الهمزة في نحو قولك أقام زيد وهل في هل قام زيد (والاخبار) الاتيان بالجملة المحتملة للصدق والكذب كقولك قام زيد وما أشبه ذلك

(وأهمل وقيد وأرسل واسند وبحث ونظر)

اما أن يكون أراد الحروف المهملة التي هي غير المقيدة بالنقط والشكل وعلى ذلك وضع الخليل كتاب النقط والشكل واما أن يكون أراد بالمهمل المطلق وعدل عنه اليه لموازنة قوله في السجعة الثانية أرسل واسند والمطلق ما لم يقيد (والمقيد) ما ضمن وصفا كقوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله وامهات نسائكم فأطلق وقال في الربائب وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقيد (والمرسل والمسند) ما اصطلح عليه في علم الحديث فالمرسل عند المحدثين قول التابعي الكبير قال رسول الله صلى الله وسلم كذا أو فعل كذا فهذا مرسل عندهم باتفاق واما قول التابعي الصغير كالزهري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم يسمى مرسلا وقال قوم بل يسمى منقطعا لان أكثر رواياتهم عن التابعي واما المسند فهو ما اتصل سنده من راويه الى منتهاه وفيه أقوال وينقسم الى صحيح وحسن وضعيف فالصحيح ما اتصل سنده برواية العدل الضابط عن مثله وسلم من شذوذ وعلة والشاذ ما يرويه الثقة مما يكون مخالفا لما رواه الناس والمعتل ما فيه سبب قادح على نص ظاهره السلامة واما الحسن فهو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وقال بعضهم هو الذي فيه ضعف يحتمل ويصلح العمل به والضعيف كل حديث لم يجتمع فيه شروط الحديث الصحيح ولا الحسن المتقدم ذكرهما (والبحث) الكشف عن الشيء والطلب يقال بحثت عن الامر وبحثت كذا (والنظر) تقليب البصيرة لتأمل الامر مأخوذ من تقليب البصر لادراك الشيء

(وتصفح الاديان)

صفح الشيء عرضه كصفح الكتاب والوجه وتصفحته استعرضته وتأملت

وجهه (والاديان) جمع دين وهو الشريعة والملة والاصل فى الدين الطاعة واستعير للشريعة للانقياد اليها والطاعة والمراد النظر فى مذاهب أهل الاديان وشرائعهم واختلاف فرقهم كالمسلمين والاسلام على ضربين أحدهما دون الايمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم ومنه قوله تعالى ولكن قولوا أسلمنا والثانى فوق الايمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقادا بالقلب ووفاء بالفعل والاستسلام لله تعالى فى كل ما قضى وقدر كقوله تعالى فى قصة ابراهيم أسلمت لرب العالمين والتصفح لمذاهب المسلمين وفرقهم كالمعتزلة والاشعرية والامامية وغير ذلك وكاليهود وفرقهم من العنانية والموسكانية والعبرانية والقرائين والسامرية وما أشبه ذلك واسم اليهود مأخوذ من هاد الرجل اذا رجع وتاب وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام انا هدنا اليك أى رجعنا وتضرعنا وكان فى الاول اسم مدح ثم صار بعد نسخ شرائعهم ذما لهم والنصارى وفرقهم من الملكانية واليعقوبية والنسطورية والارمن والروم والمارونية وغيرهم واسم النصارى مأخوذ من قول عيسى عليه السلام من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ثم صار ذما لهم بعد نسخ شريعتهم أيضا وقيل مأخوذ من نسبتهم الى قرية يقال لها نصران والمجوس وفرقهم من الكيومرثية والزرادشية وما أشبه ذلك وقد استوفى ابن حزم الكلام على جميع هذه الاصول والفروع فى الملل والنحل

(ورجح بين مذهبى مانى وغيلان)

(هو مانى بن ماش الثنوى) الذى تنسب اليه المانوية كان راهبا بنجران قائلا ببنوة المسيح معظما فى اساقفة النصارى محمود السيرة فيهم فزنى فسقطت مرتبته وكان له حسدة من بطارقة زمانه فوجدوا السبيل الى ما أرادوا منه فلما رأى حاله اخذ فى الرد على اصحابه وقال لم أزن ولكنهم حسدونى وأنكروا مخالفتى لهم فى أصل دينهم اذ كانوا يقرون بالمسيح اللاهوتى ورسول الشيطان وكان مانى فى الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم فأحدث دينا ودعا اليه وظهر فى أيام سابور بن اردشير وتبعه خلق عظيم من المجوس وادعوا له النبوة ونسبوه لها الى أن قتل فى زمان بهرام بن سابور

ترجمة مانى الثنوى

كما سيأتي ذكره حدث البرمكي وغيره قال زعم ماني وأصحابه ان صانع العالم اثنان فاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا حساسين سميعين بصيرين وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل حسن نير ونفسه خيرة حليمة نفاعة منها الخير والسرور والصلاح وليس منهما من الشر شيء وجوهر الظلمة على ضد ذلك جميعه والنور مرتفع في ناحية الشمال والظلمة منحطة في ناحية الجنوب وزعموا أن لكل واحد منهما أجناسا خمسة أربعة منها أبدان وخامس هو الروح فأبدان النور الاربعة النار والنور والريح والماء وروحها النسيم المتحرك في هذه الابدان وابدان الظلمة أربعة الحريق والظلام والسموم والضباب وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة وأبدان الظلمة شياطين وبعضهم يقول أبدان النور تتولد ملائكة وابدان الظلمة تتولد شياطين وان النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجوز منها قال بعض المتكلمين والذي حملهم على هذا أنهم رأوا في العالم شرا واختلافا فقالوا لا يكون من أصل واحد شيآن متضادان كما لا يكون في عنصر النار السخن والبرد وقد ردّ عليهم بعض العلماء في قولهم الصانع اثنان فقال لو كانا اثنين لم يخل من أن يكونا قادرين أو عاجزين او احدهما قادرا والاخر عاجز الاجائز ان يكونا عاجزين لان العجز يمنع ثبوت الالهية ولا يجوز ان يكون احدهما عاجزا فبقى ان يقال هما قادران فيتصوّران احدهما يريد تحريك هذا الجسم في حالة يريد الآخر تسكينه فيهما ومن المحال وجود مايريدانه فان تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر وردّ عليهم آخر في قولهم انّ النور يفعل الخير والظلمة تفعل الشر بأنه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير وقع في شر ومن ههنا أخذ المتنبي فقال

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبر أن المانوية تكذب

وقال الجاحظ المانوية تزعم ان العالم بما فيه مركب من عشرة أجزاء يعني اجناسا خمسة منها خير ونور وخمسة منها شر وظلمة والانسان مركب من جميعها فمتى نظر نظرة رحمة فتلك النظرة من الخير والنور ومتى نظر نظرة قسوة فتلك النظرة من الشر والظلمة وكذلك جميع الحواس وكان المأمون يسأل المانوية

عن مسألة قريبة المأخذ قاطعة فناظر أحدهم فقال أسألك عن حرفين فقط هل ندم مسيء على اساءته قال بلى قد ندم كثير قال فخبرني عن الندم على الاساءة اساءة أم هو احسان قال احسان قال فالذى ندم هو الذى أساء قال نعم قال فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر وقد بطل قولكم ان الذى ينظر نظر الوعيد غير الذى ينظر نظر الرحمة قال فان الذى أزعم ان الذى أساء غير الذى ندم قال فندم على شئ كان من غيره أو على شئ كان منه فقطعه بهذه الحجة * ولمانى وأصحابه فى امتزاج النور والظلمة وحدوث الشمس والقمر والنجوم لاستصفاء النور من الظلمة الى أن لا يبقى شئ منه فى هذا العالم وتنطبق السماء على الارض ويرجع كل شكل الى شكله أقوال عجيبة الى غير ذلك من انه لا يرى المناكح يستعجل فناء العالم ويسرع بجمع الاشكال ولم تزل أتباعه تكثر وشوكته تعظم الى أن أحضره بهرام بن يزدجرد وقيل سابور وأراد قتله باتفاق الموابذة فأمر أدر باد موبذ موبذان بان يناظره فناظره فى مسألة قطع النسل وتعجيل فراغ العالم فقال الموبذ أنت الذى تزعم وتقول بتحريم النكاح تستعجل فناء العالم ويرجع كل شكل الى شكله وان ذلك حق واجب فقال مانى واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل عما هو فيه من الامتزاج فقال له أدرباد فمن الواجب أن يعجل لك هذا الخلاص الذى تدعو اليه وتعان على ابطال هذا الامتزاج المذموم فانقطع مانى فأمر بهرام بصلبه على الخشب فجعل يصيح ويقول أيها المعبود النورانى بلغت ما أمرتنى به وهذه عادتهم فى وفى أمثالى وأنت الحكيم وها انا الان مار اليك وما آذيت صامتا ولا ناطقا فتباركت أنت وعالمك النورانى الازلى فكان آخر قوله ثم ملأ جلده تبنا وكان بهرام فى الاول قد أظهر متابعته حتى أحاط علما بمن تبعه فلما قتله أمر بقتل أصحابه ثم ظهر ممن يسلك مسلكهم فى الاسلام بشر عظيم يسمون الزنادقة قتلهم المهدى وأبادهم * واما غيلان فهو ابن يونس القدرى الدمشقى كان أبوه مولى لعثمان بن عفان وغيلان أول من تكلم فى القدر وخلق القرآن فى الاسلام وقيل أول من تكلم فى القدر رجل من اهل العراق كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر واخذ عنه معبد الجهنى وغيلان الدمشقى وروى ان مكحولا قال لغيلان ويلك يا غيلان ألم أجدك

ترجمة غيلان القدري

ترامى النساء بالسفاح فى شهر رمضان ثم صرت حارثيا تخدم امرأة الحرث الكذاب وتزعم انها أم المؤمنين ثم تحولت بعد ذلك قدريا زنديقا وروى أن غيلان وقف يوما على ربيعة فقال له أنت الذى تزعم ان الله يحب أن يعصى فقال له ربيعة أنت الذى تزعم ان الله يعصى قسرا وقيل لغيلان من كان أشد عليك قال عمر بن عبد العزيز كانما كان يلقن من السماء وحكى ابن مهاجر قال بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان وفلانا نطقا فى القدر فأرسل اليهما وقال ما الامر الذى تنطقان به فقالا هو ما قال الله يا أمير المؤمنين قال وما قال الله قالا قال هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا ثم قال انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ثم سكتا فقال عمر اقرآ فقرآ حتى بلغا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا أن يشاء الله الى آخر السورة قال كيف تريان يا ابنى الاتانة تأخذان الفروع وتدعان الاصول قال ابن مهاجر ثم بلغ عمر بن عبد العزيز انهما اسرفا فأرسل اليهما وهو مغضب فقام عمر وكنت خلفه قائما حتى دخلا عليه وأنا مستقبلهما فقال لهما ألم يكن فى سابق علم الله حين أمر الله ابليس بالسجود أن لا يسجد قال فأومأت اليهما برأسى أن قولا نعم والا فهو الذبح فقالا نعم فقال أولم يكن فى سابق علم الله حين نهى آدم وحواء عن الشجرة أن يأكلا منها فالهمهما أن يأكلا منها فأومات اليهما برأسى فقالا نعم فأمر باخراجهما وأمر بالكتاب الى سائر الاعمال بخلاف ما يقولان وأمسكا عن الكلام فلم يلبثا الا يسيرا حتى مرض عمر ومات ولم يفقد الكتاب وسال بعد ذلك منهما السيل وكان غيلان قد تاب على يد عمر بن عبد العزيز فقال عمر اللهم ان كان كاذبا فلا تمته حتى تذيقه حر السيف فقطعت يداه ورجلاه وصلب فى أيام هشام بن عبد الملك حين قال يا غيلان ما هذه المقالة التى بلغتنى عنك فى القدر فقال يا أمير المؤمنين هو ما بلغك فأحضر من أحببت يحاجنى فان غلبنى ضربت رقبتى فأحضر الاوزاعى فقال له الاوزاعى يا غيلان ان شئت ألقيت عليك سبعا وان شئت خمسا وان شئت ثلاثا فقال ألق ثلاثا فقال له أقضى الله على عبد ما نهى عنه قال ما أدرى ما تقول قال فأمر الله بأمر حال دونه قال هذه أشد من الاولى قال فحرم الله حراما ثم أحله

قال ماأدرى ماتقول قال فأمر به هشام فقطعت يداه ورجلاه فمات وقيل صلب حيا على باب كيسان بدمشق ثم قال هشام للاوزاعى ياأبا عمرو فسر لنا ما قلت قال قضى الله على عبد مانهى عنه نهى آدم أن يأكل من الشجرة ثم قضى عليه فأكل منها وأمر ابليس أن يسجد لآدم وحال بين ابليس والسجود وقال حرمت عليكم الميتة ثم قال فمن اضطر فأحلها بعدما حرمها وممن كان يميل الى هذا المذهب أيضا غيلان وهو ذو الرمة الشاعر قال اختصم ذو الرمة ورؤبة الراجز عند بلال بن أبى بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر أفحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال ذو الرمة والله ماقدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيايل ضرائك فقال رؤبة أفبقدرته أكلها هذا كذب على الذئب فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب العالمين * قوله عيايل جمع عيل وهو ذو العيال وضرائك جمع ضريك وهو الفقير وعن اسحق بن سعد قال أنشدنى ذو الرمة قوله

وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب مايفعل الخمر

فقلت له فعولين خبر الكون فقال لى لوسبحت ربحت انما قلت فعولان وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام عن القول بخلاف مذهبه والله تعالى أعلم بالصواب

(وأشار بذبح الجعد)

ترجمة خالد القشيرى

(أما الجعد) فهو ابن درهم مولى بنى الحكم كان يسكن دمشق وبعلم مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية فنسب اليه وقيل مروان الجعدى ويروى أن أم مروان كانت أمة وكان الجعد أخاها وهو أول من تكلم بخلق القرآن من أمة محمد بدمشق ثم طلب فهرب ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذى نسب اليه الجهمية وقيل ان الجعد أخذ ذلك من ابان بن سمعان وأخذه أبان من طالوت بن أعصم اليهودى الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول بخلق القرآن وكان طالوت زنديقا وهو أول من صنف لهم فى ذلك ثم أظهره الجعد بن درهم فقتله خالد بن عبد الله القشيرى يوم الاضحى بالكوفة وكان واليا عليها أتى به فى الوثاق فصلى وخطب ثم قال فى آخر

خطبته انصرفوا وضحوا بضحايا كم تقبل الله منا ومنكم فانى اريد اليوم أن أضحى بالجعد بن درهم فانه يقول ما كلم الله موسى تكليما ولا اتخذ الله ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول علوا كبيرا ثم نزل وحز رأسه بالسكين بيده وطفئت نار فتنته الى أن نشأت فى ايام ابن ابى داود * واما خالد فهو ابن عبد الله بن يزيد بن أسد القشيرى البجلى كان من امراء الدولة الاموية ولى اليمن ومكة من قبل الوليد بن عبد الملك وولاه هشام العراقين بعد عمر بن هبيرة وله مكايدات واخبار فن اعجبها ما حكى ان ابن هبيرة لما هرب من سجن خالد ووفد على هشام وامنه أرسل خالد مائة من الخيل فى المضمار فبدا نقضها وأمر السواس ان يعارضوا بها هشاما اذا ركب وكان هشام معجبا بالخيل لا يشتهى ان يكون عند غيره من جيدها شئ فلما ركب هشام رأى خيلا راقته فسأل القوم عنها لمن هى فقالوا لابن هبيرة فاستشاط غضبا وقال واعجبى اختان ما اختان ثم قدم فوالله مارضيت عنه بعد وهو يواغنى فى الخيل على بصر فدعا به وهو يسير فى عرض الموكب فجاء مسرعا فقال له هشام ما هذه الخيل فكأنه فطن لما صنع خالد فقال خيل امير المؤمنين اختزتها وطلبتها من مضانها حتى جعلتها لك فن يقبضها فأعجبه ذلك وسلت خالد عن أمرها وفسدت مكيدته ولم يزل ابن هبيرة يبغى به الغوائل الى ان عزل واقام بالشام برهة ثم عذب الى ان مات سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة الوليد بن يزيد وكان جوادا فصيحا عظيم الهمة الا انه كان مارقا فى الدين * فأما جوده فان حيص بيص الشاعر دخل عليه يوما فقال انى مدحتك ببيتين قيمتهما عشرة آلاف درهم فأحضرها حتى أنشدهما فأحضر الدراهم ثم انشد حيص بيص يقول

قد كان آدم قبل حين وفاته * أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم * وكفيت آدم عيلة الابناء

فدفع اليه خالد الدراهم وامر ان يضرب اسواطا وينادى عليه هذا جزاء من لا يعرف قيمة شعره ثم قال له ان قيمتهما مائة ألف وروى انه دخل على خالد شيخ كبير فمثل بين يديه فقال شيخ جذبه اليك سنة أبدت العظام فان رأيت أن تجبره بفضل وتنعشه بسجل قال خالد على ان اقارعك فان قرعتك لم

ترجمة الجعد بن درهم

يواغنى يوافقنى

اعطك شيأ وان قرعتني اعطيتك فقارعه خالد فقرعه فقال اقلني فأقاله ثم قارعه اخرى فقرعه ايضا فقال اقلني فأقاله ثانية ثم قارعه فقرع خالدا فقال اقلني فقال لخالد لا اقالني الله اذا فقال اعطوه بدرة يدخلها في حرأمه فقال واخرى أيها الامير ادخلها في استها فضحك وامر له ببدرتين وكان يقول ايها الناس لو رأيتم البخل لرأيتموه مشوها تنفر منه القلوب وقال له بعض اصحابه والله انا لنسألك امورا لاحاجة الينا بها فقال ولم قال لعلمنا بحبتك فيمن سألك حاجة * واما فصاحته فمنها انه اقام على المنبر بواسط فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس تنافسوا في المكارم وسارعوا الى المغانم ومهما يكن لاحدكم عند احد نعمة فلم يبلغ شكرها فالله احسن له جزاء واجزل عليه عطاء واعلموا ان حوائج الناس اليكم نعم من الله عليكم فلا تملوها فتحول نقما وافضل المال ما اكسب اجرا واورث ذكرا واجود الناس من اعطى من لا يرجوه ومن لم يطب حرثه لم يزك نبته والاصول عن مغارسها تنمو وباصولها تسمو اقول قولي واستغفر الله لي ولكم ومنها انه صعد يوما المنبر فارتج عليه الكلام فقال ايها الناس ان الكلام يجيء احيانا ويعزب احيانا وربما طلب فأبى وكوبر فعصى والتأني لمجيئه ايسر من التعاطي لابيه وقد يختلج في الجريء جنانه ويتعاصى على الذرب لسانه ثم لا يكابر القول اذا امتنع ولا يرد اذا اتسع واولى الناس من عذر على النبوة ولم يؤاخذ على الكبوة من عرف منه انه اشتهر احسانه وسأعود واقول ثم نزل * واما مروقه من الدين واستهتاره فحكي انه حفر بئرا بمكة عذبة الماء ثم نصب طشتا الى جانب زمزم ثم خطب فقال قد جئتكم بماء العاذبة لا تشبه ماء ام الخنافس يعني زمزم ثم قال ان نبي الله اسمعيل استسقى ربه فسقاه ملحا اجاجا وسقى امير المؤمنين عذبا زلالا فراتا يعني هذا البئر (وحكى) ان سفيان بن ابي عبد الله قال سمعت خالدا القشيري على المنبر وكان بنو امية امروا بلعن علي على المنابر يقول اللهم افعل بعلي بن ابي طالب بن عبد المطلب زوج فاطمة وابي الحسن والحسين كيت وكيت وكان مع ذلك يبرقوما من بني هاشم فحكى ان محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أتاه يستمنحه فلم يرمنه ما يحب فقال اما المنافع فللهاشميين واما نحن فما حبوتنا منه الا شتمه عليا على منبره فبلغ خالدا ذلك

فقال ان أحب تناولنا له عثمان بشي

ترجمة بشار بن برد

(وقتل بشار بن برد)

هو بشار بن برد بن برجوخ الشاعر المقدم من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية كان جده من طخارستان من سبي المهلب ويدعي انه مولى بني عقيل وحدث عن نفسه قال لما دخلت على المهدي قال لي فيمن تعتد يا بشار فأجبته وقلت أما اللسان فعربي وأما الاصل فعجمي كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين

ونبئت قوما بهم جنة * يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائلي جاهلا * ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بنو عامر * فروعي وأصلي قريش العجم

وكان يتلون في ولائه فتارة يفتخر بقيس وتارة بغيرهم وتارة ينشد ويقول

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم * مولى العذيب فخذ بفضلك وافخر
وارجع الى مولاك غير مدافع * سبحان مولاي العلي الاكبر

وكان يلقب بالمرعث لرعاث كان في أذنه وهو صغير والرعاث القرط وقيل لبيت ذكر فيه الرعاث وولد أعمى فكان يقول أشد ما هجيت به قول الباهلي حيث يقول

وعبدي فقا عينيك في الرحم أيره * فجئت ولم تعلم لعينيك فاقئا

وكان يشبه الاشياء بما لا يقدر عليه البصراء وسئل عن ذلك فقال عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وسئل أبو عبيدة من أشعر عندك أبشار أم مروان بن أبي حفصة فقال ان بشارا حكم لنفسه بأمور لم يعطها غيره وذلك انه قال لي اثنا عشر ألف بيت جيد فقيل له كيف ذلك فقال لي اثنا عشر ألف قصيدة ان لم يكن في كل قصيدة بيت جيد فلعنها الله ولعن قائلها * وكان يتهم بالزندقة وروى الجاحظ قوله

الارض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار

وقال بهذا البيت وجد واصل بن عطاء السبيل الى تكفير بشار وخطب فيه خطبته المحذوفة الراء (وحكى) سعيد بن مسلم قال كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشار الأعمى وعبد الكريم

ابن أبي العوجاء وصالح بن عبد القدوس ورجل من الازد يعني جرير بن حازم فكانوا يجتمعون في منزل الازدي ويختصمون عنده فأما عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال وأما عبد الكريم وصالح فصححا التنوية وأما الازدي فمال الى السمنية وهو مذهب من مذاهب أهل الهند وأما بشار فبقي متحيرا فقيل انه قال بمذهب التنوية وبعده تزندق قال أحمد بن خالد كنت أكلم بشارا وأرد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد فكان يقول لا أعرف الا ما عاينت أو عاينه معاين وكان يطول الكلام بيننا فقال لي ما أظن الامر يا أبا مخلد الا كما يقال انه خذلان ولذلك أقول

طبعت على ما في غير مخير * هواي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى وأعطى فلم أرد * وغيب عني أن أنال المغيبا
وأصرف عن علمي وعلمي مبصر * فأمسي وما أعقبت الا التعجبا

وروى المازني قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لمذهبك فقال انما أدفع به شر هذه الظلمة وبمثل هذه الحكايات المنسوبة اليه دبر عليه يعقوب وزير المهدي حتى قتل (حكي) ابن نصر قال قدم بشار من البصرة الى بغداد وقد مدح المهدي بقصيدته الرائية ثم أنشده اياها فلم يحظ منه بشئ فقيل انه لم يستجد شعرك فقال والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على أحد ولكنا نكذب في القول فنكذب في الامل ثم مدح يعقوب بن داود وزيره فلم يحفل به ولم يعطه شيأ وأقام ينتظر جائزته برهة فمر يعقوب يوما ببشار فصاح بشار

طال الثواء على رسوم المنزل * فقال يعقوب
فاذا تشاء أبا معاذ فارحل * فغضب بشار وقال يهجوه

بني أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناي والعود

ثم رحل وحضر حلقة يونس النحوي فقال ههنا من نحتشمه فقال لا فأنشده هجاء في المهدي وهجاء في يعقوب فسعى به الى يعقوب وكان المهدي قد قدم البصرة فدخل عليه يعقوب وقال للمهدي ان بشارا زنديق وقد قامت عليه البينة وقد هجا أمير المؤمنين فأمر ابن نهيك وهو صاحب الشرطة بأمره ثم

أزف خروجهم فأخرجه ابن نهيك معه فى زورق فلما كانوا بالبطيحة ذكره فأرسل الى ابن نهيك يأمره بضرب بشار بالسياط ضرب التلف ويلقيه بالبطيحة فأقيم فى صدر السفينة وأمر الجلادين أن يضربوه ضربا متلفا فجعل يقول كلما وقع عليه السوط حس وهى كلمة توجع تقولها العرب عند الألم فقال بعضهم انظروا زندقته ماتراه يحمد الله تعالى فقال بشار ويلك أثريد هو أحمد الله عليه فلما بلغ سبعين سوطا أشرف على الموت فألقى فى صدر السفينة فقال ليت عين أبى الشمقمق ترانى حين يقول

ان بشار بن برد * تيس أعمى فى سفينه

ثم مات من ساعته فألقى فى خوارة البطيحة فحمله الماء الى البصرة فأخذه أهله ودفنوه (وحكى) ابن خلاد قال لما ضرب بشار بعث المهدى الى منزله من يفتشه على كتب الزندقة فوجدوا طومارا فيه بسم الله الرحمن الرحيم انى أريد هجاء آل سليمان بن على فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركتهم اجلالا له صلى الله عليه وسلم فلما قرأه بكى وندم على قتله وقال لاجزى الله يعقوب خيرا فانه لما هجاه لفق عليه شهودا على انه زنديق فقتله وندمت حين لا ينفع الندم * ومن مستطرف أخبار بشار قال له هلال ابن عطية يوما يمازحه وكان صديقا له ان الله تعالى لم يذهب ببصر احد الا عوضه منه شيأ فاعوضك قال الطويل العريض قال وما هو قال أنى لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ثم قال يا هلال تطيعنى فى نصيحة أنصحك بها قال نعم قال انك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا فعد الى سرقة الحمير فهى والله خير لك من الرفض * ومرت به نسوة حسان فقلن له أيسرك انهنا بناتك يا أبامعاذ فقال أى والله والدين كسروى ويقال انه كفر بهذا اللفظ فانه أراد يسرنى أيضا أن الدين كسروى * ودخل يوما الحمام وفيه بعض ولد قتيبة فقال يا بشار وددت انك تبصر فترانى فى الحمام وتعلم كذبك فى قولك حيث قلت

على أستاه سادتهم كتاب * هو الى عامر وسم بنار

فقال بشار يا ابن أخى ذهب عنك الصواب انما قلت سادتهم ولست منهم وكان يوما فى مجلس المهدى ينشده قصيدة فى مدحه فدخل خال المهدى

وكان فيه غفلة فقال لبشار ما صناعتك فقال أثقب اللؤلؤ فضحك المهدى وكل من حضر * وجلس اليه رجل فاستثقله فضرط فظن الرجل انها انفلتت منه غصبا ثم ضرط أخرى ثم أخرى فقال له الرجل ما هذا الفعل فقال مه أرأيت أم سمعت فقال بل سمعت صوتا قبيحا قال فلا تصدق حتى ترى فقام الرجل من ساعته وتركه * ووقف عليه بعض المجان وهو ينشد شعراله فقال يا بشار استر شعرك كما تستر عورتك فغضب بشار وصفق بيديه وتفل عن يمينه ويساره وكان يفعل ذلك اذا غضب وأراد ان يقول هجاء ثم قال ويلك من أنت فقال أنا من باهلة واخوانى من باهلة واخوالى من سلول وأصهارى من عك ومنزلى نهر بلال فضحك بشار وقال اذهب فأنت عتيق لؤمك (وحكى) أبو عبيدة قال كان حماد عجرد يتهم بالزندقة وكان يعير بشارا بقبح خلقته فلما قال فيه

والله ما الخنزير فى نتنه * بربعه فى النتن أو خمسه

بل وجهه أحسن من وجهه * ونفسه أفضل من نفسه

فقال بشار ويلى على الزنديق لقد نفث بما فى صدره قيل وكيف قال ما أراد الزنديق الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم فأخرج الجحود بها مخرج الهجاء وهذا خبث شديد من بشار وتغلغل وقد وقع بشار أيضا فى مثل هذه الواقعة حدث السرى بن الصباح قال دخلت على بشار بالبصرة فقال أما انى قد أوجعت صاحبكم وبلغت منه يعنى حماد عجرد قلت بماذا يا أبا معاذ فقال بقولى هذا وأنشد يقول

يا ابن نهيا رأس على ثقيل * واحتمال الرأسين خطب جليل

فادع غيرى الى عبادة ربين فانى بواحد مشغول

فقلت له قد بلغ حمادا هذا الشعر ولكنه يرويه على خلاف هذا قال فما يقول قلت له يقول

فادع غيرى الى عبادة ربين فانى عن واحد مشغول

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة ثم كان يقول اذا سئل عن هذين البيتين ليس هما لى * ومن كلام بشار وكان الجاحظ يعده مع شعره من الخطباء المذكورين قوله لقد عشت فى زمان فأدركت أقواما والأخلقت

الدنيا ما تحملت الابهم وانى لفى زمان ما أرى فيه عاقلا حصيفا ولا جوادا شريفا ولا جليسا ظريفا ولا من يساوى على الخبرة رغيفا * وقال الاصمعى قلت لبشار ان الناس يعجبون من أبياتك فى المشورة و يعنى بذلك قوله

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوافى عدة للقوادم

فقال يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطا يشارك فى مكروهه * ومات لبشار ولد فقيل له أجر قدمته وذخر أحرزته فقال بلى ولد دفنته وثكل تعجلته وغيب وعدته فانتظرته وان لم أجزع للنقص لم أفرح بالمزيد * ومن محاسن شعره قوله

حرم الله أن يرى كابن سلم * عقبة الخير مطعم الفقراء
مالكى تنشق عن وجهه الار * ض كما انشقت السما عن ذكاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن يلذ طعم العطاء
لا ولا أن يقال شيمته الجو * د ولكن طبائع الآباء

وقوله من قصيدة فى المهدى

تسلى عن الاحباب وصال خلة * وصرام أخرى ما يقيم على أمر
وركاض افراس الصبابة والهوى * جرت جمحا ثم استقلت كما أجرى
الى ملك من هاشم فى نبوة * ومن حمير فى الملك والعدد الدثر
من المشترين الحمد تندى من الندى * يداه ويندى عارضاه من العطر
فألزمت حبلى حبل من لا يعيبه * عفاه الندى من حيث يدرى ولا يدرى

وقوله فى البائية المشهورة

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحدا أوصل أخاك فانه * مقارف ذنبا تارة ومجانبه
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

ويقول فيها أيضا

ولما تولى الحر واعتصر الثرى * لدى القيظ من نجم توقد لاهبه
غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى * الى الجأب الا انها لا تخاطبه

ومنها يقول

اذا الملك الجبار صعر خده * مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

كأنّ مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقوله من قصيدة لخالد البرمكي ويقال ان خالدا كتب هذه الابيات في صدر مجلسه وهي

أخالدان الحمد يبقى لاهله * جمالا ولا يبقى الكثير على الكد
فأطعم وكل من عارة مستردّة * ولا تبقها ان العوارى للردّ

وقوله

دعتني حين شبت الى المعاصي * محاسن زائر كالريم غض
كأنّ كلامه يوم التقينا * رقي يأخذن في طولى وعرضى

وقوله

ربما ثقل الجليس وان كا * ن خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت حين وتد في الار * ض ثقيل أربي على كيوان
كيف لا تحمل الامانة أرض * حملت فوقها أبا مروان

وقوله

رأيت السهيلين استوى الجود فيهما * على بعد ذا من ذاك في حكم حاكم
سهيل بن عثمان يجود بماله * كما جاد بالرمعا سهيل بن سالم

وقوله

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته * فانه عربي من قوارير

وأما يعقوب الذي أشار بقتل بشار فهو ابن داود بن طهمان السلمي كان في الاصل هو واخوته كتابا لابراهيم بن عبد الله بن حسن المتغلب في أيام المنصور فلما قتل استخفوا فمنّ عليهم المهدى وأطلقهم وكانوا أدباء ألباء فصحاء وكان المهدى يتطلب الحسن ابن ابراهيم بن عبد الله فضمن له يعقوب احضاره وتوسط الى ان أحضر له الحسن من مكة بأمان المهدى ودخل في الطاعة وتمكن يعقوب وولى وزارة المهدى وغلب على أمره وسره ودانت له الدنيا الى ان طلبه المهدى يوما قال فدخلت عليه وهو في مجلس مفروش في غاية الحسن وبستان عظيم وعنده جارية ما رأيت أحسن منها فقال كيف ترى فقلت متع الله أمير المؤمنين لم أر كاليوم فقال هو لك بما فيه والجارية ليتم سرورك فدعوت له ثم قال لي اليك حاجة فقلت الامر لك فقال ضع يدك

على رأسي وأحلف ففعلت فقال هذا فلان من ولد فاطمة أحب أن تريحني منه فاستوحش الحسن من صنيع يعقوب وعلم انه كانت لهم دولة لم يعش فيها وان المهدي لا ينفاره الى ذلك لكثرة السعاة به اليه والحسدة له فمال يعقوب الى اسحق بن الفضل الهاشمي وكان معظما في دولة المهدي وهو الذي أخرجه من سجن المنصور فترامى اليه يعقوب وأقبل يربض له الامور فسعوا فيه الى المهدي وقالوا ان البلاد في يده وأصحابه وانما يكفيه أن يكتب اليهم فيثوروا في يوم واحد على ميعاد فيأخذوا الدنيا لاسحق بن الفضل فلؤا مسامع المهدي فأمهله قليلا ثم تجنى عليه جنايات ووضعه في السجن الى ان عمي وأخرج في أيام الرشيد فلما حضر بين يديه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي قال لست به قال الهادي قال لست به قال الرشيد قال نعم فسلم ثم لحق بمكة المشرفة ومات في دولته

قوله وعلم الخ من هنا الى قوله فمال ينبغي تأمله اذ لا يستقيم له معنى (حمزه)

(وانك لو شئت خرقت العادات وخالفت المعهودات)

(الخرق) قطع الشيء وتغييره على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق فان الخلق فعل الشيء بتقدير والخرق بغير تقدير ومن ذلك قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات أي حكموا بذلك على سبيل الخرق وقولهم رجل أخرق وامرأة خرقاء لا تفعل الامر باحكام ولا تدبير (والعادة) تكرر الفعل مأخوذ من أعاد الحديث اذا كرره فخرق العادات تغييرما تكرر أفعاله من المخلوقات واستقر على مرور الايام والليالي وكذلك الامر في قوله (وخالفت المعهودات)

(فأحلت البحار عذبة وأعدت السلام رطبة)

(البحر) كل مكان واسع جامع للماء الكثير ويقال في الاصل للماء الملح دون العذب وانما قيل البحران للملح والعذب للتغليب كما يقال العمران واختلف في عدد البحار فقيل انها سبعة أبحر ستة ظاهرة وواحد محيط بالدنيا مظلم ومنه تستمد وقيل خمسة وقيل أربعة والاول أصح لقوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر قال بعض العلماء ولان السموات سبع والارضين سبع والنجوم السيارة سبع والايام سبع وخلق الانسان من سبع يعني قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية ورزق

من سبع لقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الآية وذكر فى جغرافيا أن البحار مختلفة المقادير فمنها ما هو على هيئة الطيلسان ومنها ما هو على هيئة الشابورة ومنها ما هو على صورة التدوير وهو الغالب عليها وأشدها البحر الشرقى وهو لفارس والغربى وهو للروم يأخذان من البحر المحيط ويقال له فنطس والبحار تستمد منه وهى بالنسبة اليه كالخلجان ولا يتأتى فيه ركوب ولا يعيش حيوان ويقال ان أطراف السماء عليه كالخيمة ولا يعلم ماوراءه * فأما البحر الشرقى فيأخذ من أقصى المغرب وينتهى الى أقصى الهند والصين ومنه خلجان عظيمة تتصل بأرض الحبشة ومنه بحر فارس أوله من الابلة والبصرة وآخره بحر الهند عند جبل يقال له رأس الجمجمة ومنه مغاص اللؤلؤ من جزيرة كش وأما البحر الغربى فانه يأخذ من المحيط من المغرب فى الخليج الذى بين المغرب والاندلس ويسمى زقاق سبتة حتى ينتهى الى الثغور الشامية وقدره فى المسافة أربعة أشهر ومن القلزم الذى هو لسان بحر فارس ومن بحر الروم على سمت الفرما أربع مراحل وزعم بعض المفسرين فى قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان انه هذا الموضع وزعموا أن بحر الروم متصل بالشرقى وانه وجد فيه شئ من النارجيل الذى يكون فى البحر الشرقى وهذا بعيد لبعد ما بينهما من المفاوز والجبال * واختلف فى مبادى البحار على أقوال أحدها انها من الاستقصات الاربع خلقها الله تعالى يوم خلق السموات والارض والثانى انها بقية طوفان نوح عليه السلام والثالث انها من عرق الارض لما ينالها من حر الشمس والرابع انها من مياه الارض فالملح ينحدر الى الاماكن المنخفضة والكل ملح والغاية تصعد منها للجو فيلطفه ويحليه ثم يهبط الى الارض فمنه الانهار العذبة * ومراد ابن زيدون انك لو شئت فعلت ما لا يمكن وهو تفسير قوله خرقت العادات ومثله (وأعدت السلام رطبه) العود الرجوع الى الشئ بعد الانصراف والسلام الحجارة الصلبة وانما عنى باعادتها الى الرطبة لما زعم قوم ان الحجارة كانت فى الزمن الاول على عهد نوح لينة وعلى ذلك قول الراجز حيث يقول

انك لو عمرت عمر الحسل * أو عمر نوح زمن الفطحل

والصخر

ومازعم ان لفظه ... تأمل

والصخر مبتل كطين الوحل * كنت رهين هرم أو قتل

(ونقلت غدا فصار امسا * وزدت في العناصر فكانت خمسا)

أصل الغد غدو فحذفوا الواو بلا عوض وفي هذا المعنى قال الشاعر

وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

(وأمسا) اسم حرك آخره لالتقاء الساكنين واختلف فيه فأكثرهم يبنيه على الكسر ومنهم من يعربه اذا دخل عليه الالف واللام يقول مضى الامس وقال سيبويه جاء في ضرورة الشعر كقوله

لقد رأيت عجبا مذ أمسا * عجائزا مثل السعالى خمسا

ولا يصغر أمس كما لا يصغر غد والمعنى انك لو شئت قلبت الاشياء أما قدرة وأما تمهية تقتدى الناس بك فيها (والعناصر) أصول الخلق وهي أربعة لا غير النار والهواء والماء والتراب ثنتان تذهبان صعدا وهما النار وطبيعتها حارة يابسة والهواء وطبيعته حارة رطبة وثنتان تذهبان سفلا وهما الماء وطبيعته باردة رطبة والتراب وطبيعته باردة يابسة وقيل في قول فيثاغورس والذى وهب انا الينبوع الاربع أراد العناصر

(وانك المقول فيه كل الصيد في جوف الفرا)

هذا مثل قديم يضرب في وصف الشئ المربى على غيره وأصله أن قوما خرجوا للصيد فصاد أحدهم ظبيا وآخر أرنبا وآخر فرا وهو الحمار الوحشى فقال لاصحابه كل الصيد في جوف الفرا يعنى أن جميع صيدكم يسير في جنب ما صدته وزعم بعضهم أن الفرا اسم واد كثير الصيد وهو قول مردود وأما قول الشاعر * وواد كجوف العير قفر قطعته * فليس من هذا وانما أراد الوادي المعروف بجوف حمار وحمار اسم رجل قديم كان في واد خصيب فظلم عشيرته فأرسل الله تعالى عليه نارا فأحرقته وأحرقت الوادي فخلا وسكنته الجن فقيل أخلى من جوف حمار وحجب يوما أبو سفيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أذن له فقال يا رسول الله ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان كل الصيد في جوف الفرا

قوله الينبوع الخ صوابه الينابيع الا اذا كان الاربع ليس على معناه المتبادر تامل (جزه)

(وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد)

هذا البيت لأبي نواس من جملة أبيات يقولها في الفضل بن يحيى ويخاطب بها الرشيد وهي

قولا لهرون امام الهدى * عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على ما بك من قدرة * فلست مثل الفضل بالواجد
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

ترجمة أبي نواس

وأبو نواس هو الحسن بن هانئ بن الجراح الحكمي البصري وكنى نفسه بأبي نواس لانه ينتسب الى قحطان وكانت تعجبه كنى ملوكها مثل ذي رعين وذي نواس فاكتنى بأبي نواس وكان مولده بالاهواز سنة مائة وخمس وأربعين ثم نشأ بالبصرة وتأدب بها على أبي زيد وخلف الاحمر ونظر في كتاب سيبويه وقال الشعر البارع ومدح الخلفاء والامراء وكان يقال هو في المحدثين مثل امرئ القيس في المتقدمين وكان العتابي يقول لوأدرك الخبيث الجاهلية لم يفضل عليه احد وسئل المرزباني أيهما أشعر أبونواس أم الرقاشي فقال ضراط أبي نواس في جهنم أشعر من تسبيح الرقاشي في الجنة ثم مدح الامين واختص به وصار من ندمائه بذلك وبذلك كان أخوه المأمون يشنع عليه ويقول كيف يصلح للخلافة وجليسه أبونواس القائل في مجلسه كذا وكذا من الاشعار المحتوية على الفسق والكفر وكان أبو نواس قد انفرد في زمانه باتقان الشعر وافراط المجون والتهتك قال أبو العتاهية عاتبته مرة على المجون فأنشد يقول

أتراني ياعتاهي * تاركا تلك الملاهي
أتراني مفسدا بالنسك عند القوم جاهي

فلما ألححت عليه قال

لا ترجع الانفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

فوددت أن هذا البيت لي بجميع ما قلته وعلمت أنه لا يصغي الى عذل ولم يزل على حاله الى ان توفي ببغداد سنة مائتين هو ومعروف الكرخي في يوم واحد فخرج مع جنازة معروف زهاء ثلثمائة ألف ولم يخرج مع جنازة أبي نواس غير رجل واحد فلما دفن معروف قال قائل أليس جمعنا وأبانواس الاسلام ودعا الناس فصلوا عليه فرئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال

غفر لي بصلاة الذين صلوا على معروف وعلي وأوصى أن يكتب على قبره هذا

وعظتك أجداث صمت * ونعتك أزمنة خفت

ياذا المنى ياذا المنى * عش مابدالك ثم مت

وأخبار أبي نواس وأشعاره مجموعة ومنها الزائدة والناقصة فمن مستطرف أخباره قيل تحاكم في سؤال رافضي وسني فيمن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيا أبا نواس فسألاه فقال أفضلهم بعده يزيد بن الفضل فقالا ومن يزيد بن الفضل فقال رجل يعطيني كل سنة ثلاثة آلاف درهم وسئل عن الخمر فقال خمر الدنيا أجود من خمر الآخرة وقد جعلها الله تعالى لذة للشاربين فقيل له كيف هي أجود قال لانها انموذج والانموذج خيار الشيء وكان يوما جالسا وفي يده كأس خمر وعن يمينه غلام وعن يساره زبيب فقيل له ما هذا فقال الاب والابن والروح القدس وقيل له أتشرب الخمر قال نعم اذا اشترى بثمن خنزير سرق حتى يكون حراما ثلاث مرات وحكى عن نفسه قال دخلت الى دمشق وخلوت بأمرد ودفعت له دينارا فلما رأى متاعي استعظمه فقلت أما أن ترد الدينار واما ان تحتمله وأما ان تشتم معاوية فاذعن فرضي بالوسط فلما دفعته فيه سمعته يقول هذا في رضاك قليل يا أبا يزيد وقال له أمرد متى تعطيني درهما قال اذا جرى الماء في العود وكان أبو عبيدة يجلس الى اسطوانة في جامع البصرة فكتب ابو نواس في أعلاها

صلى الاله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا

فلما حضر أبو عبيدة رأى البيت ولم يعرف من كتبه فأمر بعض تلامذته بحكه من السارية فلم يصل فقطان له أبو عبيدة وصعد على ظهره الى ان حكه فلما طال عليه الامر قال له أفرغت قال نعم حككت الكل الا حرفا قال وما هو قال كلمة لوط قال لقد بقي الكل * ومن شعره قيل ان سليمان بن المنصور دخل على الامين فرفع اليه انه هجاه وانه زنديق وأشار عليه بقتله فقال يا عم كيف أقتله وهو القائل

صدق الثناء على الامين محمد * ومن الثناء تكذب وتخرص

واذا بنو المنصور عدّ حصاهم * فمحمد ياقوتها المستخلص

فانقطع سليمان عن الركوب فأمر الامين بحبس أبي نواس فكتب اليه من

السجن يقول

تذكر امين الله والعهد يذكر * مقامي وانشاديك والناس حضر
ونثرى عليك الدر يا در هاشم * فيامن رأى درا على الدر ينثر
ومن ذا الذي يرمي بسهمك في العلا * وعبد مناف والدك وحمير
فان كنت لم أذنب ففيم عقوبتي * وان كان لي ذنب فعفوك أكبر

فلما قرأ الابيات قال أخرجوه ولو غضب ولد المنصور كلهم ومن شعره قوله من قصيدة

يا كثير النوح في الدمن * لاعليها بل على السكن
سنة العشاق واحدة * فاذا أحببت فاستكن
ضن بي من قد كلفت به * فهو يجفوني على الضنن

ومنها

تضحك الدنيا على ملك * قام بالآثار والسنن
سن للناس الندى فغدا * فكأن البخل لم يكن

وقوله أيضا يمدح الامين

أنت الذي تأخذ الايدي بحجزته * اذا الزمان على أبنائه كلحا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة * من جود كفك تأسو كل ما جرحا

وقوله أيضا

علقت بحبل من حبال محمد * امنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بظل جناحه * فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الايام ما اسمي مادرت * وأين مكاني ماعرفن مكاني

وقوله أيضا

ألم ترانني أفنيت عمري * بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد شيأ اليها * يقربني وأعيتني الامور
حججت وقلت قد حجت جنان * فيجمعني واياها المسير

وقوله أيضا

أيها العاتب في الخمر متى كنت سفيها
لو تركناها العتب * لاطعنا الله فيها

وقوله

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر في زي ذي ذكر * لها محبان لوطي و زناء

ومنها

دارت على فتية ذل الزمان لهم * فما يصيبهم الا بما شاؤا

ومنها يعني ابراهيم النظام

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة * حفظت شيأ وغابت عنك اشياء
لا تحظر العفو ان كنت أمرأ فطنا * فان حظركه بالدين ازراء

وقوله أيضا

قالوا ظفرت بمن تهوى فقلت لهم * الآن أطول ما كانت صباباتي
لا عذر للصب أن تهدى جوارحه * وقد تطعم فوه بالمدارات

وقوله أيضا

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جني ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم * واني على أمثال تلك لحابس
ولم أدر منهم غير ما شهدت به * بشرقي ساباط الديار البسابس
أقمنا بها يوما ويوما وثالثا * ويوما له يوم الترحل خامس
تدور علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها * مها تدريها بالقسي الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبنا * وللماء ما دارت عليه القلانس

كان الجاحظ يقول وجدنا الشعراء تجاذبوا المعاني الا قول عنترة في وصف الذباب

هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

وقول أبي نواس يصف الكأس يعني في هذه الابيات السينية فان احدا من الشعراء لم يجسر التعرض لها وقوله

كيف النزوع عن الصبا والكاس * قس ذا لنا يا عاذلي بقياس

قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدى * عن أن تجىء الى فى بالكاس

وقوله

يقولون فى الشيب الوقار لاهله * وشيبى بحمد الله غير وقار

اذا كنت لا انفك عن أريحية * الى رشا يسعى بكاس عقار

وقوله

ظلت حميا الكاس تبسطنا * حتى تهتك بيننا الستر

فى مجلس ضحك السرور به * عن ناجذيه وحلت الخمر

ولقد تجوب بى الفلاة اذا * صام النهار وقالت العفر

شدنية رعت الحمى فاتت * ملء الجبال كأنها قصر

ومنها

يسعى اليك بها بنو امل * عتبوا فأعتبهم بك الدهر

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

ذكر بعض العلماء فى قوله وحلت الخمر أربعة أوجه الاول أن طيب المكان وتكامل السرور صار مقتضيا لشرب الخمر وملجئا الى تناولها ورافعا للحرج فيها على مذهب يدعى فى المبالغة وفائدة وصفها بأنها حلت المبالغة فى الوصف بالمنا ... ن والمجال الثانى أن يكون آلى على نفسه أن لا يتناول الخمر الا بعد الاجتماع بمحبوبه فكان الاجتماع به مخرجا من يمينه على عادة العرب وعلى ذلك قول أمرئ القيس

حلت لى الخمر وكنت امرأ * عن شربها فى شغل شاغل

الثالث يريد بحلت نزلت من الحلول لا من الحلال كأنه وصف بلوغ آرابه وانها تكاملت بحضور الخمر الرابع اننا استحللنا الخمر بسكرنا وذهولنا والى ذلك أشار فى المعنى بقوله

ذرينى اكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأى فتى بعد الخصيب تزور

ومنها

فان تولنى منك الجميل فأهله * والا فانى عاذر وشكور

وقوله أيضا من أبيات رويت منها هذين البيتين

قوله والى ذلك لعل الاشارة الى مدح الخصيب المتقدم فى الابيات السابقة تأمل اه مصححه

لقد اتقيت الله حق تقاته * وجهدت نفسك فوق جهد المتقي
وأخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التي لم تخلق

احتج له بعض العلماء فى هذا البيت فقال الانسان اذا خاف شيأ خافه لحمه ودمه فكأن الاعداء خافته ونطفها فى ذلك الوقت دم فجرى الخوف فى الدم فجرى الدم فى الاخلاط فجرت الاخلاط واستحالت الى منى بعد الانعقاد والنضج التام فانعقد منه فى الرحم فتكون انسان فخافته من هذا القبيل وهذا أمر غامض والامر فيه محتمل وقال آخر خافته ذرية آدم منذ أخذ الله تعالى عليها الميثاق وهى فى ظهر ابينا آدم حين قال الله تعالى ألست بربكم قالوا بلى فلبث فى ظهر آدم صلوات الله وسلامه عليه القول الاول أمكن عند الحكماء وأما الثانى فهو قريب من باب الاحتمال وقوله

مر بنا والعيون ترمقه * تجرح منه مواضع القبل
أفرغ فى قالب الجمال فما * يصلح الا لذلك العمل

وقوله أيضا وقد هجاه بعضهم فسمع منه ما لا يرضيه فقال

ما أنت بالحر فيلحى ولا * بالعبد يرجى نفعه بالعصا
فرحمة الله على آدم * رحمة من عم ومن خصصا
لو كان يدرى انه خارج * مثلك من احليله لاختصى

وأما قوله فى أمر الزهد فأنشدونا فى هذين البيتين يقول

ألا رب وجه فى التراب عتيق * ويا رب حسن فى التراب رقيق
اذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقوله من أبيات يرثى بها الامين وكأنها مطولة والله أعلم

طوى الدهر ما بينى وبين محمد * وليس لما تطوى المنية ناشر
وكنت عليه أحذر الموت وحده * فلم يبق لى شئ عليه أحاذر

(والمعنى بقول أبى تمام ترجمة أبى تمام

فلو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من شرف الطباع)

هذا البيت لابى تمام من قصيدة مطولة ستأتى ان شاء الله تعالى فى آخر ترجمته وهو حبيب بن أوس بن الحرث الطائى الشاعر الفاضل الكامل صاحب كتاب الحماسة اقول بأنه ولد فى سنة تسعين ومائة ومات فى سنة ست

وعشرين ومائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بقرية يقال لها جاسم وهي من أعمال حوران من بلاد دمشق وكان أبوه نصرانيا وكان اذ ذاك أبو تمام بمصر القاهرة في حداثته يسقي الماء بالمسجد الجامع ثم جالس الادباء وأخذ عنهم من النظم والنثر والادب والفضل ما لا مزيد عليه وكان فطنا ذكيا محبا للشعراء واصحاب الفضل فلم يزل يعانيه حتى ملكه وسار ذكره في العصر وبلغ المعتصم اذ ذاك خبره فرحل اليه سر من رأى بعض أصدقائه ومحبيه فعرض عليه قصائده فقدمه على جميع شعراء وقته وزمنه حدث علي بن الجهم قال كان الشعراء يجتمعون في كل جمعة في القبة المعروفة بهم بجامع بغداد ينشدون الشعر ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها فبينما أنا في جمعة من تلك الجمع ودعبل وابن أبي الشيص وابن أبي فنن والناس مجتمعون يسمعون انشاد بعضهم بعضا أبصرت شابا في أخريات الناس جالسا في زي الاعراب فلما فرغ كل منهم وقطع انشاده التفت الشاب الينا وقال قد سمعت انشادكم منذ اليوم فاسمعوا انشادي فقلنا هات فأنشد * فحواك عين على نجواك يا مذل * ثم مر فيها منشدا حتى أتى الى قوله

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له * حتى ظننت قوافيه ستقتتل

فعقد أبو الشيص عنده هذا البيت خنصره ثم مر فيها الشاب الى ان أتى على آخرها ثم أنشد قصيدة أخرى فقلنا له أيها الشاب لمن هذا الشعر فقال لمن أنشدكموه قلنا له ناشدناك الله من تكون فضحك وقال أنا أبو تمام الطائي فرفعنا مجلسه حينئذ وعظمناه تعظيما كبيرا واشتد اعجابنا به لدماثة أخلاقه وفصاحة منطقه وجودة شعره ثم انني ما عرفت عقد خنصر أبي الشيص هل كان اعجابا به مما سمع في البيت من البديع المرقص أو أخذا عليه في اسكان الياء في قوله حتى ظننت قوافيه أعني من لفظة قوافيه وهي ضرورة جائزة عند الشعراء ثم ترقت حال أبي تمام وتمول بالمال الجزيل حتى عاد الى بلده فضرب خياما وأظهر نعمة وأتانا فخرجت امرأة من بعض أحياء العرب ومعها أختها يستقيان فتأملته زمانا ثم التفتت الى صاحبتها وقالت أتدرين الرجل قالت لا والله قالت بلى والله أنا أعرفه قالت ومن هو قالت انه والله

أقيرع جاسم فلما سمع ما قالت النسوة رحل من وقته وساعته وعاد الى الموصل فما زال بها الى أن مات رحمة الله تعالى عليه * وحكى البحتري قال دخلت على سعيد بن اسلم الطائي فأنشدته قصيدتي في مدحه التي أولها ألاق صب من هوى فافيقا والى جانبه شخص لا أعرفه فلما فرغت منها أقبل على ذلك الشخص وقال أما تستحي ان تنتحل شعري وتنشده بحضوري ثم مر في القصيدة فأنشدها من حفظه فتغير وجه سعيد والتفت الي وقال يا ابن أخي قد كان في الوسائل عندنا مندوحة عن سرقة الشعر فخرجت كاسف البال وسألت عن الرجل فقيل انه أبو تمام الطائي فلما بعدت لحقني الحاجب وأمرني بالعود واذا أبو تمام يضحك فاستدناني وقال يا سيدي الشعر لك وانما هذه عادتي في حفظ القصيدة من مرة واحدة ولقد نعيت الى نفسي فانه ما نبغ من قبيلة مجيد أو شريف الا مات من كان قبله مثله أوما سمعت قول الشاعر

اذا مقدم منا ذرا حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقدم

فقلت بل صحاني الله فداك ثم لزمته وكان محسنا الي الى أن مات * وحكى أبو حيان قال كان لابي تمام صديق يسكر من قدحين فكتب اليه يستدعيه الى الشرب ان رأيت أن تنام عندنا الليلة فافعل * ومن محاسن شعره قوله

الى قطب الدنيا الذي لو بفضله * مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله
تعود بسط الكف حتى لو انه * ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

وقوله أيضا

ومرحب بالزائرين وبشره * يغنيك عن أهل لديه ومرحب
يعطي عطاء المنعم المفضل الندى * عفوا ويعتذر اعتذار المذنب

وقوله أيضا

قوم اذا أوعدوا أو واعدوا غمروا * صدقا ذوائب ما قالوا بما فعلوا
يستعذبون منا ياهم كأنهم * لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقوله أيضا

لا تنكري عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالي

وتنظري خبب الركاب ينصها * محي القريض الى مميت المال

وقوله أيضا

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله أيضا

ليس الحجاب بمقص منك لى أملا * ان السماء ترجى حين تحتجب

وقوله أيضا

توفيت الآمال بعد محمد * وأصبح فى شغل عن السفر السفر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة * تقوم مقام النصر ان فاته النصر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة * غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
كأن بنى نبهان عند وفاته * نجوم سماء غاب من بينها البدر
لئن أبعد الدهر الخؤون بفقده * لعهدى به ممن يحب له الدهر

وقوله أيضا

اذا فقد المفقود من آل مالك * تقطع قلبي رحمة للمكارم
ألم تر الايام كيف فجعننا * به ثم قد شاركننا فى المآتم
روا كد تقصى الكف من متناول * وفيها علال ترتقى بالسلالم
بنى مالك قد نبهت خامل الثرى * قبور لكم مستشرفات المعالم

وقوله أيضا

ورأت شعوبا رابها فى جسمه * ماذا يريبك من جواد مضمر
عفت به الايام حتى انها * لتكاد تفجؤه بعالم يقدر

وأكثر شعر أبي تمام مختار وهو فى الشهرة كابي الطيب فيكفى من شعره هذا القدر وما أذكر فى هذا الشرح من بعض هذه التراجم التى هى من باب لزوم مالا يلزم الالما يتضمن من فائدة تحسنه وترغب فيه واما القصيدة التى منها البيت المذكور أبو تمام بسببه فهى هذه

خذى عبرات عينك عن زماعى * وصونى ما أزلت من القناع
أآلفة النحيب كم افتراق * أجد فكان داعية اجتماع
وليست فرحة الاوبات الا * لموقوف على ترح الوداع

ترجع ان رأت جسمى ضئيلا * كأن المجد يدرك بالصراع
فتى النكبات ان يأوى اذا ما * أطاف به الى خلق وساع
أبت مع السماع الماء حتى * لخالته السماع من السماع
فلب الحزم ان حاولت يوما * بأن تستطيع غير المستطاع

قال المرزوقى فى شرح هذا البيت يقول ان أردت أن تقدم على مالا يقدر عليه فأجب حزمك وعزمك واصطبر عليه ولا تخالفه فان ذلك يؤديك الى النجح وهذا على رأى من روى فلب الحزم من التلبية ونسب بعضهم هذا البيت الى المحال فقال الحزم فى ترك طلاب مالا يطاق فكيف يعزم على ادراكه حتى يجيبه بالتلبية وقال المرزوقى وهذا من قائله بعيد اذ معنى البيت أجب الحزم وعليك به فيما تطلب من المهمات فان الحزم يعين على كل شئ حتى على مالا يتأتى ولا يتسهل وهذا كما يقال كل مالا يقدر عليه خلق فاستعن فيه بكذا وكذا يريد انه مبارك السعى ويراد بذلك المبالغة فى تأتيه وقال آخر أراد ان حاولت يوما مالا يدخل تحت قدرتك فاجب الحزم فانه يدعوك الى ترك طلبه وروى أيضا فلبت الحزم ومن القصيدة أيضا فى المدح

أطال يدى على الايام حتى * وقيت صروفها صاعا بصاع
جعلت الجود لألاء المساعى * وهل شمس تكون بلا شعاع
ورأيك مثل رأى السيف صحت * مشورة حده عند المصاع
ولو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع

(والمراد بقول أبى الطيب

ذكر الانام لنا فكان قصيدة * كنت البديع الفرد من أبياتها)

هذا البيت لابى الطيب المتنبى وقد تقدم ذكره وانما أذكر ههنا محاسن القصيدة التى منها هذا البيت وهى قصيدة يمدح بها محمد بن أحمد بن عمران التى يقول فى أولها سرب محاسنه حرمت ذواتها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها * ثبت الجنان كأننى لم آتها
ومقانب غادرتها بمقانب * أقوات وحش كن من أقواتها

يعنى كم جيش لقيته بجيش حتى اقتتلوا وصاروا اقواتا للوحش بعد ما كان الوحش قوتا لهم فى الصيد وفى هذا المعنى خلل لان الوحش الذى يقتات

القتلى لا تقتاته الفرسان في الصيد

أقبلتها غرر الجياد كأنما * أيدي بني عمران في جبهاتها

يعني وجهت الخيل قبل وجوه هذه المقانب وهي غرفكأن بياض أيدي بني عمران الممدوحين في جبهاتها وان كان أراد بياض أيديهم اللون فليس فيه كبير معنى وان كان أراد بالايدي النعم فهو مدح وان كان من باب تشبيه العرض بالجوهر

ألعارفين بها كما عرفتهم * والراكبين جدودهم أماتها

كان ينبغي أن يقول والراكب جدودهم أماتها وانما حملته الضرورة على وجه ضعيف في قولهم أكلوني البراغيث قال الواحدي والذي ذكره الناس في معنى هذا البيت أن هذه الخيل تعرفهم و يعرفونها لانها من نتائجهم تناسلت عندهم فجدود الممدوحين كانت تركب أمهات هذه الخيل وسياق الابيات قبله يدل على انه يصف خيل نفسه لا خيل الممدوحين وهو قوله أقبلتها غرر الجياد واذا كان كذلك لم يستقم المعنى الا أن يدعي مدع انه قاتل على خيل الممدوحين وانهم يعطون الخيل للشعراء والذي يزيل الاشكال أن يقال الجياد اسم جنس ففي قوله غرر الجياد اراد خيل نفسه وفيما بعده أراد خيل الممدوحين والجياد يعم الخيلين جميعا ثم قال

فكأنها نتجت قياما تحتهم * وكأنهم ولدوا على صهواتها

ان الكرام بلا كرام منهم * مثل القلوب بلا سويداواتها

تحباله حفظ العنان بأنمل * ما حفظها الاشياء من عاداتها

لو مر يركض في سطور كتابة * أحصى بحافر مهره ميماتها

يعني انه لفروسيته وحسن تصرفه في الخيل في الكر والفر لو ركض بفرسه في طرس مكتوب وأراد أن يحصي بحافر مهره الميمات لفعل وخص الميمات لانها أشبه بالحوافر وأدق من العينات التي هي أيضا تشبه الحوافر وأكثر وجودا في الحروف وخص المهر لانه أشغب من غيره

لا خلق أسمح منك الا عارف * بك راء نفسك لم يقل لك هاتها

راء مقلوب رأى ومثله ناء ونأى

أعيا زوالك عن محل نلته * لا تخرج الاقمار عن هالاتها

ذكر الانام لنا فكان قصيدة * كنت البديع الفرد من أبياتها

(فكدمت فى غير مكدم واستسمنت ذا ورم ونفخت فى غير ضرم)

(الكدم) العض (والمكدم) موضع العض يضرب مثلا لمن يطلب شيأ لا يتمكن منه وفى بعض النسخ كرمت بالراء وهو خطأ (والورم) الانتفاخ يقال ورم يرم (والسمن) ضد الهزال مأخوذ من قول المتنبى

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وكذلك قوله نفخت فى غير ضرم هو مأخوذ من قول عمرو بن معدى كرب حيث قال

ولو نار نفخت بها أضاءت * ولكن أنت تنفخ فى رماد

وسيأتى ذكر عمرو فيما بعد والمعنى ان هذه المرأة احتالت ولم تتم على شئ من حيلها

(ولم تجد لرمح مهزا ولا لشفرة محزا)

(الهز) التحريك الشديد كانه قال لم تجد لرمح كلامها يعنى المرأة المرسلة ما يهز ويستمال وكذلك الشفرة احتيالها ما يحز وما يقطع

(بل رضيت من الغنيمة بالاياب)

هذا مثل يضرب لمن قنع بسلامة نفسه فى مطلبه وهو من بيت لامرئ القيس ابن حجر بن الحرث من بنى آكل المرار وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل وكليب ابنى وائل وكان أبوه حجر ملكا من ملوك العرب بتهامة والحيرة وله أتاوة على بنى أسد وغطفان وكان قد طرد ابنه لقول الشعر أنفة منه ثم قتل ونهض امرؤ القيس يطلب ثاره فى خبر طويل وقال ضيعنى صغيرا وحملنى عناءه كبيرا ثم قتل جماعة من بنى أسد وتفرق عنه قومه فلحق بقيصر فاستنجده ومات مسموما فى طريقه فى قصة معروفة وسمى الملك الضليل لانه أضل ملك أبيه وذا القروح لان قيصر أرسل اليه حلة مسمومة تقرح منها بدنه ومات فاما شعره فهو الذى لا ينازع فى تقدمه وهو امام المتقدمين حقيقة ومن محاسن شعره قصيدته المعلقة وقوله

ترجمة امرىء القيس

سما لك شوق بعدما كان اقصرا * وحلت سليمى بطن قو فعرعرا

أشيم مصاب الحزن أين مصابه * ولا شئ يشفى منك يا ابنة عفزرا

من القاصرات الطرف لودب محول * من الذر فوق الاتب منها لأثرا
يعني لودب الصغير من الذر على ثوبها الأثر في جسدها ولم يرد بالمحول ما بلغ الحول وانما أراد ماه ولصغره بمنزلة الحولي في الابل

فدعها وسل الهم عنك بجسرة * ذمول اذا صام النهار وهجرا
كأن الحصى من خلفها وأمامها * اذا نجلته رجلها حذف أعسرا

خص الاعسر لاختلاف رمياته

على لاحب لا يهتدى بمناره * اذا سافه العود النباطي جرجرا

يصف قفرا لا أعلام فيه وقوله لا يهتدى بمناره يعني ليس فيه منار يهتدى به لأن فيه منارا الا انه لا يهدى والعود الجمل البالغ تمام سنه وسافه اذا شمه وجرجر اذا حن وعادة الابل أن تشم الارض التي لا تعرفها فيحن لعلمها ببعد المسافة ومنها قوله

ألا رب يوم صالح قد شهدته * بتادف ذات التل من فوق طرطرا
ولا مثل يوم في قداران ظلته * كأني وأصحابي على قرن أعفرا

اختلف المفسرون في هذا البيت فقال بعضهم وصف اليوم بالشدة ونفسه بالقلق والاضطراب فيه حتى كأنه وأصحابه من عدم الاستقرار مقيمون على قرن ظبي وقال بعضهم بل وصف أماكن كان فيها مسرورا ومنعما لانه قال قبل البيت ألا رب يوم صالح والمعنى انه كان على مكان مشرف عال فشبهه لارتفاعه بقرن الظبي وانما خص قرن الظبي لانه أعلى ما في جسده وقصيدته اللامية التي أولها

الا عم صباحا أيها الطلل البالي

وأما القصيدة التي منها نصف البيت المذكور من أجله فانه يقول فيها هذه الابيات

فبعض اللوم عاذلتي فاني * سيكفيني التجارب وانتسابي
الى عرق الثرى وشجت عروقي * وهذا الموت يسلبني شبابي

يعني أن مصيره الى التراب وقيل عرق الثرى آدم وسيموت كما مات آباؤه وأجداده الى آدم ثم قال

أرانا موضعين لحتم غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

أبعد الحرث الملك ابن عمرو * وبعد الخير حجر ذي القباب
وبعد ملوك كندة قد تولوا * بأكرم شيمة وأقل عاب
أرجي من طوال الدهر لينا * ولم يغفل عن الصم الصلاب
ألم أنض المطى بكل خرق * أمق الغول لماع السراب
وقد طوفت في الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب
فارجعها فقد نقبت وكلت * لفرط الاين تركع للضراب
وأعلم أنني عما قليـــــل * سانشب في شبا ظفر وناب

(وتمنيت الرجوع بخفي حنين)

اختلف في حنين هذا فقال قوم كان رجلا ادعى انه من بني أسد بن هاشم بن عبد مناف فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران فقال يا أبا عمر وأنا ابن أسد ابن هاشم فقال عبد المطلب لا وثياب هاشم ما أعرف فيك شمائله فارجع فرجع فصار مثلا يضرب للراجع بالخيبة وقال قوم كان حنين اسكافا من أهل الحيرة ساومه اعرابي بخفين ولم يشتر منه شيأ فغاظه ذلك فخرج وعلق أحد الخفين على شجرة في طريقه وتقدم قليلا وطرح الآخر وكمن بجاء الاعرابي فرأى أحد الخفين فوق الشجرة فقال ما أشبه هذا بخف حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه ثم تقدم قليلا فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع ليأخذ الاول فخرج حنين من المكمن وأخذ بعيره وذهب ورجع الاعرابي الى حيه بخفي حنين وقيل كان حنين يهود بالخس بامرأة مسلمة جارا فقمص فصرعها فتكشفت فكتب بخبره الى عمر فكتب ليس على هذا صالحناهم وقد خلع ربقة الذمة من رقبته فاصلبوه حيا فلما نصب على خشبته أتت امرأته وعليه خفان فقالت الآن تموت فما تصنع بالخفين فأخذتهما من رجليه فقال الناس انقلبت بخفي حنين

(لانى قلت * اقدهان من بالت عليه الثعالب)

هذا نصف بيت لرجل من العرب يسمى غاوى بن ظالم السلمى وكان سبب قوله انه كان لبنى سليم صنم يعبدونه في الجاهلية وكان غاوى سادنه فبينما هو ذات يوم جالس اذا قبل ثعلبان يشتدان فشغر كل واحد منهما رجله وبال على الصنم فقال يا بنى سليم والله ما يضر ولا ينفع ولا يعطى ولا يمنع ثم أنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد هان من بالت عليه الثعالب
ثم كسر الصنم وفر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فقال له كيف اسمك فقال غاوى بن ظالم فقال بل انت راشد ابن عبد ربه وروى في هذا البيت الثعلبان بكسر النون على التثنية وروى أيضا بضم النون والثاء على انه ثعلب واحد وضرب به المثل فيمن يدعى العز ويراد به الذل

(وأنشدت * على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب)
هذا البيت لابي تمام المقدم ذكره في أبيات يرثي بها غالب بن الشعرى وهي هذه

هو الدهر لا يشوى وهن المصائب * وأكثر آمال الرجال كواذب
فيا غالبا لا غالبا لرزية * بل الموت لا شك الذى هو غالب
وقلت أخى قالوا أخ ذو قرابة * فقلت لهم ان الشكول أقارب
عجبت لصبرى بعده وهو ميت * وكنت امرأ ابكى دما وهو غائب
على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

(ونخرت وبسرت وعبست فكفرت)
(النخير) صوت من الانف أكثر ما يكون عند الغضب ويسمى خرق الانف الذى يخرج منه النخير منخرا وفي المثل ما في الدار نخير ومنه نخرت الشجرة أى بليت فهب صوت الريح (والبسر) الاستعجال بالشئ قبل أوانه ويقال للعين قبل النضج بسر ومنه قيل لما لم يدرك من التمر بسر وفي قوله تعالى عبس وبسر أى أظهر العبوس قبل أوانه (والتعبيس) قطوب الوجه من ضيق الصدر ومنه قيل يوم عبوس (والكفر) في اللغة ستر الشئ ووصف الليل بالكافر لستره الاشخاص واستعمل في جاحد النعمة لستره اياها ولما كان يقتضى جحود النعمة صار يستعمل في الجحود مطلقا فيقال الكافر لمن يجحد الوحدانية وما اشبهه ولما جعل كل فعل محمود من الايمان جعل كل فعل مذموم من الكفر وقد يشتد غضب الانسان فيفعل ما يذم عليه فيسمى كفرا وقد يعبر أيضا بالكفر عن التبرؤ من الشئ كقوله تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض فيكون المعنى في قول ابن زيدون انى غضبت الى أن فعلت ما فعلت وانى تبرأت منك

(وأبدأت

(وأبدأت وأعدت وأبرقت وأرعدت)

يعني كررت ما يسيئك ذكره وأصل البرق لمعان السحاب والرعد صوته ويكنى بهما عن التهديد يقال أرعد فلان وأبرق اذا هدد وكان الاصمعي ينكر قولهم في ضرب المثل يعني أبرق وأرعد قال مهلهل

أبرقوا ساعة الهياج وأرعد * نا كما ترعد الفحول الفحولا

(وهممت ولم أفعل وكدت وليتني)

يعني هممت بقتل هذه المرأة وهذا من باب الحذف والايجاز لدلالة بعض الكلام على بقيته المحذوفة كقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا تقديره لكان هذا القرآن وهو كثير في كلام العرب وقد استعملوه حتى في الحروف وقالوا درس المنا يلمعون به بمعنى المنازل وقالوا ورق الحما بمعنى الحمام وهذا اللفظ شعر لضابئ بن الحرث بن ارطاة البرجمي كان رجلا بذيا كثير الشرور وكان صاحب صيد أوطأ دابته صبيا فقتله فرفع الى عثمان رضي الله تعالى عنه أيام خلافته فاعتذر بضعف بصره فحبسه ثم خلص وكان قد استعار كلبا للصيد من بني نهشل فلم يرده فطلبوه منه وألحوا عليه فقال يهجوهم ويتهمهم بالكلب

فأمكم لا تتركوها وكلبكم * فان عقوق الامهات كبير

اذا اكتنفت من آخر الليل شخصه * يظل له فوق الفراش هرير

فاستعدوا عليه عثمان فقال ويلك ما سمعت أحدا يرمي امرأة بكلب غيرك والله اني أراك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنزل الله فيك قرآنا ثم حبسه وعرض يوما أهل السجن فوجده قد أعد حديدة ليقتل بها عثمان فأخذت منه وضرب وترك مهملا في السجن فقال

لا يعطين بعدي امرؤ ضيم خطه * فرارا بقيه الموت والموت نائله

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

وقائلة لا يبعد الله ضابئا * اذا القرن لم يوجد له من ينازله

ثم لم يزل في السجن حتى مات فلما قتل عثمان وثب عمير على ضلع من أضلاعه فكسرها فقتله الحجاج بالكوفة

قوله لا يعطين الخ فيه الخرم كما لا يخفى اه

قوله عمير انظر من هو اذ لم يسبق له ذكر تأمل

(ولولا ان للجوار ذمة وللضيافة حرمة لكان الجواب في قذال الدمستق)

يعنى لولا انه صار لهذه المرأة حرمة بدخول المنزل والمؤاكلة لفعلت بها فعل سيف الدولة بالدمستق وهذا حل بيت المتنبى فى المعنى وذلك أن ملك الروم أرسل جيشا الى بلاد سيف الدولة وقدّم عليه بطريقا يقال له الدمستق وقيل الدمستق لقب عندهم لكل مقدّم على جيش فهزمه سيف الدولة وخرج موليا وعاد الى ملك الروم مهزوما مرعوبا ثم ان ملك الروم ارسل رسلا وكتابا الى سيف الدولة يطلب الصلح والهدنة فنظم المتنبى فى هذه الواقعة قصيدة يشير فيها الى هزيمة الدمستق فيقول

وكنت اذا كاتبته قبل هذه * كتبت اليه فى قذال الدمستق

وهذه قصيدة تطوى على أبيات حسنة ويتعلق بها خبر ظريف قيل دخل السرى الرفا الشاعر على سيف الدولة يوما فقال يا مولانا كم تفضل علينا هذا الكندى يعنى المتنبى ولو امرتنى ان أنظم على وزن أى قصيدة شئت من قصائده لنظمت ماهو أجود منها فقال سيف الدولة انظم على وزن قصيدته التى أولها بعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى فخرج السرى من عنده على ذلك وفكر فى القصيدة فلم يجدها من طنانات المتنبى فعلم أن سيف الدولة أراد أمرا له بتخصيصه هذه القصيدة فى الاقتراح فنظر فى أبياتها فاذا هو يقول فيها مادحا لسيف الدولة ومفتخرا بنفسه

اذا شاء ان يلهو بلحية أحمق * أراه غبارى ثم قال له الحق

فعلم أن سيف الدولة أراده بهذا المعنى فكف عن النظم وفى هذه القصيدة يقول المتنبى

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق
سقى الله أيام الصبا مايسرها * ويفعل فعل البابلى المعتق
اذا ما لبست الدهر مستمتعا به * تخرقت والملبوس لم يتخرق

هذا المعنى جيد ولكن استعمال التخريق للاجساد بشع ومن جملة هذه القصيدة أيضا

نودّعهم والبين فينا كأنه * قنا ابن أبى الهيجاء فى قلب فيلق
هوادلاملاك الجيوش كأنها * تخير أرواح الكماة وتنتقى
يغير بها بين اللقان وواسط * ويركزها بين الفرات وجلق

ويرجعها

وبرجعها حمرا كان صحيحها * يبكى دما من رحمة المتدفق
فلا تبلغاه ما أقول فانه * شجاع متى يذكر له الحرب يشتق

قوله فلا تبلغاه هذه من السماجات المعدودة لانه ينشده القصيدة وهو سماعا عفا الله تعالى عنه

كسائله من يسأل الغيث قطرة * وعاذله من قال للفلك أرفق
لقد جدت حتى جدت فى كل ملة * وحتى أتاك الحمد فى كل منطق
رأى ملك الروم ارتياحك للندى * فقام مقام المجتدى المتملق
وكنت اذا كاتبته قبل هذه * كتبت اليه فى قذال الدمستق
وما كمد الحساد شيأ قصدته * ولكنه من يزحم البحر يغرق

(والنعل حاضرة ان عادت العقرب والعقوبة ممكنة ان أصر المذنب)
السجعة الاولى حل بيت للفضل اللهبى من جملة أبيات وهو مثل يهدد به من عوقب وهذا الفضل هو ابن العباس بن عتبة بن أبى لهب كان من شعراء الهاشميين وفصحائهم توفى فى خلافة الوليد بن عبد الملك وكان طويلا آدم اللون حكى ان الفرزدق مر به يوما وهو ينشد مفتخرا

ترجمة الفضل اللهبى

وأنا الاخضر من يعرفنى * أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلنى يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

يعنى بالخضرة آدم اللون والعرب تفتخر بأنها سمر وسود وقيل عنى بالاخضر البحر وانه فى نفسه وكرمه كالبحر وعنى بالمساجلة المفاخرة وأصل المساجلة أن يملأ الشخصان بدلوين من بئر فأيهما ملأ أكثر كان الغالب واستعمل فى المفاخرة وأصل المساجلة كما ذكرفلما سمع الفرزدق قوله تشعر وقال أنا أساجلك فقال

برسول الله وابن عمه * وبعباس بن عبد المطلب

فرجع الفرزدق وقال ما يساجلك الا من عض بظر أمه * وحكى أبو عبيدة أن عمر بن أبى ربيعة قال بينما أنا جالس فى المسجد الحرام فى جماعة من قريش اذ دخل علينا الفضل بن العباس اللهبى فوافقنى وأنا أنشد

وأصبح بطن مكة مقشعرا * كأن الارض ليس بها هشام

فقال يا أخا بنى مخزوم ان بلدة تبحبح بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله

صلى الله عليه وسلم واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة أن لا تقشعر لمشام وان أشعر من هذا البيت قول الآخر

اغماء بد مناف جوهر * زين الجوهر عبد المطلب

وأقبل على وقال يا أخا بنى مخزوم ان أشعر من صاحبك الذى يقول هذين البيتين

هاشم بحر اذا سما وطما * أخمد حر الحريق واصطلما

فاعلم وخير المقال اصدقه * بأن من رام هاشما هشما

فاسودت الدنيا فى عينى ولم أحر جوابا وقد أطال أبو عبيدة الحكاية الى أن ظهر عليها التوليد * ومن جيد شعر الفضل بن العباس قوله

يا مى ان تفقدى قوما ولدتهم * أو تخلسيهم فان الدهر خلاس

عمرو وعبد مناف والذى عهدت * ببطن مكة آبى الضيم عباس

ليث هزبر مدل عند خيسته * بالرقمتين له أجر واعراس

يستشهد النحاة بقوله أجر على جمع جرو والاصل أجرو فحذفت الواو لوقوعها طرفا وضموا ما قبلها * وحكى عنه الجاحظ حكاية ظريفة قال شرب ليلة مع بعض ولد جعفر على سطح فلما سكر الجعفرى رمى بنفسه الى أسفل وقال أنا ابن الطيار فى الجنة فتكسر وتهشم فتشبث الفضل بالحائط وقال أنا ابن المقصوص فى النار * وأما البيت الذى ذكر بسببه فحكى انه كان بالمدينة تاجر من تجارها يسمى العقرب وكان أمطل الناس فعامله الفضل وكان اشد الناس تقاضيا فلما حل المال قعد الفضل على باب العقرب يقرأ وعقرب على سجيته فى المطل فلما أعياه ذلك قال يهجوه

قد تجرت عقرب فى سوقنا * لا مرحبا بالعقرب التاجره

كل عدو كيده فى استه * فغير مخشى ولا ضائره

ان عادت العقرب عدنا لها * وكانت النعل لها حاضره

فصار هذا اللفظ مثلا وقول ابن زيدون أن أمر الذنب الاصرار والعقد فى الذنب وأصله من صر الشئ

(وهبها لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك ملؤها حبيبها حسن فيها من تود) يعنى هب أن هذه الواصفة لم تنظرك بعين المحبة الساترة للعيوب فيما وصفتك

به من الفضائل أليس منظرك كما ترى من القبح والسماجة كما سيأتي ذكره وفي هذا اللفظ حل ثلاثة أبيات لثلاثة من الشعراء ولكل منهم أخبار وأشعار تشتمل على محاسن * فالأول قول الهاشمي

ترجمة الهاشمي

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا

وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كان من فتيان بني هاشم وأجوادهم وفصحائهم على انه كان يتهم بالزندقة في دينه لصحبة قوم عرفوا بذلك وأشهرهم رجل يقال له البقلي وانما سمي بذلك لانه كان يقول الانسان كالبقلة اذا مات لم يرجع وكان عبد الله ممن ترقى للخلافة واشتهر ذكره في آخر أيام بني أمية حكى المدائني ان عبد الله بن معاوية قدم زائر العبد الله بن عمر بن عبد العزيز مستمنحا له فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن شيث بن ربعي فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية وقيل انما خرج في أيام يزيد بن الوليد ودعا الناس الى بيعة الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انما دعا الى نفسه ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فاجتمع عليه ناس من الكوفة فبايعوه ولم يجتمع عليه جميع أهل المصر وقالوا والله ما بقي فينا بقية فقد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت وأشاروا عليه بالخروج الى فارس ونواحي الشرق ففعل ذلك وجمع جموعا من النواحي فخرج فغلب على مياه البصرة والكوفة وهمدان والري وقم وأصفهان وأقام بأصفهان وكان الذي أخذ له البيعة محارب بن موسى اليشكري فدخل دار الامارة بنعل ورداء وجعل الناس يجتمعون عليه فأخذهم بالبيعة فقالوا على ماذا فقال على ما أحببتم وكرهتم وكتب الى الامصار يدعوا الى نفسه واستعمل اخوته على كرمان وشيراز وغيرهما وقصدته بنو هاشم السفاح والمنصور وعيسى بن علي ووجوه قريش من أمية وغيرهم فمن أراد عملا ولاه ومن أراد صلة وصله واحسن اليه وكان سمح الكف كريم الاخلاق حكى ابن هرم قال قصدته فوجدت الناس بعضهم على بعض ببابه فرآني بعض خدمه فعرفني أن عامتهم غرماء له أرباب ديون فقلت هذا شرلي ثم دخلت عليه فقلت لم أعلم والله بهذا الغرماء فقال لا عليك أنشدني فاستحييت فأبى الا أن أنشده فأنشدته أبياتا حسنة منها

ترى الخير يجرى فى أسرة وجهه * كما لا "لا" ت فى السيف بهجة رونق
فأمر لى بما كان عنده من المال لبعض الغرماء والله لا يملك غيره ثم لم يزل عبد الله مقيما بنواحى فارس التى غلب عليها حتى ولى مروان بن محمد الجعدى فوجه اليه عامر بن ضباعة فى جيش كثيف فسار اليه حتى اذا قرب من أصبهان ندب عبد الله أصحابه للخروج فتثاقلوا عليه ولم يفعلوا فخرج على دهش هو واخوته قاصدين خراسان وقد ظهر أبو مسلم بها وطمع فى نصرته فأخذه أبو مسلم فحبسه عنده وجعل عليه عينا فرفع عنه انه يقول ليس فى الارض أحق منكم يا أهل خراسان فى طاعتكم لهذا الرجل قبل ان تراجعوه فى شئ وتسألوه عنه والله ما رضيت الملائكة بهذا عن الله عز و جل حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء حتى قال تعالى انى أعلم ما لا تعلمون فشدد عليه أبو مسلم ثم كتب اليه عبد الله رسالته التى يقول فيها الى أبى مسلم من الاسير فى يديه * بغير خلاف عليه * أما بعد فانك مستودع ودائع * ومولى صنائع * وان الودائع مرعية * والصنائع عارية * فاطلب الخلاص * واذكر القصاص * فانك لاق ما أسلفت * وغير لاق ما خلفت * وفقك الله لما ينجيك * وألهمك شكر ما خولك * فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال أفسد علينا أصحابنا وهو محبوس فى أيدينا فلو خرج وملك أمرنا لاهلكنا ثم أمضى تدبيره فى قتله فدس اليه سما فمات ووجه برأسه الى ابن مبارة فحمله الى مروان * ومن شعره ويتعلق به حكاية حكاها ابراهيم الموصلى قال بينما أنا عند الرشيد وعنده ابن جامع وعمرو الغزال وغيرنا من الندماء والمغنين اذ قال صاحب الستارة لابن جامع تغن من شعر عبد الله ابن معاوية ولم يكن ابن جامع يغنى فى شئ من شعره ولا يعرفه وكنت قد تقدمت فيه فارتج على ابن جامع فلما رأيت ما حل به اندفعت فغنيت لعبد الله

يهيم بجمل وما ان يرى * له من سبيل الى جمله
كأن لم يكن عاشق قبله * وقد عشق الناس من قبله
فمنهم من الحب أودى به * ومنهم من اشفى على قتله

فاذا بدر رفعت الستارة ونظر الى وقال أحسنت والله أعده فأعدته فجاء فراش ببدرة فوضعها تحت فخذى ثم قال اجعلها الث ثم انقضى المجلس فلما

كان المجلس الثاني قال صاحب الستارة يا ابن جامع تغن من شعر ابن جعفر يعني عبد الله بن معاوية فوقع في مثل الذي وقع فيه بالامس فتغنيت من شعر عبد الله

سلا ربة الخدر ما شأنها * ومن أيما شأننا يعجب
فلست بأول من فاته * على أربه بعض ما يطلب
وأصبح صدع الذي بيننا * كصدع الزجاجة لا يشعب

فاومى صاحب الستارة أن أمسك وأشار بيده الى أنه يبكي فامسكت ثم قال تغن لابن جعفر وكان ابن جامع شديد الحسد فقال لو كان في ابن جعفر خير لطار مع أبيه ولم يقبل على قول الشعر فسمعنا ضحك الرشيد ثم أرسل الى ببدرة والى ابن جامع مثلها * وأما الشعر الذي ذكر بسببه فانه كان صديقا للحسين ابن عبد الله بن العباس ثم وقع بينهما أمر فتهاجرا فقال عبد الله

ان حسينا كان شيأ ملففا * فمحصه التكشيف حتى بدا ليا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة * فان عرضت أيقنت أن لا أخاليا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا

في أول بيت الخرم كما لا يخفى اه

وأما البيت الثاني فهو قول المجنون

ترجمة مجنون ليلى

أهابك اجلالا وما بك قدرة * علي ولكن ملء عين حبيبها

وهو قيس بن الملوح بن مزاحم من بني عامر بن صعصعة شاعر غزل سكن البادية عمره وتوفي في آخر دولة بني أمية وهو المعروف بمجنون ليلى ويقال انه لم يكن مجنونا وانما الرواة وضعت ذلك عليه وحكى ابن داب قال قلت لرجل من بني عامر أتروى من شعر المجنون شيأ فقال أوفرغنا من العقلاء حتى نروي للمجانين انهم لكثير فقلت انما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق فقال هيهات بنو عامر أغلظ أكبادا من ذلك انما يكون هذا في اليمانية الضعاف حلومها النغلة رؤسها فأما نزار فلا وقال الاصمعي الصحيح أن الاشعار والوجد لقيس ولكنه لم يكن مجنونا انما كانت فيه لوثة أحدثها العشق وكان قد عشق جارية من قومه تسمى ليلى بنت سعد وعلق كل منهما بصاحبه وهما حينئذ صبيان يرعيان مواشي أهلهما فلم يزالا كذلك حتى كبرا وحجبت عنه وفي ذلك يقول

تعشقت ليلى وهي ذات ذؤابة * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى الآن لم نكبر ولم يكبر البهم

حكى ابن عمارة المرى قال حضرت الى أرض بنى عامر لالقى المجنون فدللت على مجلسه فلقيت أباه شيخا كبيرا وحوله اخوة المجنون فسألته فقال انه كان والله عندي آثر من هؤلاء جميعا وانه عشق امرأة من قومه ما كان يطمع مثلها في مثله فلما فشا أمرهما كره أبوها أن يزوجه اياها بعد ما ظهر من أمرهما فزوجها من غيره وأول ما ظهر من حبه لها انه طرقنا أضياف ذات ليلة ولم يكن عندنا أدم فبعثته الى أبي ليلى فوقف على خبائه وصاح به فقال ما تشاء فقال طرقنا أضياف ولا أدم لنا فأرسلني أبي اليك فقال ياليلى أخرجي ذلك النحى فاملئي له اناءه من السمن فأخرجته ومعه قعب فجعلت تصب السمن في الاناء وهما يتحدثان فألهاهما الحديث وهي تصب السمن وقد امتلأ القعب وقد سال واستنقعت أرجلهما من السمن ولا يشعران به فرآهما أبوها على تلك الحال فأمره بالانصراف وحجبها عنه فلما زوجها زاد هيامه وكانا في بعض الاوقات يتحدثان ففطن بها زوجها فتقدله وجن جنونه وهام مع الوحش يأكل معها من البقل ويرد الماء ولا يجده من يطلبه الا قليلا فعجبت من أمره ويئست من لقائه وانصرفت * وحكى بعض بنى عامر قال مررت بالمجنون وهو على تل رمل قد خط بأصابعه خطوطا فدنوت منه فنفر كما ينفر الوحش فجلست معرضا عنه فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط بأصابعه فقلت أحسن والله القائل

واني لافني دمع عيني بالبكا * حذار الذي قد كان أو هو كائن

فلما سمعني بكى حتى ابتل الرمل الذي بين يديه ثم قال أنا والله أشعر منه حيث أقول

وأدنيتني حتى اذا ما ملكتني * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عني حيث لا لي حيلة * وخلفت ما خلفت بين الجوانح

ثم سنحت له ظباء فقام يعدو معها وعدت أطلبه أياما الى أن وجدته في واد كثير الحجارة خشن وهو بين تلك الحجارة ميت فأتيت أهله فأعلمتهم فاحتملوه ودفنوه ولم يبق فتاة من بنات الحي من بني جعدة و بني الحريش الا خرجت

حاسرة

حاسرة ولم يربا كيأحد مثل ذلك اليوم * ومن محاسن ماروى من شعره

أبى القلب الاحبا عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمر
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها * وينبت من أطرافها الورق الخضر

(وقوله)

فوالله ما أدري علام صرمتنى * ولا أى أمري فيك بالليل أركب
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه * أم اشرب ريقا منكم ليس يشرب
ولو تلتقى أصداؤنا بعد موتنا * ومن فوق رمسينا صفيح منصب
لظل صدى رمسى وان كنت رمة * لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

(وقوله)

أقول لاصحابى هى الشمس ضوءها * قريب ولكن فى تناولها بعد
وقد يبتلى قوم ولا كبليتى * ولا مثل جدى فى الشقاء لكم جد
وما فى الا العظم والجلد عاريا * ولا عظم لى ان دام هذا ولا جلد

(وقوله)

أردد عنك النفس والنفس صبة * بذكراك والممشى اليك قريب
مخافة أن تسعى الوشاة بظنة * وأكرمكم أن يستريب مريب
ولو أن ما بى بالحصا فلق الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو اننى أستغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب على ذنوب

(وقوله)

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى أن يقولوا اننى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة * الى وان لم تصف منك الخلائق
كأن على أنيابها الخمر شجها * بماء سحاب آخر الليل غابق
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم فى أعلى السحابة بارق

وأما الابيات التى ذكر من أجلها فهى قوله عفا الله تعالى عنه وسامحه

دعا المحرمون الله يستغفرونه * بمكة يوما أن تمحى ذنوبها
وناديت يارباه أول سؤلتى * لنفسى ليلى ثم أنت حسيبها
فان أعص ليلى فى حياتى لم يتب * الى الله عبد توبة لا أتوبها
أهابك اجلالا ومابك قدرة * على ولكن ملء عين حبيبها

قوله وماذقته البيت انظر ما أحلى هذا الاحتراس وأعذبه فى الذوق وأوقعه فى نفى ما يوهمه البيت قبله تنبه (حمزه)

وما هجرتك النفس يا ليل انها * قليل ولكن قل منك نصيبها

وأما البيت الثالث فهو قول ابن أبي ربيعة ترجمة ابن أبي ربيعة

فتضاحكن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود

وهو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي ويكنى أبا الخطاب شاعر مجيد صاحب ثروة ومجون وجميع شعره في الغزل ولا يمتدح أحدا ولذلك قال له سليمان بن عبد الملك لم لا تمدحنا فقال انما أمدح النساء لا الرجال وكان يقال ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم عليها الا في الشعر حتى كان ابن أبي ربيعة فأقرت لها في الشعر أيضا ولم تنازعها شيأ وولد ليلة قتل عمر بن الخطاب فكان يقال أي حق رفع وأي باطل وضع يعنون كثرة معاشرته للنساء وتغزله بهن ومات بعد أن تاب وقد ناهز الثمانين وقيل انه فتك أربعين ونسك أربعين ودخل عليه أخوه عند موته وقد جزع عليه فقال له عمر أحسبك تجزع لما تظنه بي والله ما أعلم أني ارتكبت فاحشة قط فقال ما كنت أشفق عليك الا من ذلك وحكى الجرمي أن عمر بن أبي ربيعة كان مشتهرا بحب الثريا بنت عبد الله بن أمية الاصغر وكانت حرية بذلك جمالا وتماما وكانت تصيف بالطائف وكان عمر يغدو كل غداة من مكة يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الاخبار قبلهم فلقي يوما بعضهم فسأله عن أخبارهم فقال ما استطرفنا خبرا الا انني سمعت عند رحلنا صوتا وصياحا عاليا على امرأة من قريش اسمها اسم نجم في السماء فذهب عني اسمه فقال عمر الثريا قال نعم وقد كان بلغ عمر قبل ذلك انها عليلة فوجه فرسه الى نحو الطائف يركضه ملء فروجه ويسلك طريقا كل أوهى وأخشن الطرق وأقربها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهي تتشوف له وتتشوق فوجدها سليمة ومعها أختها فأخبرها الخبر فضحكت وقالت أنا والله أمرتهم لاختبر ما عندك فلذلك يقول قصيدته

يشكي الكميت الجري اذا جهدته * ويبين لو يستطيع أن يتكلما

قوله يشكي كذا في الاصل بالياء والمعروف ان ألفه واو فليحرر (حمزه)

وحكى انها واعدته يوما فجاءت في الوقت الذي ذكرته فصادفت أخاه الحرث قد نام مكان عمر فلم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول اعزبي فلست بالفاسق أخزاكما الله فلما علمت بالقضية انصرفت

ورجع

ووجع عمر فأخبره الحرث فاغتم لما فاته وقال له أما والله لا تمسك النار أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال الحرث عليك وعليها لعنة الله * وقال عمر ما أخجلني الا ليلى بنت عمر ولقيتها وهي تسير على بغلة لها وكنت أشبب بها فقلت لها جعلت فداك قفي واسمعي بعض ما قلت فيك فقالت أوفعلت فقلت نعم فوقفت فأنشدتها

ألا يا ليل ان شفاء نفسي * نوالك لو علمت فنولينا
وقد أزف الرحيل وحان منا * فراقك فانظري ما تأمرينا

فقالت آمرك بتقوى الله وايثار طاعته وترك ما أنت عليه ثم انصرفت * وحكى انه كان يوما يساير عروة بن الزبير فقال عمر وأين زين المواكب يعني محمد بن عروة وكان يسمى بذلك لجماله فقال عروة هو أمامك فركض يطلبه فقال له عروة يا أبا الخطاب أولسنا أكفاء لمحادثتك ومؤانستك فقال بلى ولكني مغرى بهذا الجمال أتبعه حيث كان ثم أنشد يقول

اني امرؤ مغرم بالحسن أتبعه * لاحظ لي فيه الا لذة النظر

ثم مضى حتى لحقه وجعل عروة يضحك منه * وروى انه شبب بزينب بنت موسى الجمحي وكان ابن أبي عتيق ذكر جمالها فأطنب في وصفها فصنع فيها قصيدته التي يقول فيها

يا خليلي من ملام دعاني * وألما الغداة با لاظعان

وبلغ ذلك ابن أبي عتيق فلامه في ذكرها فقال

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي * ان عندي عتيق ما قد كفاني
لا تلمني وأنت زينتها لي * فبدره ابن أبي عتيق فقال

أنت مثل الشيطان للانسان فقال عمر هكذا والله قلته فقال ابن أبي عتيق أما علمت أن شيطانك ربما ألم بي فيجد عندي من عصيانه كما يجد عندك من طاعته * ومثل هذا ما حكي انه أنشد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قصيدته الدالية فلما قال تشط غدا دار جيراننا فبدره ابن عباس فقال وللدار بعد غد أبعد قال هكذا والله قلت فقال ابن عباس انه لا يكون الا هكذا * وروى أن عبد الملك بن مروان جمع بينه وبين جميل وكثير عزة وقال لينشد كل واحد منكم بيتا في الغزل فأيكم كان أغزل فله هذه الناقة وما

عليها وكان قد أحضرنا قة موقورة دراهم فابتدر جميل فى الاول وقال

ولو أن راقي الموت يرقي جنازتى * بمنطقها فى الناطقين حييت

وقال كثير

وسعى الى بصيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر بن أبى ربيعة

فليت الثريا فى المنام ضجيعتى * لدى الجنة الخضراء أو فى جهنم

فقال عبد الملك خذها يا صاحب جهنم * ومن محاسن شعر عمر قوله فى قصيدته الرائية

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا أنت مقصر

أشارت بمدراها وقالت لتربها * أهذا المغيرى الذى كان يذكر

لئن كان اياه لقد حال بعدنا * عن العهد والانسان قد يتغير

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشى فيخصر

أخا سفر جواب أرض تقاذفت * به فلوات فهو أشعث أغبر

وليلة ذى دوران جشمنى السرى * وقد يجشم الهول المحب المغرر

وبت رقيبا للفراق على شفا * ولى مجلس لولا اللبانة أوعر

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنور

ونفضت عنى النوم أقبلت مشية الـ * حباب وركنى خيفة القوم أزور

فحييت اذ فاجأتها فتولهت * وكادت بمخفوض التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتنى * وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك ان هنا عليك ألم تخف * رقيبا وحولى من عدوك حضر

فلما تقضى الليل الا أقله * وكادت توالى نجمه تتغور

أشارت لاختيها أعينا على فتى * أتى زائرا والامر للامر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا * أقلى عليك اللوم فالخطب أيسر

يقوم فيمشى دوننا متنكرا * فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجنى دون من كنت أتقى * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

هنيئا لبعل العامرية نشرها الـ * لذيذ ورياها الذى أتذكر

أطلت فى ذكر هذه القصيدة لما رأيت فيها من اللفظ المطبوع والانسجام

الذى

قوله جشمنى بالتضعيف أى كلفنى بمشقة والسرى النعاس وضمير النسوة الى المعشوقة وتربها أى من ولد معها فى وقت واحد هكذا يظهر وانظر ما معنى تكليفه السرى مع قوله بعده وبت الخ الا أن يكون ثمة حذف وما المسوغ لرسم السرى بالالف مع كونه من كرى بالكسر كرضى تأمل (مصححه)

الذي لا يتهيأ لغيره من الشعراء ومن محاسن شعره قوله

أألحق ان دار الرباب تباعدت * أو انبت حبل الوصل قلبك طائر
أفق قد أفاق الواجدون وفارقوا * هوى واستمرت بالرجال المرائر
أمت حبها واجعل رجاء وصالها * وعشرتها كبعض من لا تعاشر
وهبها كشئ لم يكن أو كنازح * به الدار أو من غيبته المقابر

هذا البيت من أحسن ما ذكره أرباب البديع وفيه نوع من أنواع التقسيم وقوله أيضا

بينما ينعتنني أبصرتني * مثل قيد الميل يعدو بي الاغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى * قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها * قد عرفناه وهل يخفى القمر

يقال انه رتب كلا منهن على قدر عقولهن فالكبرى تجاهلت عن معرفته والوسطى أظهرت معرفته والصغرى أظهرت معرفته ووصفه وقوله معارضا لقصيدة جميل

جرى ناصح بالودّ بيني وبينها * فقربني يوم الخضاب الى قتلي
فلما توافقنا عرفت الذي بها * كما عرفت بي حذوك النعل بالنعل
وسلمت فاستأنست خيفة أن يرى * عدوّي مكاني أو يرى كاشح فعلي
فقالت وأرخت جانب الستر انما * معي فتحدث غير ذي رقبة أهلي
فقلت لها مابي لهم من ترقب * ولكن سري ليس يحمله مثلي

يقال ان هذا البيت أحسن ما قيل في وصف السر وقوله أيضا

أيها الراكب المجد ابتكارا * قد قضى من تهامة الاوطارا
من يكن قلبه الغداة سليما * ففؤادي بالخيف أضحى معارا
ليت ذا الدهر كان حتما علينا * كل يومين حجة واعتمارا

يروى أن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه لما سمع هذا البيت قال لقد كلف المسلمين شططا عظيما وان الله لارحم بهم من أن يبلغه أمنيته وأما الشعر الذي ذكر من أجله فقوله في هند بنت الحرث بن عوف المرية

ليت هندا أنجزتنا ما تعد * وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

قوله أألحق الخ لينظر هذا البيت حقه من التأمل ولينظر في أوله هل هو اسم أو مضارع تأمل (جمزه)

قوله والصغرى الخ فيه ان قوله وقد تيمتها يعلم على ان الحامل على الوصف الصغر تأمل (جمزه)

ولقد قالت لاتراب لها * ذات يوم وتعرت تبترد
أكما ينعتني تبصرنني * عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه من أجلها * وقديما كان في الناس الحسد

(وكانت انما حلتك بحلاك ووسمتك بسماك)
(ولم تعرك شهادة ولا تكلفت لك زيادة)

قوله (وكانت) عطف على وهبها (والحلى) الاوصاف التى يوصف بها الشخص كأنها مأخوذة من الحلى وهو الزينة (والسيما) العلامة ومنه قوله تعالى من الملائكة مسومين (والشهادة) العلم بالشئ والاقرار به

(بل صدقت سن بكرها فيما ذكرته عنك)

هذا مثل يضرب فى الصدق وأصله أن رجلا ساوم رجلا فى بعير فقال ما سنه فأخبره بأنه بكر ففرعنه أى رأى سنه واحد الاسنان فقال صدقنى سن بكره يروى سن بكره بفتح النون على انه مفعول وسن بضمها على انه فاعل وكلاهما صحيح المعنى

(ووضعت الهناء مواضع النقب بما نسبته الىّ)
(ولم تكن كاذبة فيما أثنت به عليك)

هذا مثل يضرب لمن يضع الامور فى محلها وأصله أن الهانئ وهو واضع القطران على البعير الاجرب يتتبع النقب التى فى جسد البعير وهى مبادى الجرب وهذا المثل نصف بيت من الشعر لدريد يقوله فى الخنساء وهو دريد بن الصمة بن الحرث الجشمى من هوازن فارس معروف من فرسان الجاهلية وشعرائها مشهور بالرأى والظفر وأمه ريحانة بنت معدى كرب أخت عمرو وقتل فى غزاة هوازن مشركا حين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد أسن وعجز عن الحرب وانما حمل مع القوم لرأيه وتدبيره وهى الواقعة التى أشار فيها برأى ولم يسمع منه فقال ياليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع * وهزمت هوازن وقتل أكثرهم وقتله ربيعة بن رفيع السلمى فى خبر يطول وقال لما ضربته بسيفه وقع متكشفا فاذا عجانه وفخذاه مثل القراطيس من ركوب الخيل حكى الاصمعى أن أمه ريحانة قالت له بعد مقتل أخيه عبد الله بن ترجمة دريد بن الصمة

الصمة يا بني ان كنت عجزت عن ثار أخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد فارق لذلك وحلف لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثاره ثم وجد غرة من غطفان فغزاهم وقتل منهم قوما ثم أسر دواب بن أسماء وأتى به الى فناء أمه فقتله فأخذت السيف وجعلت تلحس الدم بأسنانها الى أن انقطع منه شيء وهي لا تعلم من الفرح ثم قال في ذلك

جزينا بني عبس جزاء موفرا * بمقتل عبد الله يوم الذنائب

قتلنا بعبد الله خير لداته * دواب بن أسماء بن زيد بن قارب

قال الاصمعي كان عبد الملك بن مروان يقول لولا القافية لنسبه الى آدم وهذا النوع يسميه أرباب البديع الاطراد لتوالي الاسماء منظومة * وحكى أبو عبيدة قال هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جدعان فلقيه عبد الله بعكاظ وحياه وقال هل تعرفني يا دريد قال لا قال فلم هجوتني قال ومن أنت ولم يكن رآه قال أنا ابن جدعان قال هجوتك لانك كنت امرأ كريما فأحببت أن أضع شعري موضعه فقال له عبد الله لئن كنت هجوت لقد مدحت وكساه وحمله على ناقة فقال يمدحه

اليك ابن جدعان أعملتها * مسومة للسرى والنصب

فلا تخفض حتى تلاقي امرأ * جواد الرضا وحليم الغضب

سبرت الانام فما ان أرى * شبيه ابن جدعان وسط العرب

ومن شعر دريد يرثي أخاه

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعبد الله ذلكم الردى

فان يك عبد الله خلى مكانه * فما كان وقافا ولا طائش اليد

صبور على وقع النوائب حافظ * من اليوم أعقاب الاحاديث في غد

أعاذل ان كل امرئ وابن أمه * متاع كزاد الراكب المتزود

(وقوله)

أيا دفافة من للخيل ان طردت * وأطرها الطعن في وعث وأجاف

يا فارسا ما أبوا أوفى اذا اشتغلت * كلتا اليدين كرورا غير وقاف

قوله اشتغلت كلتا اليدين يعني يمسك العنان بيد ويضرب بالاخرى ثم قال

عبر الفوارس معروف بشكته * كاف اذا لم يكن من كربة كاف

يعني انّ الفوارس ترى منه ما يبكي أعينهم ويستعبرها * وقوله في يزيد بن المدان حين ساله ردّ مال جاره

أمر تكمو تردّوا مال جاري * وأسرى في كبولهم الثقال
فأنتم أهل عائدة وفضل * وأيد في مواهبكم طوال
متى ما تمنعوا شيأ فليست * حبائل أخذه غير السؤال

وقوله أيضا

أبى القتل الا آل صمة انهم * أبوا غيره والقدر يجري الى القدر
فاما علينا واترين فيشتفى * بنا ان أصبنا أو نغير على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا * فما ينقضي الا ونحن على شطر

وأما الشعر الذي ذكر بسببه فانه مر بالخنساء بنت عمرو بن الشريد وسيأتي ذكرها وهي تهنأ بعيرا لها وقد تبذلت حتى فرغت منه ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت ودريد يراها وهي لا تشعر به فأعجبته وانصرف الى رحله فقال

حيوا تماضر واربعوا صحبي * وقفوا فان وقوفكم حسبي
ما ان رأيت ولا سمعت به * كاليوم هانئ أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

وتماضر اسم الخنساء ثم خطبها فردته لكبر سنه فهجاها فقيل لها ألا تجيبينه فقالت ما كنت لاجمع عليه أن أردّه وأهجوه

(فالمعيدي تسمع به خير من أن تراه)

هذا مثل يضرب لمن يكون خبره خيرا من منظره وأول من قاله النعمان لشقة بن ضمرة في خبر طويل معناه انه كان يغير على مال النعمان ويطلب فلا يقدر عليه الى أن أمنه النعمان وكان يعجبه ما يسمع عنه فلما رآه استزرى منظره فقال لان تسمع بالمعيدي خير من أن تراه فقال أبيت اللعن ان الرجال ليسوا بجزر وانما يعيش المرء بأصغريه قلبه ولسانه * ومعيد اسم قبيلة وفيها يقول الشاعر

ستعلم ما تغني معيد ومعرض * والنعمان هذا هو ابن المنذر بن النعمان ابن عمرو آخر ملوك العرب بالحيرة من قبل كسرى وله أخبار وأقوال ومن أغرب ما ذكر منها كلامه عند كسرى في فضل العرب وذلك انه وفد على

ترجمة النعمان بن المنذر

كسرى وعنده وفود الروم والهند وغيرهم فذكروا ملوكهم وفضلهم وافاض النعمان فى ذكر العرب وفضلهم على الامم لا يستثنى فارس ولا غيرها فتغير وجه كسرى وذكر كلاما ينتقص به العرب ويفضل عليهم الامم فقال النعمان أصلح الله الملك أما أمتك فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هى به من عقلها وحلمها وبسط حكمها وما أكرمها الله تعالى به من ولاية آبائك وولايتك وأما الامم التى ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب الا فضلتها العرب فقال كسرى بماذا قال بعزتها ومنعتها وبأسها وسخائها وحسن وجوهها وحكم ألسنتها ووفائها واحسابها وأنسابها * فأما عزتها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة للملوك الذين دوّخوا البلاد وقادوا الجنود لم يطمع فيهم طامع حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرهم من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحار * وأما سخاؤها فان أدنى رجل منهم يكون عنده البكرة أو الناب عليها بلاغه من حمولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذى يكتفى بالفلذة ويجتزى بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج له عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر * وأما حسن وجوهها وألوانها فقد يعرف فضلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المحترقة والروم المقشرة والترك المشوّهة * وأما ألسنتها فان الله أعطاهم فى أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وضربهم الامثال ومعرفتهم بالاشارة وبلاغتهم فى الصفات ماليس فى ألسنة الاجناس * وأما وفاؤها فان أحدهم ليبلغه أن أحد الرجال استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التى أصابته أو يصاب قبله لما أخفر من جواره وان أحدهم ليرفع عودا من الارض فيكون رهنا لا يغلق ولا تخفر ذمته وكذلك تمسكها بشريعتها وهو أن لهم أشهرا حرما وبيتا محجوجا ينسكون منه مناسكهم فيلقى الرجل قاتل أبيه وأخيه وهو قادر على أخذ ثاره فيمنعه دينه ويحجزه كرمه * وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الامم الا وقد جهلت أصولها وكثيرا من أولها وآخرها حتى ان أحدهم يسأل عما وراء أبيه فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يسمى آباءه أبا فأبا حاطوا بذلك أحسابهم فلا يدخل رجل فى غير قومه ولا يدعى لغير أبيه

* وأما قول الملك انهم يئدون أبناءهم فانما يفعله منهم من يفعله بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج * وأما قوله ان أفضل طعامهم لحوم الابل فما تركوا ما دونها الا احتقارا فعمدوا الى أجلها قدرا وأغلاها ثمنا فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها أكثر البهائم لحوما وشحوما * وأما تحاربهم وترك انقيادهم لرجل يسوسهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا أنست من نفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها وانه انما يكون في بيت الملك واحد يعرفون فضله فيلقون أمورهم اليه فأما العرب فان ذلك كثير منهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والعشر وما اشبه ذلك فعجب كسرى من منطقه وكساه من كسوته ورده الى الحيرة * ومن ظريف أخبار النعمان انه كان قد حمى ظاهر الكوفة وشقائقها ومن هناك يقال شقائق النعمان فانفرد يوما عن عسكره فاذا هو بشيخ يخصف نعلا فقال ما أنزلك ههنا قال طرد النعمان الرعاء فأخذوا يمينا وشمالا فانتهيت الى هذه الوهدة فنتجت الابل وولدت الغنم والنعمان معتم لا يعرف فقال أو ما تخاف من النعمان قال وما أخاف منه ولربما سرت يدي هذه بين عانة أمه وسرتها فلما سمع النعمان قوله سفر عن وجهه فاذا خرزات الملك تلمع فلما رآها الشيخ قال أبيت اللعن لا ترى انك ظفرت بشئ فقد علمت العرب انه ليس بينها شيخ أكذب مني فضحك النعمان وحلم عنه مع تجبره وعظمته * ومات النعمان بساباط المدائن طرحه كسرى تحت أرجل الفيلة فخبطته حتى مات وذلك بتحيل عدي بن زيد كاتبه وذلك أن كسرى أرسل يخطب ابنة النعمان لنفسه فقال النعمان للرسول أما كان في عين السواد ما يكفي الملك فلما سمع كسرى هذا الكلام لم يفهمه فسأل عنه عديا فقال انه أنف من مصاهرة الملك وقال يكفيه بقر العراق فغضب واستدعى النعمان وقتله

(هجين القذال أرعن السبال)
(طويل العنق والعلاوة مفرط الحمق والغباوة)

الهجين من الناس من في نسبه هجنة أي قبح وكذلك المقرف وهو أن يكون أحد أبويه قد دخل في العبودية ويقال ان المقرف من قبل الاب والهجين من قبل الام وتقول العرب فلان هجين القذال أي يتبين لؤم نسبه في قذاله

والقذال جماع مؤخر الرأس وخص القذال لان الذي يعرف لؤم نسبه اذا ولى طأطأ رأسه حياء وذلا فكان اللؤم يتبين من قذاله وقيل لكثرة انهزامه في الحروب (والارعن) والراعن الاحمق مأخوذا اما من الرعن وهو الاسترخاء واما من الرعن بالتسكين وهو انف الجبل المائل فكان الاحمق مائل عن الصواب وذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا هذا المعنى فانهم كانوا يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به رميه بالرعونة ويوهمون انهم يقولون راعنا من المراعاة أي احفظنا (والسبال) جمع سبلة وهي شعر الشفة العليا شبهت بسبل المطر لما فيها من التحدر وخصت الرعونة بالسبال لانها علامة الرجل والمعنى ان هذه المرأة سمعنا عنك الاوصاف الجميلة فاذا نظرت واختبرت فأبنت على هذه الاوصاف الذميمة (والعلاوة) الرأس مادام على العنق يقال ضربت علاوته ويقال في الفراسة ان طول العنق والرأس من دلائل الحمق

(جافي الطبع سيء الجابة والسمع بغيض الهيئة سخيف الذهاب والجيئة)
(ظاهر الوسواس منتن الانفاس كثير المعايب مشهور المثالب)

(الجفا) النبو والتباعد والاصل من جفا السرج عن الفرس اذا نبا (والطبع السجية وهو نقش النفس بصورة ما وذلك اما من جهة الخلقة أو من حيث العادة مأخوذ من طبع الدرهم أي تصويره بصورة ما (وسيء الجابة) يعني يسمع الشيء على غير حقيقته ويجيب كذلك اما من البله أو الطرش وهو مثل للعرب يقولون ساء سمعا أو أساء سمعا فأساء جابة قاله سهيل بن عمرو وكان قد تزوج صفية بنت أبي جهل فولدت له أنس بن سهيل فخرج ذات يوم وهو معه فوجده الاخنس بن شريف فقال من هذا فقال ابني فقال الاخنس حياك الله يا فتى فقال لا والله ما أمي في البيت فقال أبوه أساء سمعا فأساء جابة ولسهيل هذا حكاية في الكرم عجيبة وذلك انه كان أسلم بعد فتح مكة وسكن البادية الى أن حضر اليرموك واستشهد فقيل انه لما صرع مر به رجل وهو بآخر رمق فقال اسقني فأتاه بشربة من ماء فنظر الى الحرث بن هشام وهو صريع ينظر اليه فقال اذهب اليه بالشربة فلما اتاه وهم رأى عكرمة في حاله فقال اذهب اليه بالشربة فذهب بالشربة الى عكرمة فوجده قد مات فرجع بها

قوله جابة هو بمعنى الاجابة الموجودة في بعض النسخ وهي رواية أخرى في المثل كما في مجمع الامثال اهـ مصححه

الى الحرث فوجده ميتا فرجع بها الى سهل فوجده ميتا ومات الثلاثة قبل أن يذوقوها (والهيئة) الحالة التي يكون عليها الشئ محسوسة كانت أو معقولة وهي في المحسوسة أكثر (والسخف) رقة العقل وقد سخف سخافة فهو سخيف (والوسواس) الخطرات الرديئة من حديث النفس مأخوذ من وسواس الحلى وهو صوته الخفي ودخل الحسن بن سهل على المأمون وابراهيم ابن المهدي عنده فاقترح الحسن على ابراهيم أن يغنيه فغنى

تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت ... يعرض بوسواس كان في الحسن

(والمثالب) النقائص مأخوذ من ثلب الرمح اذا تثلم

(كلامك تمتمة وحديثك غمغمة وبيانك فهفهة وضحكك قهقهة)

(التمتمة والغمغمة) من معايب النطق المعدودة قال الجاحظ التمتمة التردد في التاء والفأفأة التردد في الفاء والعقلة التواء اللسان عند ارادة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف في حرف والرتة تمنع الكلام فاذا جاء منه بشئ اتصل وقيل العجمة فيه واللثغة أن يعدل من حرف الى حرف والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة أشد منها واللكنة أن يعترض الكلام حرف أعجمي والطمطمة أن يكون الكلام شبيها بالعجمي (والغمغمة) أن يسمع الصوت ولا يبين لك تقطيع الحروف قال أبو عبيدة كان رجل من المشركين يحد حربته عند فتح مكة فقالت له امرأته ما تصنع قال أحد الحربة لقتل محمد وأصحابه فلما هزمت المشركون قال منشدا هذه الابيات

انك لو شهدت يوم الخندمه ... اذ فر صفوان وفر عكرمه

واذ علتنا بالسيوف المسلمه ... ضربا فلا تسمع الا غمغمه

وقال معاوية يوما من أفصح الناس فقال رجل من السماط قوم تباعدوا عن كشكشة تميم وتنافروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمة حمير فقال معاوية من أولئك قال قومي قال من أنت قال أنا رجل من جرم قوله كشكشة تميم فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا قال بعضهم هل لك أن تنفعيني وأنفعش * وتدخلين اللذ معي في اللذ معش يعني وأنفعك واللذ معك وكسكسة بكر انهم يثبتون حركة كاف

المؤنث ويزيدون عليهـا سينا يقولون تنفعكس واعطيتكس (والغمغمة) لقضاعة وقدذكرت (والفهفهة) عى فى المنطق (والقهقهة) صفة الضحك الشديد كأن الضاحك يقول قه قه وهى خصلة مذمومة فى الانسان دالة على قلة العقل

(ومشيك هروله وغناك مسئله ودينك زندقه وعلمك مخرقه)

(الهرولة) ضرب من العدو وهو بين المشى والعدو وعدها هنا من المعايب لاقترانهـا بذكر المسئلة يعنى انه سائل تهم سريع المشى للطلب والكدية* والزنادقة فى الاصل الثنوية وذلك أن زردشت المجوسى لما ظهر ببلاد المشرق ودعا الى عبادة النيران لما رأى فى تلك الاماكن من البرد والثلج ورغبة أهلها فى النار اتبعوه وكان صاحب حيل وسحر ويقال انه كان صحب شعيبا عليه السلام وكان يخبره بوقائع تقع ثم كفر ووضع كتابا زعم أنه انزل عليه مكتوبا بماء الذهب فصعبت عليهم قراءته فوضع له شرحا سماه الزند ثم لما ظهر مردك زاد فى شرحه وفى اسم الكتاب فقال زندين فلما جاءت العرب قالت زنديق ويسمى من مال الى هذا المذهب أوما قاربه من الخروج عن الشريعة زنديقا وأكثرهم فى الاسلام نوع من الجهمية أصل اعتقادهم انه ليس ينبغى لاحد أن يثبت لنفسه ربا لانه لا يمكنه الاثبات الابالعين أو الادراك بالحواس وقالوا مالا يدرك ليس باله لانه مجهول ومالا يدرك فلا ينبغى أن يثبت وسلكوا على هذه الطريقة وأباحوا اتيان المحرمات وترك العبادات لانكارهم البعث وجحودهم الشريعة وسبيلهم مذهب مردك فى اباحة النساء وأن الناس كلهم سواء فيهن ولذلك قيل للمنهمك فى لذاته واللعب والبطالة يازنديق أوقيل له أظرف من زنديق وسئل بعضهم عن الاضحى فقال وباء يقع فى البقورة والاغنام وقتل منهم المهدى خلقا كثيرا وذلك انه رأى فى المنام كان الكعبة قد مالت فدعمها هو وشخص حتى قامت فلما انتبه سأل عن صفة ذلك الشخص الذى رآه فى المنام فأتى بزنديق يقال له حمدون على الصفة فاستتابه فتاب فأمره بتتبع الزنادقة فانه كان يعرف عامتهم فدله على خلق كثير فقتلهم وكان جيد الفراسة فيهم حتى انه مر بمؤذن مظهر للصلاح فسمعه يقول فى أذانه أشهد أن محمدا رسول الله بفتح اللام فوقع

فى ظنه أنه زنديق لانه لم يضم اللام فقبض عليه وقرره فوجده زنديقا وكان يمتحنهم بمسائل مختلفة ويبرز لأكثرهم خرقة مصوّرا فيها صورة مانى وهى صورة سمجة غليظة المشافر فيأمره أن يبصق عليها فيأبى ويختار القتل دون ذلك فيقتل وكان أكثرهم ثنوية (والمخرقة) نوع من التوصل الى حيل باظهار الخرق الذى هو ضد الرفق والتدبر ومنه يقال المخراق وهو شئ يلعب به كأنه يخرج لاظهار الشئ بخلافه

(مساو لو قسمن على الغوانى لما أمهرن الا بالطلاق)

هذا البيت لابى تمام الطائى من أبيات يهجو بها الاعمش وهى هذه

دع ابن الاعمش المسكين يبكى * لداء طال منه فى وثاق
لبئس الداء والداء استكفا * عليه من السماجة والحلاق
كحلت بقبح صورته فأضحى * لما انسان عينى فى السياق
مساو لو قسمن على الغوانى * لما أمهرن الا بالطلاق

يعنى ان صفاته لو تقسمت على الغوانى وهنّ النساء اللواتى غنين بأزواجهن لم يعطهن الازواج مهرا غير الطلاق بغضا فيهن وراحة منهن لما اكتسبن من المساوى والقبائح

ترجمة باقل بن عمرو

(حتى ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك)

يعنى باقل بن عمرو بن ثعلبة الايادى الذى يضرب به المثل فى العى فيقال اعى من باقل قال أبو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا باحد عشر درهما فلقيه شخص وهو معه فقال بكم اشتريته ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير بذلك الى أحد عشر فهرب الظبى من كفه وضربوا به المثل فى العى قال حميد الارقط يهجو ضيفا له

أتانا وما داناه سحبان وائل * بيانا وعلما بالذى هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه * من العى لما أن تكلم باقل

سحبان رجل من بنى وائل يضرب به المثل فى البلاغة واللقم بالفتح ثم السكون سد الفم باللقم وقال أبو العلاء المعرى فى لاميته

اذا وصف الطائى بالبخل مادر * وعيّر قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت خفية * وقال الدجى للصبح لونك حائل

وطاولت الارض السماء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصا والجنادل
فياموت زران الحياة ذميمة * ويانفس جدى ان دهرك هازل

الطائى هو حاتم المشهور بالكرم ومادر اسم رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة يضرب به المثل فى البخل لانه سقى ابله من حوض فبقى فى أسفله قليل ماء فسلح فيه ومدر به أى لطخه فى جوانب الحوض بخلا أن يسقى غيره فصار مثلا يضرب قال الشاعر

لقد جللت خزيا هلال بن عامر * بنى عامر طرا بسلحة مادر

وقس بن ساعدة الايادى أسقف نجران وكان أحد حكماء العرب وخطبائهم يضرب به المثل فى الفصاحة والفهاهة العى يقال رجل فه وامرأة فهة قال بعضهم

ولم تلفنى فها ولم تلف حجتى * ملجلجة أبغى لها من يقيمها

والسها كوكب خفى فى بنات نعش الكبرى والناس يمتحنون به أبصارهم وفى المثل أريها السها وتريني القمر وقد ضمن هذا المثل الشيخ شمس الدين النواجى صاحب حلبة الكميت حيث قال

مرضت فعادت وأبدت سنى * محيا يروق لعينى النظر
وبت ولى جسد ناحل * أريها السها وتريني القمر

وضمنت أنا عجز بيت المعرى فقلت

وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل

(والبلاغة) بلوغ الدرجة العالية فى النطق والمعنى فى قوله أن باقلا بالنسبة اليك يكون بليغا

ترجمة هبنقة

(وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا أضيف اليك)

يعنى يزيد بن ثروان أحد بنى قيس بن ثعلبة الملقب هبنقة والمكنى بأبى الودعات لانه نظم ودعا لنفسه فى سلك وجعله فى عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع قيل ان أخاه راقبه الى أن نام فأخذ العقد من عنقه وجعله فى عنق نفسه فلما انتبه هبنقة ورأى أخاه قال له أنت أنا فانا ترى من هو وأنا ولهذا يضرب به المثل فى الحمق وهو جاهلى ومن اخباره انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل مختار المراعى للسمان ونحى المهازيل وقال لا أصلح ما أفسد الله *

ومنها انه اختصم اليه بنوراسب وبنوطفاوة فى شخص يدعونه فقال هبنقة ارموه فى البحر فان رسب فهو من بنى راسب وان طفا فهو من بنى طفاوة * ومنها انه رأى مع الناس جرادا قد أقبل فقال لا يهولنكم ماترون فان أكثرها موتى * واشترى أخوه بقرة بأربعة أعنز فركبها فأعجبه عدوها فالتفت الى أخيه وقال زدهم عنزا أخرى فضرب به المثل المطى بعد امضاء البيع ثم سار بها فرأى أرنبا تحت شجرة ففزع منها وركض البقرة وقال

الله نجانى ونجى البقره * من جاحظ العينين تحت الشجره

وروى أن مالك بن مسمع قال للاحنف بن قيس مازحا وهو يفتخر بالربيعة على المضرية لاحق بكر بن وائل أشهر من سيد بنى تميم يعنى بالاحق هبنقة القيسى فقال الاحنف لتيس بنى تميم أشهر من سيد بكر بن وائل يعنى تيس بنى حمان الذى يقال فيه أغلم من تيس بنى حمان يزعمون انه نزا على عنز بعد ان فريت أوداجه

(وطويسا مأثورعنه عن الطائر اذا قيس عليك)

ترجمة طويس

هو عيسى بن عبد الله مولى بنى مخزوم وكنيته أبو عبد النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية ويضرب به المثل فى الشؤم وذلك انه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات أبو بكر وختن يوم قتل عمر وتزوج يوم قتل عثمان وكانت أمه تمشى بالنميمة بين نساء الانصار * وله أخبار تدل على مكره وفطنته قال كان عبد الله بن جعفر ومعه أخدان له فى عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جود أسال كل شئ فقال عبد الله هل لكم فى العقيق وهو منتزه أهل المدينة فى الربيع والمطر فركبوا ثم أتوا العقيق فوقفوا على شاطئه وهو يرمى بالزبد فانهم لينظرون اذ جادت السماء فقال عبد الله لاصحابه ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا فهل لكم فى منزل طويس فانه قريب منا فنسكن فيه ويحدثنا ويضحكنا قال وطويس فى النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر مع أصحابه ولم يروه فقال عبد الرحمن بن حسان جعلت فداك وما تريد من منزل طويس عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه فقال عبد الله لا تقل ذلك فانه خفيف لنا فيه أنس فلما استوفى طويس

قوله قال العل الفاعل الراوى أو الناقل حذف لغرض مّا والنظر لم يبن للمجهول اذن (جزه)

الكلام تعجل الى منزله فقال لامرأته ويحك قد جاءك سيد الناس عبد الله بن جعفر فما عندك قالت نذبح هذه العناق وكانت قد ربتها اللبن واختبز رقاقا فبادر بذبحها وعجنت هي وخرج وتلقاه مقبلا اليه فقال له طويس بأبي أنت وأمي هذا المطر هل لك في المنزل فتسكن به الى أن تكف السماء قال اياك أريد قال فامض يا سيدي على بركة الله وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا فتحدثوا الى أن أدرك الطعام فاستأذنه عليه وأتى بعناق سمينة ورقاق فأكل وأكل القوم وأعجبه طعامه ثم قال بأبي أنت وأمي أما أغنيك قال بلى فأخذ الدف وغنى

يا خليلي نابني سهدي * لم تنم عيني ولم تكد
كيف تلحوني على رجل * أنس تلتذه كبدي

فطرب القوم وقالوا والله أحسنت فقال يا سيدي أتدري لمن هذا الشعر قال لا قال هذا الفارعة بنت حسان وهي تعشق عبد الرحمن بن الحرث المخزومي وتقول فيه فسكت القوم وضرب عبد الرحمن برأسه فلو شقت له الارض لذهب فيها وعلم عبد الله انه اقتص من عبد الرحمن * ولطويس شعر ركيك لا فائدة في ذكره (واليمن) البركة وأيامن الطير ما كانت العرب تتفاءل به للسافر اذا أولاه الطير يمينه وهو خلاف الاشائم وفي الحديث اللهم لا طير الا طيرك

(فوجودك عدم والاغتباط بك ندم)
(والخيبة منك ظفر والجنة معك سقر)

قوله (وجودك عدم) هو مأخوذ من قول المتنبي

يا من يعز علينا أن نفارقهم * وجداننا كل شئ بعدكم عدم

(والغبطة) حسن الحال وفي الحديث اللهم غبطا لا هبطا أي نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالتنا (والاغتباط) تمني حال المغبوط من غير أن يريد زوالها (والخيبة) فوت المطلوب (والظفر) الفوز به مأخوذ من ظفر أي نشب ظفره فيه (والجنة) كل بستان ستر الارض بشجره مأخوذ من جن الشئ اذا ستره قال الراغب وسميت الجنة جنة أما تشبيها بما يرى في الارض وان كان بينهما بون واما لستر النعم المشار اليها بقوله تعالى فلا تعلم

نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (وسقر) اسم علم للجحيم وهو من سقرته الشمس وصقرته اذا لوحته ولما كان السقر يقتضي التلويح قال الله تعالى وما أدراك ما سقر أي ان ذلك السقر مخالف لما تعرفونه من سقر الشمس المعلوم بينكم

(كيف رأيت لؤمك لكرمي كفاء وضعتك لشرفي وفاء)

(اللؤم) الدناءة في الاصل والاخلاق (والكرم) ضده (والاكفاء) الانظار ويستعمل في المناكحة والمحاربة (والضعة) مقابلة الرفعة مأخوذ من وضعت الشيء اذا حططته (والشرف) علو المقدار وهو مأخوذ من شرف المكان وهو اعلاه والمعنى كيف تكون كفؤا لي على شرفي وضعتك

(وأني جهلت ان الاشياء انما تنجذب الى أشكالها)
(والطير انما تقع على آلافها)

يعني كيف جهلت أني انما أميل الى شكلي والفي بولست من أشكالي وآلافي والكلمة الاولى منظومة في قول المتنبي والكلمة الثانية منظومة في قول بعض العرب وعلى آلافها الطير تقع قال الاصمعي كنت أسمع بهذا المثل فلم أفهمه حتى رأيت غربانا تقع البقع منها مع البقع والسود مع السود الى أن رأيت غرابا أعرج قد سقط بجانبه آخر مهيض الجناح فسقط عنده فعلمت أن المثل ما ضاع

(وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان)
(وشعرت ان المؤمن والكافر لا يتقاربان)
(وقلت الخبيث والطيب لا يستويان)

(شعرت) أي علمت علما دقيقا مأخوذ من دقة الشعر ويلمح من السجعة الاولى قول علي كرم الله وجهه الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب كلما أزددت من احداهما قربا أزددت من الاخرى بعدا ومن السجعة الثانية قول النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن أطيب من عمله والكافر أخبث من عمله ويدل على ذلك لفظ القرآن العظيم في السجعة الثالثة فتأمله

(وتمثلت * أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان)

هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة المخزومي يقوله في الثريا بنت عبد الله وقد

قوله عمرك الله العمر بالضم والفتح واحد الا ان المفتوح اختص بالقسم فان سبق بلام وجب رفعه على الابتداء نحو لعمرك والخبر محذوف وجوبا وان سقطت اللام كما هنا تعين نصبه وهو حينئذ أما دعاء للمخاطب كما فسره الشارح وأما قسم والمعنى باقرارك لله تعالى بالبقاء فهو منصوب على المصدرية والاسم الكريم به على التعظيم ولكل مقام مقال (جزء)

تقدم ذكرهما وسبب قوله أن سهيل بن عبد العزيز بن طلحة قدم من الشام الى الطائف فتزوجها ورحل بها الى الشام فقال عمر

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمان

واتفقت له تورية حسنة باسم النجمين والمقصدين وقوله عمرك الله يعنى سألت الله عمرك أى بعمرك والعمر والعمر واحد وانما خص العمر بالقسم وأصل العمر من العمارة وهو عمارة البدن بالحياة

(وذكرت انى علق لا يباع ممن زاد وطائر لا يصيده من أراد وغرض لا يصيبه الا من أجاد)

(ذكرت) عطف على قوله وهلا علمت (والعلق) الشئ النفيس الذى يتعلق به صاحبه فلا يبرح عنه واللفظ مأخوذ من شعر حريث بن قحطان التميمى كانت له فرس يسمى اسكاب فأراد بعض ملوك اليمن أخذها منه فهرب بها وقال

أبيت اللعن ان سكاب علق * نفيس لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا * تجاع لها العيال ولا تجاع
سليلة سابقين تناجلاها * اذا انتسبا يضمهما الكراع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها * فدون منالها أمد شناع

(والغرض) الهدف المقصود بالرمى ثم صار اسما لكل غاية يتحرى الانسان ادراكها

(ما أحسبك الا كنت قد تهيأت للتهنية وترشحت للترفية)

يعنى طمعت بحصول القصد فانتظرت المناء به (والترشيح) الاستعداد للشئ مأخوذ من ترشح الفصيل اذا قوى على المشى (والترفية) والرفاهية التنعم والتوسع فى العيش

(لولا ان جرح العجماء جبار للقيت من الكواعب ما لاقى يسار)

(جرح العجماء جبار) لفظ الحديث والعجماء البهيمة سميت بذلك لانها لا تعرب عن نفسها بالعبارة والجبار الدم الهدر والمعنى عدم القصاص فى جرح البهيمة وضرب به المثل لمن يستهان به (والكواعب) جمع كاعب وهى الجارية

التي تكعب ثد ياها تشبيها بالكعب (ويسار) اسم عبد وهذا مثل معروف وسببه ان يسارا هذا كان عبدا أسود دميما يقال له يسار الكواعب لان النساء اذا رأينه ضحكن منه لقبحه فكان يظن انهن يضحكن من عجبهن به حتى نظرت اليه امرأة مولاه فضحكت فظن انها خضعت له فقال لصاحب له أسود كان يكون معه في الابل قد والله عشقتني مولاتي فلا ازورنها الليلة ولم يكن يفارق الابل فقال له صاحبه يا يسار اشرب لبن العشار وكل لحم الحوار واياك وبنات الاحرار فقال له يا صاحب أنا يسار الكواعب والله ما رأتني حرة الا عشقتني فلما أمسى قال لصاحبه احفظ على الابل حتى أنصرف وأعود اليك فنهاه فلم ينته حتى دخل على امرأة مولاه مراودها عن نفسها فقالت له مكانك فان للحرائر طيبا أشمك اياه فقال هاتيه فأتته بطيب وموسى حذمة أي قاطعة فأشمته الطيب ثم أنحت بالموسى على أنفه فقطعته وقيل وضعت تحته بخورا وقطعت مذاكيره فصاح فقالت صبرا على مجامر الكرام ثم خرج هاربا حتى أتى صاحبه ودمه يسيل فضرب به المثل وأيضا مما قيل ان اسم المرأة منشم وانها التي ضرب بها المثل بقولهم عطر منشم وهذا على أحد الاقوال في ذلك مما رويناه

(فما هم الا ببعض ما به هممت ولا تعرض الا بسر ماله تعرضت)

يعني ما طلب يسار من مولاته وتعرض له الادون ما تعرضت اليه مني لاني أشرف من تلك وأنت أقل من ذاك (وهممت) بالشئ اذا جعلت طلبه هم نفسك (وتعرضت) للشئ اذا وقفت عرضا في طريقه

أين ادعاؤك رواية الاشعار وتعاطيك حفظ السير والاخبار

أما ثاب اليك قول الشاعر

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع * وتنكح في اكفائها الحبطات

(ثاب اليك) أي رجع الى ذهنك وهذا البيت للفرزدق يقوله لرجل من بني الحرث بن عمرو خطب الى بني دارم (ودارم) هو مالك بن حنظلة التميمي وهو أبو مجاشع وبيته أكبر بيوت بني تميم (وآل مسمع) بيت بكر بن وائل في الاسلام وهو من بني قيس بن ثعلبة (والحبطات) بنوا الحرث بن عمرو بن تميم يجمعهم البيت مع بني دارم وانما نقص قدر الحبطات عنهم لقول الشاعر

قوله يعني الخ انظر تركيب هذه العبارة وغاية ما ينبغي ان ضميرله يعود على مفعول طلب الظاهر الذي لعله ساقط في الاصل وبهذا يصح الحصر وفيه ما فيه الان اسميتها وان صح معها عود ضميرله عليها وتقدير عائدها مستكنا في الصلة لكنه يبطل معه الحصر تأمل (حمزه)

فيهم

وجدنا النيب من شر المطايا * كما الحبطات شر بني تميم

فلزمهم هذا القول وقيل انما سمى الحرث حبطا لانه كان فى سفر فأكل أكلا فانتفخ بطنه فمات فسمى حبطا وعيروا بذلك والحبط أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ بطونها ولا يخرج عنها مافيها وذلك معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم ان مما ينبت الربيع مايقتل حبطا أو يلم ومعنى قول الفرزدق أن بنى دارم لا ينبغى أن يخطب اليهم الا بنو مجمع لانهم أكفاؤهم فى الشرف فأما الحبطات فلا وذكر المبرد أن الرجل الخاطب أجاب الفرزدق فقال

أما كان عتاب كفيئا لدارم * بلى ولابيات بها الحجرات

عتاب أحد آباء بنى الحرث وقوله أبيات بها الحجرات يعنى بنى هاشم لقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات * والفرزدق هذا هو همام بن غالب بن صعصعة التميمى الدارمى الشاعر المشهور صاحب جرير ولقب الفرزدق لجهامة وجهه لان الفرزدقة القطعة الضخمة من العجين وكنيته ابو فراس وذكره الشريف المرتضى فقال كان الفرزدق مع تقدمه فى الشعر وبلوغه فيه الى الذروة العليا شريف الآباء كريم البيت وكان شيعيا مائلا لبنى هاشم ونزع فى آخر عمره عما كان عليه من الفسق والقذف وراجع طريقة الدين على انه لم يكن فى خلال ذلك منسلخا حدث ابن عمران قال جاء الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله تعالى وسعتها فكان أوثقنا بالله تعالى فقال له رجل ألك هذا الرجاء وهذا المذهب وأنت تفعل ما تفعل فقال أترونى لو أذنبت الى والدى أكانا يقذفانى فى تنور وتطيب أنفسهما بذلك قلنا لا بل كانا يرحمانك فقال أنا والله برحمة الله أوثق منى برحمتهما وقيل انه كان يخرج من منزله فيرى بنى تميم وفى حجورهم المصاحف فيفرح بذلك ويقول ايه فدا كم أبى وأمى هكذا والله كان آباؤكم واستدل الشريف على تشيعه بحكايته مع هشام بن عبد الملك وذلك أن هشاما حج فى خلافة أبيه فأراد أن يستلم الحجر فلم يتمكن لازدحام الناس فجلس ينتظر خلوة فأقبل على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما وعليه ازار ورداء وهو من أحسن الناس وجها وبين عينيه سجادة فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له هيبة واجلالا فغاظ ذلك هشاما

ترجمة الفرزدق

قوله يقذفانى هكذا فى الاصل بحذف نون الرفع وهو سائغ بلا ناصب وجازم كثبوتها معهما سماعا فى الكل كما سبق نظيره

(جزء)

فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس فقال هشام لا أعرفه لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا لكني أنا أعرفه فقيل له من هو فأنشد يقول

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم

فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان وفي ذلك يقول

أيحبسني بين المدينة والتي * اليها رقاب الناس يهوى منيبها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد * وعينا له حولاء باد عيوبها

وبعض الرواة يروي الابيات الميمية لابي الطمحان القيني والذي يرويها للفرزدق يستدل لها بحبسه وقوله هذه الابيات ومات الفرزدق بالبادية سنة ١١٠ ومن أخباره المستطرفة دخل يوما على بلال بن أبي بردة وهو أمير على البصرة وعنده أصحابه فتنقصوا بني تميم ورفعوا اليمن فقال الفرزدق لو لم يكن لليمن الا أبو موسى وما تولاه من خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفاهم فقال بلال ان فضائله كثيرة فما أردت منها فقال حجامته اياه فقال صدقت قد فعل ذلك وما فعله بأحد قبله ولا بعده فقال الفرزدق الشيخ كان أتقى لله من أن يقدم على نبيه بغير حذق فيجرب عليه فأمسك بلال وعجب الناس من حذقه في هذا التعريض ونظر يوما الى ابن هبيرة وعليه ثياب تتقعقع فقال ان ثيابه لتسبح أراد بذلك قول الشاعر

اذا لبست قيس ثياب الزينة * تسبح من لؤم الجلود ثيابها

وكان قد هجا الازد فلما قدم يزيد بن المهلب البصرة قال لابي الجعد وكان صديقا للفرزدق ابعث الى الفرزدق فقال له يوما ماذا يعوقك عن يزيد أعظم الناس عفوا وأسخاهم كفا فقال صدقت ولكني أخشى أن آتيه فأجد العمانية ببابه فيقوم الى رجل منهم فيقول هذا الذي هجانا فيضرب عنقي فيبعث اليه يزيد فيضرب عنقه ويبعث الى أهل بيتي بديتي فاذا يزيد قد صار أوفى العرب واذا الفرزدق قد ذهب فيما بين ذلك لا والله لا أفعل فقال يزيد أما اذا فطن لها فدعه الى لعنة الله وقيل ان هذا كان مراده وسمع الفرزدق

رجلا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال الفرزدق فاقطعوا أيديهما والله غفور رحيم لا ينبغي أن يكون هكذا قيل انما قال والله عزيز حكيم فقال هكذا ينبغي أن يكون ثم أخذ نفسه بحفظ القرآن بعد ذلك وسمع رجلا ينشد قول لبيد هذا البيت

وجلا السيول على الطلول كأنها * زبر تجد متونها أقلامها

فسجد فقيل له ما هذا فقال موضع سجدة في الشعر اعرفه كما تعرفون مواضع السجود في القرآن وسمع راوية جرير ينشد قصيدته البائية فلما قال

بهابرص بأسفل اسكتيها * وضع يده على عنفقته وأنشد

كعنفقة الفرزدق حين شابا * فقال علمت انه يقول هكذا فان شيطاننا في الشعر واحد ومر يوما بقوم فدعوه للنزول فقال لماذا قالوا لنبيذ وجدي حنيذ وغناء لذيذ فقال وهل يأبى هذا الا ابن المراغة يعني جريرا ثم نزل واستسقى الحكم بن المنذر ذات يوم لبنا فأمر غلامه أن يجعل في القعب خمرا ويحلب عليه لبنا وسقيه فلما كرع جعل الخمر ينبع من تحت اللبن فشرب وقال بأبي أنت انك ممن تخفي الصدقات وتؤتيها الفقراء وقال ما أفحمني أحد الا نبطي من أهل تبرى قال لي أنت الفرزدق الشاعر قلت نعم قال ان هجوتني تموت زوجتي عيشونة قلت لا قال فتموت جارتي قلت لا قال فمن رجلي الى عنقي في رحم أمك قلت ويلك فلم تركت رأسك قال حتى أنظر ما تصنع وكان الفرزدق يقول لقد استراح النبطي من حيث تعب الكرام ومن محاسن شعره قوله

تصرم مني ود بكر بن وائل * وما خلت باقي ودها يتصرم
قوارص تأتيني وتحتقرونها * وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

(وقوله)

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول
بيت زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
أين الذين بهم تسامي دارم * امن الى سلفي طهية تجعل
أحلامنا تزن الجبال رزانة * وتخالنا جنا اذا ما نجهل
فادفع بكفك ان أردت بناءنا * ثهلان ذا الهضبات لا يتحلحل

اني ارتفعت عليك كل ثنية * وسموت فوق بني كليب من عل

(وقوله)

ومستمنح طاوي المصير كأنما * يساوره من شدة الجوع أولق
دعوت بحمراء الفروع كأنها * ذرى راية في جانب الجو تخفق
واني سفيه النار للمبتغي القرى * واني حليم الكلب للضيف يطرق
اذا مت فابكيني بما أنا أهله * فكل جميل قلت في يصدق
وكم قائل مات الفرزدق والندى * وقائلة مات الندى والفرزدق

كان الجاحظ يكثر التعجب والاستحسان لقوله سفيه النار وحليم الكلب
وقوله يرثي ابنيه

يذكرني ابني السما كان موهنا * اذا ارتفعا فوق النجوم العواتم
وقد يرزئ الاقوام قبلي بنيهم * واخوتهم فاقني حياء الكرائم
ومات أبي والمنذران كلاهما * وعمرو بن كلثوم شهاب الاراقم
وما ابناك الامن بني الناس فاعلم * فلم يرجع الموتى حنين المآتم

وقوله في الفائية التي أولها

عرفت باعشاش وما كدت تعرف * وأنكرت من حذواء ما كنت تعرف
اذا اغبر آفاق السماء وكشفت * بيوتا وراء الحي نكباء حريف
وأصبح مبيض الصقيع كأنه * على سروات النيب قطن مندف

هذا البيت يروى بالنيب والبيت والنبت وأفصح ذلك كله النيب

ترى جارنا فينا بخير وان جنا * فلا هو مما ينطف الجار ينطف
وكنا اذا نامت كليب عن القرى * الى الضيف نمشي بالعبيط ونلحف

ومنها أيضا وهو أحسن ما قيل في الفخر ويقال انه غصبه من جميل

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا
وانك اذ تسعى لتدرك شأونا * لأنت المعنى يا جرير المكلف

(وقوله)

لا خير في الحب لا ترجى نوافله * فاستمطروا من قريش كل منخدع
تخال فيه اذا خادعته بلها * عن ماله وهو وافي العقل والورع

وقوله يرثي جارية له حاملا

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى بطنه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا أنسأته ليالیا

أرباب البديع يستحسنون قوله وجفن سلاح الكناية عن الولد ويقولون انها ان كانت سوداء فانه أبدع فى التشبيه وقوله

وتقول كيف تميل مثلك فى الصبا * وعليك من سمة الحليم وقار
والشيب ينهض فى الشباب كأنه * صبح يصيح بجانبيه نهار

قوله يصيح يعنى يظهر يقال صاح الشجر بنفسه اذا طال كأنه ينادى على نفسه بالظهور

(وهلا عشيت ولم تغتر وما أشك انك تكون وافد البراجم)

فى النسخة عسيت بالسين المهملة وهو خطأ ولا يصح به المعنى يقال عسيت أن أفعل فلا يصح أن يقول قاربت أن تغتر والكلام يقتضى أنه قد اغتر وانما هى عشيت اى رفقت وعشيت الابل وعشيتها اذا أطعمتها عشيا وفى المثل عش ولا تغتر * وأما وافد البراجم فهو رجل من تميم والبراجم خمسة من أولاد حنظلة والعرب تضرب المثل بوافد البراجم وذلك أن الملك عمرو ابن هند أحرق تسعة وتسعين رجلا من بنى تميم لثار له عندهم وقد كان آلى أن يحرق منهم مائة فبينما هو يلتمس بقية المائة اذ مر رجل من البراجم يسمى عمارا قادم من سفر فاشتم رائحة القتار فظن أن الملك اتخذ طعاما فعدل اليه فقيل له ممن أنت قال من البراجم فألقى فى النار وقيل ان الشقى وافد البراجم ومن هنالك عيرت بنو تميم بحب الطعام وستأتى قصة عمرو ابن هند فى أصل تسميته محرقا وما السبب فى ذلك

(أو ترجع بصحيفة المتلمس)

(صحيفة المتلمس) مثل يضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع * والمتلمس هو جرير بن عبد المسيح أحد بنى صعصعة شاعر مجيد من شعراء الجاهلية وقد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو ابن هند أحد ملوك الحيرة فنزلا منه فى خاصته حتى نادماه فبينما طرفة يوما يشرب معه وفى يده جام من ذهب فيه شراب أشرفت أخت عمرو فرآها طرفة وقيل انما رآها فى الاناء فقال ألا

قوله الكناية الخ ليتأمل هذا مع قوله ان كانت وقول البيت وفى بطنه ومع تفرقة البيانيين بين الكناية والتشبيه (حمزه)

قصة وافد البراجم
القتار رائحة بخور العود ويطلق على رائحة اللحم المشوى والقدر وهو المراد هنا (حمزه)

ترجمة المتلمس

بأبي الظبي الذي تبرق شفاه ولولا الملك القاعد ألثمني فاه فسمعها عمرو فأضمرها عليه وأمسكها في نفسه ثم خرج عمرو يتصيد ومعه عبد عمرو بن بشر وكان طرفة هجاه فرمى عمرو حمارا وقال لعبد عمرو انزل فاذبحه فنزل اليه فعالجه فأعياه فقال عمرو قد عرفك طرفة حيث يقول فيك

ولا خير فيه غير أن له غنى * وأن له كشحا اذا قام أهضما

فقال له عبد عمرو وما هجاك به أشد قال وما هو قال قوله

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تخور

فهم بقتل طرفة وخاف من هجاء المتلمس له وأن يجتمع عليه بكر بن وائل متى قتلهما ظاهرا فقال لهما يوما أظنكما قد اشتقتما الى الاهل قالا نعم فكتب لهما كتابين الى عامل البحرين وقال اني كتبت لكما بصلة فاقبضاها من عامل البحرين فخرجا من عنده والكتابان في أيديهما فرأيا شيخا جالسا على ظهر الطريق منكشفا يقضي حاجته وهو مع ذلك يأكل ويتفلى فقال أحدهما لصاحبه هل رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقاله فقال ما ترى من عجبي أخرج خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا وان أعجب مني من يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فأوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام فقال له نعم ففض كتابه فقرأه فاذا فيه اذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حيا فأقبل على طرفة فقال والله لقد كتب لك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرؤه فقال كلا ما كان ليجترئ على قومي بمثل هذا وأنا أقدم عليهم فأكون أعز منه فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وقال

رميت بها لما رأيت مدادها * يجول به التيار في كل جدول

ثم قال يخاطب طرفة

أطريفة بن العبد انك حائن * أبساحة الملك الهمام تمرس

ألق الصحيفة لا أبالك انه * يخشى عليك من الحباء النقرس

ثم مضى طرفة بكتابه الى صاحب البحرين فقتله فلما سمع المتلمس ما جرى عليه قال

عصاني فما لاقى رشادا وانما * تبين من أمر الغوي عواقبه

الرغوث كصبور كل مرضعة والمراد هنا البقرة المرضعة كما يؤيده قوله تخور لأن الخوار صوت البقرة (جزء)

فاصبح

فأصبح محمولا على حالة الردى * يقي بجميع الحوف منه ترائبه
فان لاتجالها بعالوك فوقها * وكيف التوقي ظهر ما أنت راكبه
ثم لحق بالشام وهجا عمرا وبلغه أن عمرا يقول حرام عليه حب العراق أن يطعمهم منه حبة ولان وجدته لاقتلنه فقال

آليت حب العراق الدهر أطعمه * والحب يأكله فى القرية السوس
أغنيت شانى فأغنوا اليوم تيسكم * واستحمقوا فى مراس الحرب أو كيسوا

قال أبوحاتم قرأت هذه الابيات على الاصمعى فتصحفت على فقلت أغنيت شانى فأغنوا اليوم شاتكم فقال الاصمعى قل فأغنوا اليوم تيسكم * ومن جيد شعر المتلمس قوله من قصيدة

ألم تر أن المرء رهن منية * صريع لعافى الطير أو سوف يرمس
فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة * وموتا بها حرا وجلدك أملس

وقوله يصف البخل ويمدحه

لحفظ المال خير من بغاه * وضرب فى البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

(وقوله)

الى كل قوم سلم يرتقى به * وليس الينا فى السلاليم مطلع
ويهرب منا كل وحش ويتقى * الى وحشنا وحش الفلاة فيرتع

وقوله وهو أحسن ماورد فى المستنبحات

ومستنبح تستكشف الريح ثوبه * ليسقط عنه وهو بالثوب معصم
عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه * لينبح كلب أو ليوقظ نوم
فآوايه مستسمع الصوت للندى * له عند اتيان المهيبين مطعم
يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا * يكلمه من حبه وهو أعجم

(أوافعل بك مافعله عقيل بن علفة بالجهنى اذ جاءه)
(خاطبا فدهن استه بزيت وأدناه من قرية النمل)

هو عقيل بن علفة بن الحرث اليربوعى يكنى أبا العملس وأمه عمرة بنت الحرث بن عوف المرى وأمها بنت بدر بن حصن بن حذيفة شاعر من شعراء الدولة الاموية وكان أهوج جافيا شديد الغيرة والعجرفة والبذخ بنسبه وهو

قوله وموتا كذا فى الاصل وهو اما اسم انتصب على المصدرية أو أمر مؤكد بالخفيفة المنقلبة الفا اجراء للوصل مجرى الوقف (حمزه)

ترجمة عقيل بن علفة

من بيت شرف في قومه من كلا طرفيه وكان لا يرى أن له كفؤا وكانت قريش ترغب في مصاهرته وتزوج اليه من حلفائها وأشرافها وخطب اليه عبد الملك بن مروان بعض بناته لبعض ولده فأطرق ساعة ثم قال ان كان ولا بد فجنبني هجناءك فضحك عبد الملك وعجب من كبر نفسه على ضائقته وشدة عيشه بالبادية وتزوج يزيد بن عبد الملك بعض بناته ودخل على عثمان بن حيان وهو أمير المدينة فقال له عثمان زوجني بعض بناتك فقال أبكرة من ابلي تعني فقال له عثمان أمجنون أنت قال أي شيء قلت لي قال قلت لك زوجني ابنتك فقال ان كنت تريد بكرة من ابلي فنعم فأمر به فوجئت عنقه فخرج وهو يقول

يحي الله دهرا دعدع المال كله * وسوّد أبناء الاماء الفوارك

وكان له جار جهني فخطب اليه ابنته فغضب عقيل وأخذ الجهني فكتفه ودهن استه بشحم أو بزيت وأدناه من قرية النمل فأكل خصيتيه حتى ورم جسده ثم حله وقال أتخطب الي عبد الملك بن مروان وأرده وتجترئ أنت على أن تخطب الي * ومما حكي عنه أنه خرج هو وابناه جثامة وعملس وأختهما المسماة بالجوراء حتى أتوا ابنة له ناكحا في بني مروان بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وطالما * على عرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال أجز يا جثامة فقال

وأصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال أجز يا عملس فقال

اذا علم غادرنه بتنوفة * تذارعن بالايدي لآخر طاسم

ثم قال يا جوراء أجيزي فقالت

كأن الكرى أسقاهم صرخدية * تدب دبيبا في المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة ثم شد عليها بالسيف ليقتلها فقال أخوها ما ذنبها انما أجازت شعرا فشد عليه فخدشه أحدهم بسهم فوقع يتمعك في دمه ويقول

ان بني ضرجوني بالدم * من يلق أبطال الرجال يكلم

شنشنة أعرفها من أخزم

الشنشنة السجية وأخزم فحل منجب لرجل من العرب وقيل أخزم جد حاتم الطائي ثم توجه ولده الى الطريق فلما مرّ وا ببني القين قالوا لهم هل لكم في جزور انكسر قالوا نعم قالوا الزموا أثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى عقيل فاحتملوه وعالجوه الى أن برئ ولحق بهم وقد تروى الحكاية على غير هذا الوجه وان المخدوش بعض ولده والذي عليه أكثر الرواة هذه * وروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عاتب رجلا من قريش أمه أخت عقيل بن علفة فقال له قبحك الله لقد أشبهت خالك في الجفاء فبلغت عقيلا فرحل من البادية حتى دخل على عمر فقال له أما وجدت لابن عمك شيأ تعيره به الا خؤلتي قبح الله شركما خالا فقال عمر انك لاعرابي جاف أما لو كنت تقدمت اليك لادبتك والله ما أراك تقرأ من كتاب الله شيأ قال بلى اني لاقرأ ثم قرأ انا بعثنا نوحا فقال له عمر ألم أقل انك لم تقرأ فقال ألم أقرأ فقال ان الله تعالى قال انا أرسلنا نوحا فقال عقيل

خذوا بطن هرشى أو قفاها فانه * كلا جانبي هرشى لهنّ طريق

فجعل القوم يضحكون من عجرفته ويعجبون منه وقدم عقيل المدينة فدخل المسجد وعليه خفان غليظان فجعل يضرب برجليه فضحكوا منه فقال ما يضحككم فقال له يحيى بن الحكم وكانت ابنة عقيل عنده وكان أميرا على المدينة انهم يضحكون من خفيك وضربك برجليك وبخفائك فقال لا ولكنهم يضحكون من امارتك فانها أعجب من خفي وحكى أن يحيى بن الحكم حين خطب ابنة عقيل بعث اليها جارية من عنده لتنظر اليها فغمزت الجارية عضدها فرفعت يدها فدقت أنف الجارية فرجعت الى يحيى وقالت بعثتني الى أعرابية مجنونة فصنعت بي ما ترى فلما اتصلت بيحيى قال لها ما لك مع الخادم فقالت أردت أن يكون نظرك الى قبل كل ناظر فان كان حسنا كنت أوّل من تراه وان كان قبيحا كنت أولى من واراه وبهاتين السجعتين يستشهد في التجنيس لقولها أوّل وأولى ورآه وواراه ومن جيد شعر عقيل يرثي ولده علفة يقول

لعمري لقد جاءت قوافل أخبرت * بأمر من الدنيا على ثقيل

لتسع المنايا حيث شاءت فانها * محللة بعد الفتى ابن عقيل

فتى كان مولاه يحل بنجوة * فحل الموالى بعده بمسيل

كان المنايا تنتقى من خيارنا * لها ثرة أو تهتدى بدليل

وقوله أيضا يحرض قومه وذلك بسبب جارلهم

أماهلكت فلم آتكم * فأبلغ أماثل سهم رسولا

أذل الحياة وذل الممات * وكلا أراه وخيما وبيلا

فان لم يكن غير احداهما * فسيروا الى الموت سيرا جميلا

ولا تقعدوا وبكم منة * كفى بالحوادث للمرء غولا

وقوله وقد خطب اليه رجل كثير المال يغمز فى نسبه فامتنع

لعمرى لئن زوجت من أجل ماله * هجينا لقد حبت الى الدراهم

أبى لى أن أرضى الدنية اننى * أمذعنا لم تخنه الشكائم

(ومتى كثر تلاقينا واتصل ترائينا فيدعونى لهاك مادعا ابنة الخس الى عبدها من طول السواد وقرب الوساد)

(ابنة الخس) هذه هى هند بنت الخس والخص والخسف الايادى حكى ذلك الشريف الرضى قديمة فى الجاهلية أدركت القلمس أحد حكام العرب الذى يقال انه أول من وصل الوصيلة وسيب السائبة وتحاكمت هى وأختها جمعة اليه فى كلام لهما ومدحته بأبيات حسنة منها

اذا الله جازى محسنا بوفائه * فجازاك عنى يا قلمس بالكرم

وبعض الرواة يزعم انها أقامت فى زمن النعمان عند هند ابنته ويستشهد على ذلك بقول الفرزدق

وفيت بعهد كان منك تكرما * كما لابنة الخس الايادى وفت هند

وليس الامر كذلك وانما مراد الفرزدق أن هندا هى التى وفت لا أختها جمعة ابنة الخس لانها هند ابنة النعمان وكانت ابنة الخس قد زنت بعبد لها فقيل لها ما حملك على الزنا فقالت قرب الوساد وطول السواد والسواد السرار يقال ساودته اذا ساررته وفى الحديث السواد من السعر والحق بعض الرواة فى قولها وحب السفاد لان أباها كان قد منعها من الزواج * ولها اسجاع كثيرة وشعر قليل وكانت تحاجى الرجال الى أن مر بها رجل فسألته المحاجاة

قوله اما الخ فيه الخزم كما لا يخفى

الكلام على ابنة الخس

قوله والخص والخسف هكذا فى النسخ وكلاهما لم أقف عليه اسما لهند المذكورة لا فى القاموس ولا فى الصحاح وانما فيهما الخس فقط كما فى المتن فليحرر اه مصححه

فقال لها كاد فقالت كاد العروس يكون أميرا فقال كاد فقالت كاد المتنعل يكون راكبا فقال كاد فقالت كاد البخيل يكون كلبا وانصرف فقالت له أحاجيك فقال قولي فقالت عجبت فقال عجبت للسبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها فقالت عجبت فقال عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها فقالت عجبت فقال عجبت لحفيرة بين فخذيك لا يملأ حفرها ولا يدرك قعرها فخجلت وتركت المحاجاة * ومن أسجاعها قيل لها أي الخيل أحب اليك قالت ذو الميعة الصنيع السليط التليع الأيد الضليع المهب السريع فقيل لها أي الغيوث أحب اليك قالت ذو الهيدب المنبعق الاضخم المؤتلق الصخب المنبثق فقيل لها أي الايور أحب اليك فقالت الذي اذا حفر حفر واذا أخطأ قشر واذا أخرج عقر وقيل لها ما مائة من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل فما مائة من الضأن قالت قرية لا حمى لها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل فما مائة من الخيل قالت طغى من كانت له ولا يوجد قيل فما مائة من الحمر قالت عازبة الليل وخزي المجلس لا ابن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها أدلى وان ترك ولى وقيل لها من أعظم الناس في عينك قالت من كانت لي اليه حاجة ومن شعرها

أشم كنصل السيف جعد مرجل * شغفت به لو كان شيء مدانيا
وأقسم لو خيرت بين لقائه * وبين أبي لاخترت أن لا أباليا

(وهل فقدت الاراقم فأنكح في جنب)

(الاراقم) حي من تغلب (وجنب) حي من اليمن وهذا اللفظ من جملة شعر المهلهل التغلبي وقد تقدم ذكره كان قد هرب حين طالت عليه الحروب من أجل حرب البسوس فنزل في طريقه على حي من اليمن فخطبوا اليه ابنته فأبى فساقوا المهر وهو جلود من أدم وغصبوه على الزواج فقال

أعزز على تغلب بما لقيت * أخت بني الاكرمين من جشم
أنكحها فقدها الاراقم من * جنب وكان الحباء من أدم
لو بأبانين جاء خاطبها * رمل ما أنف خاطب بدم

(أو عضلني همام بن مرة فأقول زوج من عود خير من قعود)

(عضل) الولي المرأة اذا منعها من النكاح والعضل المنع الشديد مأخوذ من عضل اللحم (وزوج من عود خير من قعود) قول احدى بنات همام بن مرة ابن ثعلبة كان له أربع بنات وكن يخطبن اليه فيعرض ذلك عليهن فيستحيين فلا يزوجهن وكانت أمهن تقول له زوجهن فلا يفعل فخرج ليلة الى متحدث لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فقلن تعالين نتمنى ولنصدق فقالت الكبرى

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى * حديث شباب طيب الريح والعطر
طبيب بادواء النساء كأنه * خليفة جان لا يبيت على وتر

فقلن لها أنت تحبين رجلا ليس من قومك ثم قالت الثانية وهي الوسطى

الا هل أراها مرة وضجيعها * أشم كنصل السيف غير مهند
لصوق بأكباد النساء ورهطه * اذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقالت الثالثة

ألا ليته يملى الجفان بديهة * له جفنة يسقى بها النيب والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة * تشين فلا الفاني ولا الضرع الغمر

فقلن لها أنت تحبين رجلا شريفا قال وقلن للرابعة وهي الصغرى تمني فقالت زوج من عود خير من قعود فلما سمع أبوهن ذلك زوجهن فمكثن برهة ثم اجتمعن عنده فقالت الكبرى يا أبت سل عنا قال يا بنية ما مالكم قالت الابل قال كيف تجدونها قالت خير مال نأكل لحمانها مزعا ونشرب ألبانها جرعا وتحملنا وضيفنا معا قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم خليله ويعطي الوسيله قال مال عميم وزوج كريم ثم قال للثانية ما مالكم قالت البقر قال كيف تجدونها قالت خير مال تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال حظيت ورضيت ثم قال للثالثة ما مالكم قالت المعز قال فكيف تجدونها قالت لا بأس بها نولدها فطما ونسلخها ادما لم نبغ بها نعما فقال جدوى مغنية قال فكيف تجدين زوجك قالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر ثم قال للرابعة يا بنية ما مالكم قالت الضأن قال فكيف تجدونها قالت شر مال جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن

وأم مغويتهن يتبعن قال فكيف تجدين زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال أشبه امرؤ بعض بزه وبعض الرواة يعزي هذه الحكاية الى ذي الاصبع العدواني وبناته

(ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت عن هذه الحطة ولا رضيت بهذه الخطة)

الحط انزال الشيء من العلو (والحطة) الحدرة من الارض وهو المكان المنخفض (والخطة) الامر والقصد قال تأبط شرا

هما خطتا اما اسار ومنة * واما دم والقتل بالحر أجدر

أراد خطتان فحذف النون استخفافا والمعنى أنه لو عضلني همام وفقدت الاراقم وكنت كابنة الخس لما رضيت لنفسي بك ولرفعت قدري عنك ولست أعبأ بكلامك ولا أستمع لخطابك

(فالنار ولا العار والمنية ولا الدنية والحرة تجوع ولا تأكل بثدييها)

هذه أمثال تضرب لمن يختار التلف على قبح الاحدوثة وجاء قولهم النار ولا العار والمنية ولا الدنية بالنصب أي أختار النار والمنية وبالرفع أي النار والمنية أحب الي وقال العسكري في قولهم الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها يعنون لا تكون الحرة ظئرا القوم على جعل تاخذه منهم فتلحقها عيب وكان أهل بيت زرارة حضان الملوك وفي ذلك يقول حاجب * حضنا ابن ماء المزن وابني محرق فعابه الناس بذلك وقالوا ما رأينا من يفتخر بالمعايب غيره وذلك أن الظئر خادم والخدمة تضع ولا ترفع والمثل للحرث بن سليل الازدي أتى علقمة الطائي يخطب ابنته ربا فقال لامها أبيني عمن في نفسها فقالت لها يا بنية أي الرجال أحب اليك الكهل الميساح أم الفتى الطماح قالت بل الفتى الوضاح قالت ان الشيخ يميرك والفتى يغيرك قالت يا أماه أخشى من الشيخ أن يبلي شبابي ويشمت اترابي فلم تزل أمها بها حتى زوجتها من الحرث فرحل بها الى قومه فبينا هو جالس بفنائه وهي الى جانبه اذ أقبل شباب من بني أسد يعتلجون فتنفست صعداء فقال لها ما لك فقالت ما لي وللشيوخ الناهضين كالفروخ فقال ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها أما وأبيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها الحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك

قال العسكري وليس هذا الحديث موافقا للمثل وقال أبو عبيد أصله ولا تأكل تديبها أي من الحسرة وليس هذا بموافق أيضا ولكنه حكى على ماقيل والله تعالى أعلم

(فكيف وفى أبناء قومي منكح * وفتيان هزان الطوال الغرانقه)

يعني كيف أرضى بهذا وفى قومي كثير من أكفائى (وهزان) اسم قبيلة (والغرانقة) الشباب وهذا البيت للاعشى الاكبر وهو أعشى بنى قيس ابن جندل من فحول شعراء الجاهلية المتقدمين وكان يقال أشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وكان بعض الادباء يقول الاعشى أشعر الاربعة فقيل له فأين الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأ القيس بيده لواء الشعراء فقال بهذا الخبر صح للاعشى التقدم وذلك انه مامن حامل لواء الاعلى رأس أمير فامرؤ القيس حامل اللواء والاعشى الامير وكان الاصمعي يقول مامدح الاعشى أحدا الا رفعه ولا هجاه الا وضعه فمن ذلك انه مر باليمامة على المحلق بن جشم الكلابي وكان خامل الذكر وله بنات لا يخطبن رغبة عنه فنزل عنده فنحر له ناقة لم يكن عنده غيرها وسقاه خمرا فلما أصبح قال له الاعشى ألك حاجة قال تشيد ذكري فلعلي أشهر فتخطب بناتى فنهض الاعشى الى عكاظ وأنشد قصيدته القافية التى يمدح بها المحلق ويقول فيها

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار باليفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق

فما أتت على المحلق سنة حتى زوج البنات على مشين ألوف ومن ذلك أنه امتدح الاسود العنسي فأعطاه ذهبا وحللا فلما مر ببلاد عامر خافهم على مامعه فأتى علقمة بن علاثة فقال أجرني فقال أجرتك قال من الانس والجن قال نعم قال ومن الموت قال لا فأتى عامر بن الطفيل فقال أجرني فقال أجرتك قال من الانس والجن والموت قال نعم قال كيف تجيرني من الموت قال ان مت فى جواري بعثت الى أهلك بالدية قال الآن علمت انك أجرتني ثم مدح عامرا وهجا علقمة فكان علقمة يبكي اذا ذكر قوله

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ترجمة الاعشى الاكبر

ويدعو عليه ان كان كاذبا ويقول أنحن نفعل بجاراتنا هذا ومازال منكسر البال من هذا البيت وحكى ابن خلاد قال كان الاعشى كثير التطواف فأصبح ليلة بأبيات علقمة بن علاثة فلما نظر قائده الى قباب الادم قال يا سوء صباحاه هذه والله أبيات علقمة فلما مثل بين يديه قال له أتدرى لم أظفرنى الله بك بغير دية ولا عقل قال لا قال لتقولك على الباطل من غير جرم قال الاعشى لا ولكن ليبلو الله قدر حلمك فى فأطرق علقمة فاندفع الاعشى يقول

أعلقم قد صيرتنى الامور * اليك وما كان لى منكص

فهب لى نفسى فدتك النفوس * ولازلت تنمى ولا تنقص

فقال قد فعلت والله لو قلت فى ماقلت فى ابن عمى عامر لاغنيتك ولو قلت فى عامر ماقلت فى ما أذاقك برد الحياة (وحكى الاصمعى) قال وفد الاعشى على كسرى فأنشده من شعره فسأله عن معنى قوله

أرقت وماهذا السهاد المؤرق * ومابى من سقم ومابى تعشق

فقيل انه سهر وما به عشق ولا مرض فقال كسرى هذا لص فأخرجوه (ورحل) الاعشى آخر عمره الى النبى صلى الله عليه وسلم طالبا للاسلام وقد مدحه بقصيدته التى يقول فيها

فآليت لا أرثى لها من كلالة * ولا من وجى حتى تلاقى محمدا

متى ماتناخى عند باب ابن هاشم * تراحى وتلقى من فواضله ندى

نبى يرى مالاترون وذكره * أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا

فبلغ قريشا خبره فقالوا هذا صناجة العرب ما مدح أحدا الا ارتفع فرصدوه على طريقه فقالوا له يا أبا نصير أين أردت قال صاحبكم لاسلم قالوا انه ينهى من خلال كلها لك موافق قال وماهى قالوا الزنا قال لقد تركنى الزنا وما تركته قالوا والقمار قال لعلى أصيب منه عوضا قالوا والخمر قال أوه أرجع الى صبابة لى فى المهراس فأشربها ثم أرجع فعاد الى رحله فلبث أياما ثم رمى به بعيره فقتله وزعم بعض الرواة أن الذى أمره بالرجوع أبو جهل وهو غلط فان الخمر لم تحرم الا بالمدينة بعد ان مضت بدر والصحيح أن القائل عامر بن الطفيل وأما قوله * أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا * فقال المعرى حكى الفراء وحده أغار فى معنى غار اذا أتى الغور واذا صح هذا البيت عن الاعشى فلم

قوله ابن خلاد فى بعض النسخ ابن دارب اه

يرد بالاغارة الاضد الانجاد وروى الاصمعى روايتين احداهما أنّ أغار في معنى عدا عدوا شديدا والاخرى انه كان يقدّم ويؤخر فيقول لعمرى أغار في البلاد وأنجد فيأتي به على زحاف القبض وكان ابن مسعدة يقول غار لعمرى فيأتي به على استعمال الخرم في النصف الثانى ويروى أنّ الاعشى كان يؤمن بالبعث والحساب ولذلك كان يقول

فما معتل بي على هيكل * بناه وصلب فيه وخارا
بأعظم منك يقى فى الحساب * اذا النسمات نفضن الغبارا

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول كان لبيد مجبرا وكان الاعشى عدليا وأنشد للبيد

من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال ومن شاء أضل

وأنشد للاعشى

استأثر الله بالوفاء وبالـ * ـعدل وولى الملامة الرجلا

ومن محاسن شعره قوله في القصيدة النبوية

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزوّدا
ندمت على أن لا تكون كمثله * فترصد للامر الذى كان أرصدا

وقوله يمدح اياس بن قبيصة

ولو ان عز الناس في رأس صخرة * ململمة تعيي الارح المخدّما
لاعطاه رب الناس مفتاح بابها * ولو لم يكن باب لاعطاه سلما

وقوله من قصيدة يمدح بها الاسود بن المنذر

رب خرق من دونها يخرق السفـ * ـر وميل يفضي الى أميال
وقليب أجن كأن من الريـ * ـش بأرجائه سقوط نصال
لا تشكي الى وانتجي الاسـ * ـود أهل الندى وأهل الفعال
أريحى صلت يظل له القو * م ركودا قيامهم للهلال
فرع نبع يهتز في غصن المجـ * ـد غزير الندى عظيم الجمال
عندك الحزم والتقى واسا الصد * ع وحمل لمغرم الاثقال
وهوان النفس العزيزة للذ * كر اذا ما التقت صدور العوالى
فاذا من عصاك أصبح محرو * ما وكعب الذى يطيعك عال

وقوله يمدح المحلق

اذا حاجة ولتك لا تستطيعها * فخذ طرفا من غيرها حين تسبق
فذلك أدنى أن تنال جسيمها * وللقصد أبقى فى الامور وأرفق
أبا مالك سار الذى قد صنعتم * وأنجد أقوام لذاك وأعرقوا
وان عتاق العيس سوف تزوركم * ثناء على اعجازهن معلق

يعنى ان الحداة تحدو الابل بثناء الممدوحين فكانه معلق على أعجازها ومنها أيضا

وكم دون ليلى من عدوّ وبلدة * وسهب به مستوضح الآل يبرق
وان امرأ أسرى اليك ودونه * سهوب وموماة وبيداء سملق
لمحقوقة أن تستجيبي لصوته * وأن تعلمى أن المعان موفق

يعنى ان الموفق معان وهذا الغالب المستعمل فى كلام العرب مثل قول الآخر أو بلغت سوآتهم هجر وعلى ذلك قد فسر بعض العلماء قوله تعالى خلق الانسان من عجل أى خلق العجل من الانسان ومنها

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق
رضيعى لبان ثدى أم تحالفا * بأسحم داج عوض لا يتفرق

يعنى ان المحلق والندى حليفان لا يتفرقان كانهما تحالفا على ذلك عند النار وكذا كانت العرب من عادتها تحلف عند النار وفى قوله أسحم داج سبعة أقوال قيل هو الرماد كانوا يحلفون به وقيل الليل وقيل الدم فانهم كانوا يغمسون أيديهم فيه ويحلفون وقيل حلمة الثدى وقيل دماء الذبائح للاصنام وقيل الرحم وقوله رضيعى لبان ثدى أم واحدة مبالغة فى الوصف بالكرم وعوض اسم صنم لبكر بن وائل وقيل من أسماء الدهر وأصله أن يكون ظرفا تقول لا أفعله عوض العائضين ودهر الداهرين ثم كبروه حتى أحلوه محل ما يقسم به ومن جعل عوض اسم صنم كأنه قال عوض قسمنا الذى نقسم به ومنها

ترى الجود يجرى ظاهرا فوق وجهه * كما زان ضوء الهندوانى رونق
نفى الذم عن آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق

يروى جابية الشيخ العراقى يعنى ان العرقى الذى يتعود الحضر ويملك

البادية يكون حريصا على مائه لانه لا يعرف مواقع المياه فتكون جابيته التى هى من أوانى الماء ملآنة أبدا و يروى السيح بالسين والحاء المهملتين يعنى الماء السائح من العراق ومنها

كذلك فافعل ماحييت اذا شتوا * وأقدم اذا ما أعين الناس تفرق

وأما الشعر الذى ذكر بسببه فيحكى انه تزوج امرأة من عنزة فلم يرضها فطلقها وقال بديهة

أيا جارتى بينى فانك طالقه * كذاك أمور الناس غاد وطارقه
و بينى حصان الفرج غير ذميمة * وموموقة فينا كذاك ووامقه
وبينى فان البين خير من العصى * والا ترى بى ووق رأسك بارقه
وذوقى فتى قوم فانى ذائق * فتاة أناس مثل ما أنت ذائقه
وكيف وفى أبناء قومك منكح * وفتيان هزان الطوال الغرانقه

وبهذه الابيات استدل قوم على ان الطلاق فى الجاهلية كان ثلاثا لانه كرر قول بينى فى ثلاثة أبيات وتمثل ابن زيدون فى هذه الرسالة بالبيت الاخير واستعمل فيه نوع الاهتدام وهو تغيير قومك فجعلها قومى

(ما كنت لاتخطى المسك الى الرماد ولا أمتطى الثور بعد الجواد)

يعنى ما كنت لأدع الفتيان من قومى لأرغب اليك وأنت بالنسبة اليهم كالرماد الى المسك ولعله أشار بذلك الى رسالة لابى عثمان الجاحظ فى ذكر الرماد والمسك وأما قوله أمتطى الثور بعد الجواد فهو قول المتنبى فى قصيدة من قصائده يقول فيها

وما الاقى بلد بعدكم * وما اعتضت من رب نعماى رب
ومن ركب الثور بعد الجوا * د أنكر أظلافه والعبب

(فانما يتيمم من لم يجد ماء و يرعى الهشيم من عدم الجميم)

(ويركب الصعب من لاذلول له)

الهشيم من النبات اليابس المتكسر والجميم النبت المقتبل الذى طال ولم يبلغ النهاية والصعب ما لا يطيع والذلول ضده ومثلت بهذا القول عدم حاجتها اليه واستغنائها عنه بمن هو خير منه

(ولعلك اغاغرك من علمت صبوتى اليه وشهدت مساعفتى له من أقمار العصر)

(وريحان المصر الذين هـم الكواكب علوهمم والرياض طيب شيم)
العصر الدهر والمصر كل بلد ممصور أي محدود والمراد بالاقمار هنا والريحان وصف قوم بحسن الوجوه والاخلاق ومرادها بهذه الصفات التعريض بذكر ابن زيدون وأمثاله ممن تحبهم ونكاية المكتوب اليه بمدحهم ومدحه بهذه الالفاظ والتهكم عليه

(من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري)
يعني هؤلاء الموصوفين وهذا البيت من جملة أبيات منسوبة لرجل من العرب يسمى العرندس ويقال انه أحد بني بكر بن كلاب يمدح بها بني بدر الغنويين وكان أبو عبيدة اذا أنشدوها يقول هذا والله محال كلابي يمدح غنويا يعني عداوة الحيين وهي هذه (ذكر العرندس)

هينون لينون ايسار ذوو كرم * سوّاس مكرمة أبناء ايسار
ان يسألوا الخير أعطوه وان صبروا * في الجهد أدرك منهم طيب أخبار
وان تودّدتهم لانوا وان شهموا * كشفت أذمار شر أي أذمار
فيهم ومنهم يعدّ المجد متلدا * ولا يعد ثنا خزي ولا عار
لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا * ولا يمارون ان ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسري بها الساري

(نحن قدح ليس منها ما أنت وهم واني تقع منهم)
قوله نحن قدح مثل يضرب لمن يتشبه بقوم ليس منهم ويتمدح بما ليس فيه ويقال حن قدحا على التمييز وقدح على انه الفاعل والقدح أحد قداح الميسر وهي السهام التي توضع في خريطة ويقترع بها فاذا كان أحد القداح من غير جوهر اخواته ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها فعرف به انه ليس من جملة القداح وتمثل به عمر رضي الله عنه حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أبي عمرو بن أمية يوم بدر فقال أبو عمرو اقتل من بين قريش صبرا فقال عمر رضي الله عنه حن قدح ليس منها يعني انك لست من قريش ويروى ان أبا عمرو كان عبدا وكان أمية قد عمي وكان يقوده فتبناه قلت كذا روى

(وهل أنت الا واو عمرو فيهم وكالوشيظة في العظم بينهم)

يعني انك مستلحق بهم ولست منهم كواو عمرو الملحقة بلفظه وليست منه وأول من أراد هذا المعنى أبو نواس في أشجع السلمي

أيها المدعي سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت من سليمى كواو * ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

ورأى انسان في النوم كأنه يكتب على ظفره واوفقص رؤياه على معبر فقال رائي هذا المنام دعي في نسبه وأنشد هذا الشعر من قول أبي فراس وكالوشيظة وهي قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم ومنه يقال فلان وشيظة في قومه أي هو حشو فيهم وتمثل به الحسن بن علي صلوات الله عليهما فقال لعمرو بن العاص وقد تلقاه بكلام كرهه أليس من وهن الدين واماتة السنة أن يكون معاوية رئيسا وهو الطليق بن الطليق ويكون مثلك لي خصما وأنت شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وغلت في قريش وانما انت منها كالوشيظة في العظم

(وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجافيت عن بعض قوتك وعطرت أردانك)
(وجررت هميانك واختلت في مشيتك وحذفت فضول لحيتك)

يعني لازمت منزلك وأظهرت الغنى والقرى بما تستفضله من قوتك وعطرت أكمام ثيابك وجررت هميانك أو سروالك وما أشبه ذلك قال الشاعر

يشد هميانه على عدم * وذاك من حمقه ومن تيهه

والهميان غير عربي واختلت أي أظهرت الخيلاء والكبر وقصصت ما استطال من لحيتك معتمدا على الوضاءة والنظافة

(واصلحت شاربك ومططت حاجبك ورققت خط عذارك واستأنفت عقد ازارك رجاء الاكتنان فيهم وطمعا في الاعتداد منهم فظننت عجزا)

المط المد كأنه اذا تخايل مدهما والازار الطيلسان وما أشبهه والمعنى انك ان كنت تصنع هذه الاشياء لتعد من هؤلاء القوم وتكتن بهم والاكتنان ستر الشيء بثوب أو غيره فقد خبت وظننت ظنا عاجزا وهذا اللفظ منظوم من قول الخنساء حيث تقول

ومن ظن ممن يلاقي الحروب * بان لا يصاب فقد ظن عجزا

(ذكر الخنساء) واسم الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمي كانت من شواعر العرب

المعترف لمن بالتقدم حكى الاصمعي قال كان النابغة الجعدي يجلس في الموسم بعكاظ وتحاكم اليه الشعراء فدخلت اليه الخنساء فأنشدته من قولها في أخيها

وان صخراً لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

فقال أنت أشعر من كل ذات ثديين فقالت ومن كل ذي خصيتين وقال بشار لم تقل امرأة شعرا قط الا تبين الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى وأكثر شعرها في مراثي أخويها معاوية وصخر وأدركت الخنساء الاسلام وأسلمت حكى ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نظر اليها وفي وجهها ندوب فقال ما هذا يا خنساء فقالت من طول البكاء على أخوي قال لها أخواك في النار قالت ذاك أطول لحزني اني كنت أبكي لهما من الثار وأنا اليوم أبكي لهما من النار ورأت عائشة رضي الله عنها على جسد الخنساء صدارا من شعر وهو ثوب صغير فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قالت لم أعلم بنهيه وله سبب فقالت وما هو قالت زوجني أبي رجلا متلافا لماله فأسرع فيه حتى نفد فقال لي الى أين تذهبين يا خنساء فقلت الى أخي صخر فلقيناه فقسم ماله بيننا شطرين ثم خيرنا فقالت زوجته أما كفاك أن تقسم مالك حتى تخيرهم فقال

والله لا أمنحها شرارها * وهي حصان قد كفتني عارها
ولو أموت مزقت خمارها * وجعلت من شعر صدارها

فجعلت هذا الصدار تصديقا لظنه فلا أنزعه حتى أموت وحدث علقمة بن جرير قال استأذن الجماعة على معاوية وكنت فيهم فلما دخلنا عليه أجلسنا وأكلنا ثم قال يا علقمة هل عندك طريفة تحدثنا بها قلت نعم أقبلت قبل مخرجي اليك أسوق شارفا لي أريد نحرها عند الحي فأدركني الليل بين أبيات بني الشريد فاذا عمرة ابنة مرداس عروسا وأمها الخنساء بنت عمرو فقلت لهم انحروا هذه الجزور واستعينوا بها وجلست معهم فلما هيئت أذن لنا فدخلنا فاذا هي جارية وضيئة يعني عمرة واذا أمها الخنساء جالسة ملتفة بكساء أحمر وقد هرمت واذا هي تلحظ الجارية لحظا شديدا فقال القوم بالله يا عمرة الا تحرشت بها فانها الآن تعرف بعض ما أنت فيه فقامت الجارية

تريد شيأ فوطئت على قدمها وطأة أوجعتها فقالت وهي مغيظة حسن اليك ياحقام والله لكأنما تطئين أمة ورهاء أنا والله كنت أكرم منك عرسا وأطيب ورسا وذلك زمان اذكنت فتاة أعجب الفتيان لا أذيب الشحم ولا أرعى البهم كالمهرة الصنيع لا مضاعة ولا عند مضيع فعجب القوم من غيظها من ابنتها فضحك معاوية حتى استلقى وماتت الخنساء في زمنه بالبادية ومن محاسن شعرها قولها في رثاء أخيها

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل * دراك ضيم وطلاب بأوتار
قد كنت تحمل قلبا غير مؤتشب * مركبا في نصاب غير خوار
فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة * وما أضاءت نجوم الليل للساري
شدوا المآزر حتى يستقاد لكم * وشمروا انها أيام تشمار
وابكوا فتى الحي لاقته منيته * وكل حي الى وقت ومقدار

وقولها من قصيدة

فأقسمت آسى على هالك * وأسأل نائحة مالها
أبعد ابن عمرو ان آل الشريـ * ـد حلت به الارض أثقالها

قولها حلت به الارض أثقالها يحتمل وجهين أحدهما أن السيد الشجاع ثقيل على الارض لسودده وسطوته فاذا مات حل بموته ثقل عنها والثاني أن الارض حلت بأمواتها من الحلية وسميت الموتى ثقلا للارض تشبيها للحمل والحمل يسمى ثقلا وفي قوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها قال بعض المفسرين أي موتاها وقال بعضهم كنوزها وقولها

لعمر أبيك لنعم الفتى * تحش به الحرب أجزالها
وخيل تكدس مشي الوعو * ل نازلت بالسيف أبطالها
لدى مارق بينها ضيق * تجر المنية أذيالها
تهين النفوس وهون النفو * س يوم الكريهة أبقى لها
ومحصنة من بنات الملو * ك تعتعت بالليل خلخالها
وقافية مثل حد السنا * ن تبقى ويهلك من قالها
نطقت ابن عمرو فأوضحتها * ولم تنطق الناس أمثالها
فان تك مرة أودت به * فقد كان يكثر تقيالها

وقولها أيضا

وان صخرا لمولانا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار
مثل الرديني لم تدنس شبيبته * كأنه تحت طي البرد أسوار

وقولها أيضا

فما بلغت كف امرىء متناولا * من المجد الا والذى نلت أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة * وان أطنبوا الا الذى فيك أفضل
أخوا الجود معروف له الفضل والندا * حليفان ما دامت تعار و يذبل

وقولها تمدح أخاها وأباها

جارى أباه فاقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر
حتى اذا بدت القلوب وقد * نزت هناك العذر بالقدر
برقت صحيفة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى ان يساويه * لولا جلال السن والكبر
وهما كأنهما وقد برزا * صقران قد حطا الى وكر

يعنى انه انما افرج له عن السبق مع قدرته على المساواة معرفة بحقه وتسليما لكبره وسنه وقيل لابى عبيدان هذه الابيات ليست فى مجموع شعر الخنساء فقال العامة أسقط من ان يجاد عليها بمثل هذا ومن الشعر الذى ذكرت بسببه قولها هذه الابيات

تعرقنى الدهر نهسا وحزا * وأوجعنى الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالى فبادوا معا * فأصبح قلبى بهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقى * اذ الناس فى ذاك من عز بزا
وخيل تكدس بالدارعين * وتحت العجاجة يجمزن جمزا
ببيض الصفاح وسمر الرماح * فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
جززنا نواصى فرسانها * وكانوا يظنون أن لا تجزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

(وأخطأت استك الحفرة)

هذا مثل يضرب لمن يطلب أمرا فيخطئه ولا يناله حكى أن المختار بن أبى

عبيد قال وهو بالكوفة والله لأدخلن البصرة ولأرمي دونها بكتاب ثم لأملكن الهند والسند والبند أراد بالبند العلم أنا والله صاحب الخضراء والبيضاء والمسجد الذي ينبع منه الماء فلما بلغ هذا الحجاج بن يوسف قال أخطأت است ابن أبي عبيد الحفرة أنا والله صاحب ذلك كان الحجاج يتمثل بذلك

(والله لو كسالك محرق البردين)

(ذكر محرق)

(محرق) هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وهو عمرو بن هند وكان يعرف بأمه هند بنت الحرث بن حجر آكل المرار الكندي وكان يقال لعمرو مضرط الحجارة لشدة بأسه وسمي محرقا لقصة استوفى أبو الفرج شرحها في كتاب الاغاني فقال كان قد عاقد حي طي على أن لا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ثم انه غزا اليمامة ورجع مغتبطا ومر بطي فقال له زرارة بن عدس التميمي وكان من خواصه أبيت اللعن أصب من هذا الحي شيأ فقال ويلك أن لهم عقدا قال وان كان لهم فلم يزل به حتى أصاب نسوة واذوادا فقال في ذلك قيس بن وجرة الطائي

أراك ابن هند لم تعقك أمانة * وما المرء لا عهده ومواثقه

فأقسمت جهدي بالاباطح من منى * وما خب في بطحائهن درادقه

لئن لم تغير بعض ما قد فعلته * لا نحين للعظم ذوانت عارقه

سمي عارقا بهذا البيت وبلغ الشعر عمرو بن هند فقال له زرارة بن عدس أبيت اللعن أيتوعدك فقال عمرو لرميلة بن شعار الطائي أيهجوني ابن عمك ويتوعدني قال لا والله ما هجاك ولكنه قال

والله لو كان ابن جفنة جاركم * ما ان كسا كم ضيعة وهوانا

وأراد رميلة أن يسل سخيمته فقال والله لاقتلنه فبلغ ذلك عارقا فقال منشدا

أيوعدني والرمل بيني وبينه * تبين رويدا ما امامة من هند

غدرت بعهد كنت أنت أخذتنا * عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد

وقد يترك الغدر الفتى وطعامه * اذا هو أمسى جلة من دم الفصد

فبلغ عمرو بن هند قوله فغزا طيأ فاسر اسرى من بني عدي بن أخزم رهط حاتم

فوفد حاتم عليه وسأله في الاسرى فأطلقهم له وكان المنذر بن ماء السماء أبو عمرو وقد وضع ابناله صغيرا يقال له مالك عند زرارة بن عدس وان مالكا خرج يوما يتصيد فأخفق ولم يجد شيأ فرجع فمر بابل لرجل من بني عبد الله بن دارم يقال له سويد وكان عند سويد ابنة زرارة فولدت له سبعة غلمة فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويد نائم فلما انتبه شد عليه مالك بعصى فضربه فأمته فمات وخرج سويد هاربا حتى لحق بمكة وكانت ملى تطالب عنزة بن زرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك فقال ثعلبة بن عمرو الطائي

من مبلغ عمرا بان المرء لم يخلق صباره
وهو ادن الايام لا * تبقى لها الا الحجارة
ان ابن عمرو أمته * بالسفح أسفل من أواره
تسفى الرياح خلال كشحيه وقد سلبوا ازاره
فاقتل زرارة لا أرى * في القوم أوفى من زراره

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى وفاضت عيناه وبلغ الخبر زرارة فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه فأخذ امرأته وهي حبلى فقال أذكر في بطنك أم أنثى قالت لا علم لي بذلك فبقر بطنها فقال قوم زرارة لزرارة والله ماقتلت أخا الملك فأته فأصدقه الخبر فأتاه فتنصل اليه فقال على بسويد فقال انه لحق بمكة قال فعلي ببنيه فأتاه ببنيه السبعة وأمهم بنت زرارة غلمة بعضهم فوق بعض فأمر بقتلهم فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه وتعلق بزرارة الآخرون فقال زرارة يا بعضي أرسل بعضي فذهب مثلا وقتلوا وآلى عمرو ابن هند ألية ليحرقن من بني حنظلة مائة رجل فخرج يريدهم وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائي فوجد القوم قد أنذروا فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلا بناحية البحرين فحبسهم ولحقه ابن هند فضربت رفيته وأمر لهم باخدود ثم أضرم فيه نارا فلما احتدمت وتلظت قذف بهم فيه فاحترقوا فاقبل راكب من البراجم وهم بطن من بني حنظلة لا يدري بشئ مما كان يصنع بغيره فأخذ وألقي في النار وأقام عمرو بن هند لا يرى أحدا فقيل له لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلا فدعا بامرأة من بني حنظلة

فقال لها من أنت قالت الحمراء بنت ضمرة فقال انى لاظنك أعجمية فقالت ما أنا بأعجمية ولا ولدتنى العجم

انى لبنت ضمرة بن جابر * ساد امعدا كابرا عن كابر

فقال عمرو أما والله لولا مخافتى أن تلدى مثلك لصرفتك عن النار فقالت أما والذى أسأله أن يضع وسادك ويخفض عمادك ماتقتل الانساء أعاليها ندى وأسفلها على قال اقذفوها فى النار فالتفتت وقالت ألا فتى يكون مكان عجوز فلما انطوى عليها قالت هيهات صار الفتيان حمما وسمى من ذلك اليوم محرقا ومن ملوك جفنة أيضا المحرق لكنه غير صاحب البردين فأما أمر البردين فحكى ان الوفود اجتمعت عند محرق فأخرج بردين من لباسه يبلو الوفود وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن أحيمر فأخذهما فاتزر بالواحد وارتدى بالآخر فقال له أنت أعز العرب قبيلة قال العز كله فى معد والعدد فى معد ثم فى نزار ثم فى مضر ثم فى خندف ثم فى تميم ثم فى سعد ثم فى كعب ثم فى بهدلة فمن أنكر هذا فلينافرنى فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك قال أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها أنا فى نفسى وشاهد العز شاهدى ثم وضع قدمه على الارض وقال من أزالها من مكانها فله عشرة من الابل فلم يقم اليه أحد وخرج بالبردين فضربت العرب بعزه المثل وببرديه

(وحلت مارية بالقرطين)

(ذكر قرطى مارية) القرط نوع مما تحلى به المرأة أذنها ومارية هى ابنة ظالم بن وهب الكندى زوجة الحرث الاكبر الغسانى أحد ملوك العرب بالشام وهى أم الحرث الاصغر وأمها هند الهنود امرأة آكل المرار وكان فى قرطيها لؤلؤتان عجيبتان يتوارثهما الملوك وصلتا الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فلما ولى عمر الخلافة قال لها ان أحببت المقام عندى فضعى القرطين والحلى فى بيت مال المسلمين فوضعته فلما مات وولى يزيد بن عبد الملك أرسل اليها يقول خذى القرطين والحلى من بيت مال المسلمين فقالت لا والله ما أوافقه فى حال حياته وأخالفه بعد

وفاته وروى الميداني أن مارية أهدت قرطيها الى الكعبة وهما درتان كبيضتي الحمام لم ير في عصرهما ولا قبله مثلهما هكذا روى الميداني والله أعلم بحقيقتهما

(وقلدك عمرو الصمصامة)

(ذكر عمرو بن معدي كرب)

هو عمرو بن معدي كرب بن عبد الله الزبيدي وكنيته أبو ثور الفارس المشهور صاحب الغارات والوقائع المذكورة في الجاهلية والاسلام وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة قال عمرو وقدمت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا من تبوك فأردت أن أدنو اليه فنعني من حوله فقال دعوه فدنوت منه فقلت أنعم صباحا أبيت اللعن فقال يا عمرو أسلم تسلم ويؤمنك الله من الفزع الأكبر فأسلمت وعاش عمرو الى أيام عثمان وأبلى في وقائع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية وهو الذي ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزم وانهزمت الاعاجم وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها قال الخثعمي ما رأيت أشرف من رجل رأيته يوم اليرموك خرج له علج فقتله ثم أخر فقتله ثم انهزموا فتبعهم وتبعته ثم انصرف الى خباء له أسود فنزل فدعا بالجفان ودعا من حوله قلت من هذا قالوا عمرو بن معدي كرب وحدث ابن أبي حاتم قال مررنا يوم القادسية بعمرو بن معدي كرب وهو يحض الناس بين الصفين ويقول أيها الناس كونوا أشداء ما شاء ان هذا الرجل من الاعاجم اذا ألقى مزراقا فانما هو تيس فبينما هو كذلك يحرضنا اذ خرج رجل من الاعاجم فوقف بين الصفين فرماه بنشابة فما أخطأت سية قوس كان متنكبها فالتفت ثم حمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه وجاء حتى اذا دنا منا كسر عنقه ثم أمر الصمصامة على حلقه فذبحه ونزع سواريه ومنطقته وألقاه وقال هكذا فاصنعوا بهم فقلنا من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع وحكى أبو عبيدة قال لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالا عظيمة فعزل سعد بن أبي وقاص الخمس ثم قسم البقية فأصاب الفارس ستة آلاف وبقي مال دثر فكتب الى عمر بما فعل فكتب اليه ان رد على المسلمين الخمس وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ففعل ذلك ثم كتب اليه كذلك فكتب اليه أن

أعط مابقى حملة القرآن فاتاه عمرو بن معدى كرب فقال مامعك من حفظ القرآن قال انى أسلمت ثم شغلت بالغزو عن حفظ القرآن وقيل أتاه بشر بن ربيعة فقال له مامعك من حفظ القرآن قال معى بسم الله الرحمن الرحيم فضحك القوم فقال سعد مالك فى هذا المال من شئ ولا من نصيب فقال عمرو منشدا

اذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد * قالت قريش ألا تلك المقادير

نعطى السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

وقال بشر أبياتا فكتب سعد الى عمر بما قالا فكتب اليه أعطهما على بلائهما فاعطاهما أربعة آلاف درهم وحكى المدائنى قال كان عمرو بن معدى كرب فى سرية أميرها سلمان بن ربيعة فعرض الخيل فمر عمرو على فرس له فقال سلمان هذا هجين فقال عمرو عتيق قال فامر به فعطش ثم دعا بترس فقلبت فيه ماء فدعا بخيل عتاق فشربت فجاء فرس عمرو فثنى يديه وشرب وهكذا يصنع الهجين فقال له ألا ترى فقال عمرو أجل الهجين يعرف الهجين فبلغ عمر فكتب اليه قد بلغنى ما قلت لاميرك وبلغنى أن لك سيفا تسميه الصمصامة وعندى سيف مصمم بالله لئن وضعته على هامتك لا أقلع حتى أبلغ به شراسيفك فان سرك أن تعلم أحق ما أقول فعد ويروى أن عمر رضى الله عنه سأله يوما فقال ما تقول فى الحرب قال مرة المذاق اذا كشفت عن ساق فمن صبر عرف ومن ضعف تلف قال فما تقول فى الرمح قال خليلك وربما خانك قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب قال فالترس قال عليه تدور الدوائر قال فالسيف قال عندك ثكلتك أمك قال عمر بل أمك فقال الحمى أصرعتنى فأغلظ له عمر فى الكلام فقال

أتوعدنى كانك ذو رعين * بأنعم عيشة أو ذو نواس

فلا تفخر بملكك كل ملك * يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر صدقت فاقتص منى قال بل أعفو يا أمير المؤمنين لولا آية سمعتها منك لجللتك بالسيف أخذ منك أم ترك قال وما هى قال سمعتك تقرأ انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى والله لو علمت انى اذا دخلتها مت لفعلت وحكى أن عيينة بن حصن لما قدم الكوفة أقام أياما ثم قال والله

مالي بأبي ثور عهد ثم ركب فرسا وسأل عن محلة بني زبيد فأرشد اليها وسأل عن عمرو فوقف ببابه ثم قال يا أبا ثور أخرج الينا فخرج مؤتزرا كأنما كسر وجبر فقال له أنعم صباحا أبا مالك فقال أوليس قد بدلنا الله تعالى بهذا السلام عليكم فقال دعنا مما لا نعرف انزل فان عندي كبشا سمينا فنزل فعمد الى الكبش فذبحه ثم ألقاه في قدره وطبخه وجلس يتحدث الى أن أدرك فثرد في جفنة عظيمة وألقى القدر عليها وقعدا فأكلا منها ثم قال أي الشراب أحب اليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية فقال أوليس حرمها الله تعالى في الاسلام فقال أنت أقدم اسلاما أم أنا قال أنت قال فاني قد سمعت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريما الا انه قال فهل أنتم منتهون فقلت لا ثم جاء بنبيذ وجلسا يشربان ويتحدثان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا فلما أراد عيينة الانصراف قال عمرو ان انصرف أبو مالك بغير حباء انها الوصمة فأمر له بناقة أرحبية وحمله عليها ثم أتى بمزود فيه أربعة آلاف درهم فوضعه بين يديه فقال أما المال فوالله لا آخذه ولا ألمسه فانصرف وهو يقول

جزيت أبا ثور جزاء كرامة * فنعم الفتى أنت المزور المضيف

وقيل انه لم يكن في عمرو خصلة رديئة الا الكذب حكى أبو عمرو بن العلاء قال وقف عمرو يوما بالمربد يتحدث على عادتهم فقال غزوت في الجاهلية على بني مالك فخرجوا مسترفعين بخالد بن الصقعب فحملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه وكان خالد بن الصقعب حاضرا فقال بعض الجماعة مهلا أبا ثور فتلك يسمع كلامك وأشار اليه فقال اسلت انما أنت محدث فاسمع أوقم ثم التفت الى خالد وقال انما نرهب هذه المعدية بهذه الاخبار ومضى في حديثه فلم يقطعه فقال له رجل انك لشجاع في الحرب والكذب فقال اني كذلك وحكى أبو عمرو بن العلاء قال جاء رجل الى عمرو وهو واقف بالمربد على فرس وقد أسن فقال لانظرن ما بقي من قوة أبي ثور فأدخل يده بين ساقه وجنب الفرس ففطن عمرو لذلك فضم رجله وحرك الفرس فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى اذا بلغ منه صاح به فقال يا ابن أخي مالك قال يدي تحت ساقك فخلى عنه وقال ان في عمك بقية بعد ومن كلامه حكى

انه أتى مجاشع بن مسعود فقال أسألك جملان مثلى وسلاح مثلى فأمر له بفرس جواد وسيف صارم وعشرين ألف درهم فر ببنى حنظلة فقالوا يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك فقال لله بنو مجاشع ما أشد فى الحروب لقاءها وأجزل فى اللزبات عطاءها وأحسن فى المكرمات بناءها والله لقد قاتلتها فما أجبنتها وسألتها فما أبخلتها وهاجيتها فما أفحمتها ومن جيد شعره

ولما رأيت الخيل زورا كأنها * جداول ماء أرسلت فاسبطرت
وجاشت الى النفس أول فكرة * فردت على مكروهها فاستقرت
ظللت كأنى للرماح دريئة * أقاتل عن أحساب جرم وفرت
ولو أن قومى أنطقتنى رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

قوله أقاتل عن أحساب جرم من الهجاء الممض وذلك انه ذكر ان قوما فروا وليس هو منهم غير انه يقاتل غضبا لهم وعصبة وقوله ولو ان قومى أنطقتنى يعنى لو قاتلوا وطاعنوا انطقت بمدحهم ولكنهم فروا فاسكتونى عن المدح والاصل فى الاجرار ان الفصيل اذا أرادوا فطامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرضاع وقوله فى القصيدة التى أولها

أمن ريحانة الداعى السميع

وقد عجبت امامة ان رأتنى * تفرع لمتى شيب فظيع
أشاب الرأس أيام طوال * وهم ما تبلغه الضلوع
وزحف كتيبة للقاء أخرى * كأن زهاءها رأس صليع
وأسناد الاسنة تحو نحرى * وهز المشرفية والوقوع
فان تنب النوائب آل عمم * تجد حكماءهم فيها رفوع
اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع
وصله بالتروع فكل شئ * سمالك أو سموت له نزوع

وقوله أيضا

يا أيها المفتى بنا * جهلا بنا وولدت عبدا
ليس الجمال بمئزر * فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن * ومناقب أورثن مجدا
أعددت للحدثان سا * بغة وعداء علندى

وحسام ذا شطب يقد البيض والابدان قدا
كل امرئ يجري الى * يوم الهياج بما استعدا
لما رأيت نساءنا * يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت محاسنها التي * تخفى وعاد الامر جدا
نازلت كبشهم ولم * أر من نزال الكبش بدا
كم ينذرون دمي وانـ * ـذر ان لقيت بان أشدا
كم من أخ لي صالح * بوأته بيدي لحدا
ذهب الذين أحبهم * وبقيت مثل السيف فردا

(ذكر الصمصامة)

قلت لو لم يكن له الا هذه القصيدة لاستحق بها التقدم على بشر كثير وأما الصمصامة فهي سيفه المشهور قال عبد الملك بن عمير أهدت بلقيس الى سليمان عليه السلام خمسة أسياف وهي ذو الفقار وذو النون ومجذوب ورسوب والصمصامة فأما ذو الفقار فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر ومجذوب ورسوب للحرث بن جبلة الغساني وذو النون والصمصامة لعمرو بن معدى كرب وحكى أن عمر بن الخطاب قال لعمرو ابعث لي الصمصامة فبعث به اليه فلم يره كما بلغه فقال له في ذلك فقال اني بعثت اليك الصمصامة ولم ابعث لك باليد التي تضرب به وحكى أبو عبيدة ان الصمصامة انتقلت الى سعيد بن العاص وذلك ان خالد بن الوليد لما غزا ابن زبيد وكان خالد بن سعيد من جملة امرائه أوقع بهم وأسر ريحانة أخت عمرو بن معدى كرب ففداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة ثم فقد يوم الدار في مقتل عثمان ووجد ولم يزل الى أن صعد المهدي البصرة فلما كان بواسط أرسل الى بني العاص يطلب الصمصامة فقالوا انه في السبيل محبسا فقال خمسون سيفا قاطعا في السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفا وأخذه فلما صار الى الهادي أحضره وأمر الشعراء بوصفه فقال بعضهم من أبيات

حاز صمصامة الزبيدي عمرو * من جميع الانام موسى الامين
ما يبالي من انتضاه لضرب * اشمال سطت به أم يمين

ثم وصل الى المتوكل فدفعه الى غلامه باغرا التركي فقتله به ومن عند باغرا

قوله باغرا في نسخة بغز بدون ألف في آخره وحرر

انقطع خبره

(وجملك الحرث على النعامة)

النعامة فرس الحرث بن عباد التغلبي أكبر سادات بني وائل وهو الذي اعتزل حرب البسوس وقال لا ناقة لي فيها ولا جمل فلما قتل ولده نهض حينئذ وقال

قربا مربط النعامة مني * لقحت حرب وائل عن حيال

يعني هذا الفرس ويكرر قوله قربا مربط النعامة مني في أبيات كثيرة في هذه القصيدة وقد تقدم شيء من ذكره ويقال ان هذه الفرس كانت لخرز بن لوذان وهي التي يقول فيها يخاطب زوجته

ان الرجال لهم اليك وسيلة * ان يأخذوك تكحلي وتخضبي
وأنا امرؤ ان يأخذوني عنوة * أقرن الى سنن الركاب وأجنب
ويكون مركبك القعود وحدجه * وابن النعامة يوم ذلك مركبي

يعني انك ان أسرت كانت لك وسيلة عند الرجال من كحلك وخضابك وأنا ان أسرت جنبت الى جانب فرسي فأكون راكبا ظلها قال أبو عبادة النعامة عرق في باطن القدم ولذلك يقال للميت شالت نعامته أي ارتفعت رجلاه وقولهم ان فرس الحرث بن عباد هي فرس خرز فيه نظر فقد قيل ان خرز بعد الحرث بزمان

(ما شككت فيك ولا سترت أباك ولا كنت الا ذاك)

يعني لو تجملت بهذه الذخائر لما تدلس على أمرك ولا خفي عني نسبك الذي أعرفه قبل الآن

(وهبك ساميتهم في ذروة المجد والحسب
وجاريتهم في غاية الظرف والادب)

المساماة المماثلة في السمو والذروة أعلى الشيء ومنه ذروة السنام والمجد التوسع في الكرم والجلالة وأصل المجد من قولهم مجدت الابل اذا حصلت في مرعى كبير واسع وأمجدها الراعي والحسب ما يعده الانسان من مفاخره وحسبه من مفاخر آبائه قال ابن الاعرابي الحسب والكرم يكونان في المرء وان لم يكن له آباء لهم شرف والظرف الكيس والادب جمع أنواع من

المحاسن

المحاسن مأخوذ من المأدبة وهي الجمع على الطعام والدعاء اليه ومنه سمي الاديب الجامع لفنون كثيرة كالنظم والنثر والعلم والادب والتفنن في كل مقولة

(الست تأوي الى بيت قعيدته لكاع اذ كلهم عزب خالي الذراع)

القعيدة امرأة الرجل كأنها مقاعدته ولكاع اللئيمة النفس مبني على الكسر والعزب البعيد عن الزوجة مأخوذ من العازب في طلب الكلا وهو المتباعد وخالي الذراع مثل خالي اليد كناية عن الفراغ والمعنى انك جامع للمحاسن الست متزوجا وكل من شئت من هؤلاء القوم الذين يختارون محبتي عزب فكيف أفضلك عليهم وقوله الى بيت قعيدته لكاع هو نصف بيت من شعر الحطيئة وهو قوله

أطوّف ما أطوّف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

(ذكر الحطيئة) واسم الحطيئة جرول بن أوس بن مالك العبسي والحطيئة لقب وقع عليه قيل لقصره من الارض وقيل لانه ضرط يوما فقيل له ما هذا فقال اغا حطأت حطيئة وكان من أكبر شعراء المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام والغالب على شعره الهجاء وكان دنيء النفس والهمة قدم المدينة فمشى أشرافها بعضهم الى بعض وقالوا قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظن فيحقق فيأتي الرجل منكم فان أعطاه جهد نفسه وان حرمه هجاه فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيأ من بينهم فجمعوا له أربعمائة دينار وأتوه وقالوا هذه صلة آل فلان وآل فلان وآل فلان فأخذها وظنوا انهم كفوه عن المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام قائلا من يحملني على نعلين كفاه الله كبة جهنم وحكى أبو عبيدة قال مضى الحطيئة الى عيينة بن النهاس فسأله فقال ما أنا على عمل فأعطيك ولا في مالي فضلة عن قومي فقال له ولا عليك ثم انصرف فقال بعض قومه عرضتنا ونفسك للشر فقال كيف قالوا هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء قال ردّوه فردّوه اليه فقال كتمتنا نفسك كأنك تريد العلل علينا أجلس ولنا عندك ما يسرك فجلس فقال له من أشعر الناس فقال الذي يقول

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال عبيد هذا والله من مقدمات أفاعيك ثم قال لو كيله اذهب به الى السوق فلا يطلب شيأ الا اشتريته فجعل يعرض عليه الخز والرقيق من الثياب فلا يريدها فعرض الاكسية الغلاظ والكرابيس فيشتريها ثم مضى فلما جلس عبيد فى نادى قومه أقبل الحطيئة وقال

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا * فسيان لا ذم عليك ولا حمد

ثم ركض فرسه وولى وحكى ان الزبرقان بن بدر كان عاملا على صدقات قومه فورد فى سنة مجدبة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليؤدى ما اجتمع من الصدقة فلقى الحطيئة ومعه زوجته و بناته فقال له الزبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة أين تريد قال العراق فقد حطمتنا هذه السنة قال وما تصنع قال وددت أن أصادف بها رجلا يكفينى مؤنة عيالى وأصفيه مدحى ما حييت فقال له الزبرقان فهل لك من يوسعك لبنا وتمرا و يجاورك أحسن جوار فقال الحطيئة هكذا وأبيك العيش فقال قد أصبته قال عند من قال عندى قال من أنت قال الزبرقان بن بدر قال فأين محلك قال اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس واسأل عن القمر يريد الزبرقان فانه من أسماء القمر وسمى به لحسنه وسر الى أم هند بنت صعصعة يعنى زوجته ففعل وأكرمته المرأة فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس وكانوا ينافسون الزبرقان فأرادوه على جوارهم فأبى فدسوا الى امرأة الزبرقان انه يريد أن يتزوج مليكة ابنة الحطيئة وكانت جميلة فقصرت فى حق الحطيئة وظهر له منها الجفاء فانتقل الى بنى شماس فضربوا له قبة وضربوا له آتاتا وربطوا له بكل طنب حلة وأراحوا عليه ابلهم وكسوه ثم ورد الزبرقان فقال ردوا على جارى فأبوا وكاد يكون بينهم حرب فقال أهل الرأى منهم خيروه ففعلوا ذلك فاختار بغيضا فصار يمدحهم وهم يطلبون منه هجاء الزبرقان فيمتنع الى أن أرسل الزبرقان الى رجل من النمر فهجا بغيضا فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان و يناضل عن بغيض

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا * فى آل لاى بن شماس باكياس

لما بدا لى منكم غش أنفسكم * ولم يكن لجراحى منكم آسى

أزمعت يأسا مبينا من نوالكم * ولن ترى طاردا للحر كالياس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لن يذهب العرف عند الله والناس

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر للزبرقان ما أرى هجوا ولكن معاتبة فقال الزبرقان أما تبلغ مروءتي الا أن آكل وألبس فقال عمر رضي الله عنه على بحسان فجيء به فسأله أهجاه قال لا بل سلح عليه بعد أن أكل الشبرم فأمر عمر بقطع لسان الحطيئة ليرهبه فقال يا أمير المؤمنين والله لقد هجوت أبي وأمي وزوجتي ونفسي فضحك عمر وقال ما قلت قال قلت في أبي وأمي

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني * وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت في زوجتي

أطوف ما أطوف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

وقلت في نفسي

أرى لي وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

فأمر به عمر فحبس في بئر وغطاه فقال

ماذا تقول لأفراخ نذي مرخ * حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فأخرجه ثم قال اياك وهجاء الناس قال اذا تموت عيالي جوعا فقال اياك والمقذع قال وما هو قال ان تخاير بين الناس قال أنت والله أهجى مني فسلمه الى الزبرقان فشد في عنقه حبلا فعارضته غطفان وسألته أن يهبه لهم ففعل ثم اشترى منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعراض الناس بثلاثة آلاف درهم ولم يزل مقيما بالبادية الى أن توفي في خلافة عمر رضي الله عنه ولما حضرته الوفاة قالوا له يا أبا مليكة أوص فقال ويل للشعر من راوية السوء فقالوا له أوص يرحمك الله قال ابلغوا أهل امرئ القيس أن صاحبهم أشعر الناس بقوله فيا لك من ليل فقالوا له أوص فقال

الشعر صعب وطويل سلمه * اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به الى الحضيض قدمه

قالوا ألك حاجة قال لا ولكن أخشى على المدح الجيد يمدح به من ليس له أهلا قالوا توصي للفقراء بشيء فقال بالالحاح في المسئلة فانها تجارة لن تبور واست

المسؤل أضيق ثم مات ومن محاسن شعره قوله

جزى الله خيرا والجزاء بكفه * على خير ما يجزي الرجال بغيضا
فلو شاء اذ جئناه ضن فلم يلم * وصادف مناقي البلاد عريضا

هذا معنى حسن غريب يقول كثرت محاسنه فاستغنى أن يكثر مادحيه وانه لو منع أو أساء أساءة واحدة لكانت له في البلاد حسنات كثيرة تكفيه ولا يصدق هاجيه ومن محاسن شعره قوله

فتى غير مفراح اذا الخير مسه * ومن نكبات الدهر غير جزوع
كثير الندى ان تأته بصنيعة * الى ماله لم تأته بشفيع

وقوله في أبي موسى الاشعري

وجحفل كسواد الليل منتجع * أرض العدو ببؤس بعد انعام
من كل أجرد كالسرحان أبرزه * مسح الاكف وسقي بعد اطعام
مستحقبات رواياها جحافلها * يسمو بها أشعري طرفه سامي

الروايا الابل التي تحمل الاثقال تجنب الخيل اليها فتضع جحافلها على اعجاز الابل مكان الحقائب لطولها فكأنها مستحقبة لها وكان الحطيئة قد سأل أبا موسى أن يكتبه في الجيش فقال تمت العدة فمدحه بهذه القصيدة فكتبه فبلغ عمر فلامه على ذلك فقال اشتريت عرضي منه فقال أحسنت وقوله

وفتيان صدق من عدي عليهم * صفائح أخرى علقت بالعواتق
اذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم * ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

(وقوله)

سيرى أمام فان المال يجمعه * سيب الاله واقبالي وادباري
تسري الى ضوء أحساب أضاءلها * كما أضاءت نجوم الليل للساري

(وقوله)

أتت آل شماس بن لأي وانما * أتاهم بها الاحلام والحسب العد
أقلوا عليهم لا أبا لابيكم * من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا اشدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جهل حادث * من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

شياطين

شياطين في الهيجا مكاشيف للدجى * بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
وتعذلني أبناء سعد عليهم * وما قلت الا بالذى علمت سعد

(وأين من أ تفرد به ممن لا غلب الاعلى الاقل الاخس منه)

هذا تفسير لما تقدم من الكلام بان الذى تنفرد به العزب والذى يغلب على الاقل منه المتزوج والغلب الاستيلاء على الشيء كأنها لا تستولى الا على فضل ما بقي من زوجته

(وكم بين من يعتمد في بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة)
(والنفس المصروفة الى واللذة الموقوفة على)

كل هذه الالفاظ كناية عن كثرة النكاح المحبب للنساء حكى بعض الغزاة مع قتيبة قال لما فضنا بلد كذا من الروم سبيت امرأة منهم فواقعتها في ليلة سبع مرات فقالت أ كل العرب تفعل هذا قلت نعم قالت صدقت بهذا العمل نصروا علينا

(و بين آخر قد نضب غديره ونزحت بيره)
(وذهب نشاطه ولم يبق الاضراطه)

الكلام معطوف على ما قبله وهذه الالفاظ كناية عن عجز الرجل عن النكاح اذا شاخ وضعف وهو مأخوذ من قول بعض العرب وقد أسن وسئل عن حاله فقال والله لقد ذهب مني الاطيبان وهما الجماع والنوم وبقي فى الارطبان وهما السعال والضراط

(وهل يجتمع لي فيك الا الحشف وسوء الكيلة)

يعني لو وصلتك لاجتمع على سوء منظرك وسوء مخبرك وهذا مثل للعرب يضرب في الخلتين السيئتين يجتمعان و يقال انه لعمرو بن معدى كرب والحشف أردى التمر والكيلة فعلة من الكيل وهي تدل على الهيئة نحو الجلسة والركبة فليعلم ذلك

(ويقترن على بك الا الغدة والموت في بيت سلولية)

هذا مثل آخر في معنى الاول وقائله عامر بن الطفيل عند ما توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه وقال اللهم اكفني عامرا بما شئت فظهر في رقبته غدة مات منها في بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت

في بيت سلولية وقد تقدم خبره

(تعـالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال)

(ذكر أبي العتاهية)

هذا البيت لابي العتاهية واسمه اسمـاعيل بن القـاسم بن سويد مولى عنزة ومنشأه الكوفة وهو من الثلاثة المطبوعين الذين لا يقدر على جمع شعرهم لكثرته بشـار والسيد الحميري وأبو العتاهية كان أول أمره يبيع الجرار على رأسه ثم تولع بالنظم وكان فيه من العجـائب قيـل له كيف تقول الشعر قال ما أردته قط الا تمثل لي فآخذ منه ما أريد وأترك مالا أريد وكان أبو نواس يقول ما رأيته قط الا تمثـل لي انه سمـاوي واني أرضي وأكثر شعر أبي العتاهية في الزهـد وكان قد تنسك وتزهد الى أن مات قال أحمد بن الحرث كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد وان الله تعـالى خلق جوهرين متضادين لا من شئ ثم ان الله تعالى بنى العـالم هـذه البنية منهما وان العالم حديث العين والصفة لا محدث له الا الله وكان يزعم أن الله سيعيد كل شئ الى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الاعيان جميعا وكان يقول بالوعيد وتحريم المـكاسب وكان يتشيـع على مذهب الزيدية ولا يتنقص أحـدا ولا يرى الخروج على السلطان وكان مجبرا حدث الجاحظ قال قال أبو العتاهية لثمامة ابن أشرس بين يدى المأمون وكان كثيرا ما يعارضه بقوله في الاجبار أسألك عن مسئلة فقـال له المأمون عليك بشعرك فقال ان رأى أمير المؤمنـين ان يأذن لي في مسئلي ويأمره باجابتي فقال أجبه اذا سأل قال أنا أقول ما يفعله العبـاد من خـير وشر فهو من الله تعالى وأنت تأبى ذلك فمن حرك يدى هذه وجعل أبو العتاهية يحركها فقال له ثمـامة حركها من أمه زانية فقال شتمني والله يا أمير المؤمنـين فقال ثمـامة ناقض المـاص بظر أمه فضحك المأمون وقال ألم أقل لك تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك قال ثمامة فلقيني فقال لي يا أبا معن أما أغناك الجواب عن السفه فقلت ان أتم الـكلام ما قطع عن الحجة وعاقب على الاساءة وشفى الغيظ وانتصر من الجـاهل وحـدث أبو شعيب صاحب ابن أبي داود قال قلت لابي العتاهية القرآن عندك مخلوق أوغير مخـلوق قال سألتني عن الله أو عن غير الله قلت عن غير الله فامسك فأعدت عليه فأجابني هذا الجواب حتى فعل ذلك مرارا فقلت مالك لا تجيبني

قال

قال قد أجبت ولكنك حمار وحدث ثمامة بن أشرس قال كان أبو العتاهية شديد البخل فأنشد في ذات يوم أبياتاً له في ذم البخل يقول فيها

ألا انما مالي الذي أنا منفق * وليس لي المال الذي أنا تاركه

فقلت له من أين أخذت هذا القول قال من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو اعطيت فأمضيت فقلت له أتؤمن بهذا القول انه حق قال نعم قلت فلم تحبس عندك أكثر من عشرين بدرة لا تأكل منها ولا تنفقها ولا تقدمها ذخراً ليوم فاقتك فقال يا أبا معن والله ان ما تقول هو الحق ولكني أخشى الفقر والحاجة الى الناس قلت وبم تزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحرص والجمع والشح على نفسك لا تشتري اللحم الا من عيد الى عيد فترك جواب كلامي كله ثم قال والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بأربعة دراهم فلما قال هذا القول أضحكني وأذهلني وعلمت انه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد هو وابراهيم الموصلي وأبو عمرو الشيباني في يوم واحد وقيل له عند موته أي شئ تشتهي قال أن يأتي مخارق ويضع فمه على أذني ويغنيني قولي

ستعرض عن ذكري وتنسى مودتي * ويحدث بعدي للخليل خليل
اذا ما انقضت عني من الدهر مدتي * فان غناء الباكيات قليل

ومن محاسن شعره قوله

جزى البخيل على صالحة * عني لخفته على فكري
ما فاتني خير امرئ وضعت * عني يداه مؤنة الشكر

(وقوله)

عذيري من الانسان لا ان جفوته * صفا لي ولا ان كنت طوع يديه
واني لمحتاج الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

كان المأمون رحمه الله تعالى يقول خذوا مني الخلافة واعطوني هذا الصاحب وقوله

ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسباً ورمالا
فاذا وردن بنا وردن مخفة * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

(وقوله)

كأنك عند الكر في الحرب انما * تفر من الصف الذي من ورائكا
فما آفة الابطال غيرك في الوغى * وما آفة الاموال غير حبائكا

(وقوله)

بكيتك يا علي بدمع عيني * فلم يغن البكاء عليك شيا
وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقوله)

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس * وان تسترت بالاقفال والحرس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها * ان السفينة لا تجري على اليبس

(وقوله)

الا اننا كلنا بائد * وكل الى ربه عائد
فيا عجبا كيف يعصي الاله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وقوله)

ما أن يطيب لذي الرعاية للا يام لا لعب ولا لهو
أن كان يطرق في مسرته * فيموت من أجزائه جزو

كان ابن مخلد يقول ان هذين البيتين روحانيان يطيران بين السماء والارض وقوله أيضا

الناس في غفلاتهم * ورحى المنية تطحن

(وقوله)

اذا المرء لم يعتق من المال رقه * تملكه المال الذي هو مالكه
الا انما مالي الذي أنا منفق * وليس لي المال الذي أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذي * يحق والا استهلكته مهالكه

(وقوله)

أ كل يوم طول الزمان اذا * جئتك في حاجة تقول غدا
لا جعل الله لي اليك ولا * عندك ما عشت حاجة أبدا

وقوله في الشعر الذي ذكر بسببه مخاطبا سلم الخاسر حيث يقول فيه

تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى الزوال

(ما كان أخلقك بان تقدر بذرعك وتربع بذلك على ظلعك)

ما أخلقك أي ما أولاك يقال فلان خليق بكذا أي كأنه مخلوق فيه مجبول عليه وتقدر بذرعك أي تقيس الامر بجهدك قبل أن تفعله والذرع الجهد ومنه ضاق فلان ذرعا وأصل الذرع بسط اليد كأنه جهد في بسطها وتربع على ظلعك مثل للعرب يضرب لمن يكلف نفسه ما لا يقدر عليه والظلع في البعير الغمز في مشيه ويستعار لغيره وربع اذا أقام فالمعنى أقم على ضعفك وارفق بنفسك وقال آخر قولهم أربع على ظلعك أي على قدر قدرتك ويقولون أيضا ارق على ظلعك لان الراقي في جبل أو سلم اذا كان ظالعا رفق بنفسه وقال آخر قولهم أربع على ظلعك أي احمل الحجر على قدر جهدك فان الحجر يسمى ربيعة وهو قول متعمق

(ولا تكن براقش الدالة على أهلها)

هذا مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه واختلفت الاقوال فيه فقال قوم وهم الاكثر براقش اسم كلبة نبحت قوما قصدوا الغارة على قوم نخفي عليهم مكانهم فلما نبحت الكلبة عرفوهم فاجتاحوهم فقالت العرب اشأم من براقش وعلى أهلها تجني براقش وقال أبو عمرو بن العلاء براقش امرأة كانت لبعض الملوك فسافر الملك واستخلفها وكان لهم موضع اذا فزعوا دخنوا فيه فاذا أبصره الجند اجتمعوا وان جواريها عبثن ليلة فدخن فجاء الجند فلما اجتمعوا قال لها نصحاؤها ان رددتيهم ولم تستعمليهم في شيء ودخنت مرة أخرى لم يحضروا فأمرتهم فبنوا بناء دون دارها فلما جاء الملك سأل عن البناء فحدثوه بالقصة فقال على قومها تجني براقش وحكى الشرقي عن لقمان حكاية أخرى في هذا المعنى وهي تقارب هذه والاولى أقرب الى المعنى

(وعنز السوء المستثيرة لحتفها)

هذا أيضا مثل يضرب لمن يعين على ضرر نفسه وأصله ان رجلا وجد عنزا فاراد ذبحها فلم يجد سكينا فبينما هو كذلك اذ بحثت الشاة بظلفها فاستثارت سكينا فذبحها بها

(فما أراك الا سقط بك العشاء على سرحان)

مثل يضرب لمن أراد أمرا فوقع على حتفه وأصله ان دابة خرجت تطلب عشاء فوجدها ذئب فأكلها وقيل رجل أعشى العين وقع على ذئب فأكله وعلى هذه الرواية يكون العشا مقصورا وقيل بل هو سرحان بن قعنب اليربوعي كان فاتكا وحمى وادياً فورد عوف الاسدي فقال أشهد لا يمنعني سرحان رعى ابلى الليلة فرعى فمر به سرحان بن قعنب فقتله فقال أخوه يخاطب زوجة الاسدي

أبلغ صبيحة ان راعي أهلها * سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على متقمر * لم ينه خوف من الحدثان

(ويلك لا بظبي أعفر)

هو مثل يضرب للشماتة بالرجل يقول نزل به المكروه ولا نزل بظبي تريد أن عنايتي بالظبي أشد من عنايتي به والأعفر الذي لونه لون التراب وهو العفر وكذلك غزلان السهل وكأنه خص الظبي بالداء لان الفشار والكسر سريعان اليه وقيل لانه متى أصابه داء مات سريعا والمثل للفرزدق منظوم من أبيات يتعلق بها حكاية وذلك ان الفرزدق كان قد هجا بني نهشل بأبيات منها

لعمري لقد قل النهى في عديدكم * بني نهشل ما لؤمكم بقليل

ثم خرج سادات بني تميم وفيهم الحتات بن مجاشع عم الفرزدق الى معاوية فوصلهم وترك حتاتا فعاتبه فقال معاوية انى اشتريت من القوم دينهم ووفرت عليك دينك قال فاشترمني ديني أيضا فألحقه بهم في الصلة فأقام ينتجزها وطعن فمات فرجع معاوية فيما أعطاه فحينئذ قال الفرزدق وهو اذ ذاك بالبصرة

أبوك وعمي يامعاوى أورثا * تراثا فأولى بالتراث أقاربه
فما بال ميراث الحتات أكلته * وميراث حرب جامد لك ذائبه
وكم من أب لي يامعاوي لم يكن * أبوك الذي من عبد شمس يقاربه

فوجد النهشليون سبيلا فسعوا به الى زياد وقالوا هجا أمير المؤمنين فقال زياد لعريف بني تميم أحضر قومك والفرزدق فيهم ليأخذ واعطاءهم فأحس

ذكر الفرزدق

الفرزدق بالشرة هرب ومازال يطوف حتى أتى المدينة عائذا بسعيد بن العاص فقال فيه من قصيدة منشدا

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر في الحدثان عالا
قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

فامنه سعيد فبلغ زيادا فقال لا والله لا أرضى عنه حتى يتنسب في بني فقيم ثم قال مروان لم ترض أن نكون قعودا ننظر الى سعيد حتى جعلتنا قياما فقال انك منهم يا أبا عبد الملك لصافن فحقدها عليه مروان فلما عزل سعيد وتولى المدينة مروان أحضر الفرزدق فقال أنت القائل

هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فقلت ارفعوا الاستار لا يشعروا بنا * وأقبلت في أعجاز ليل أبادره

فقال نعم قال أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج عن المدينة فاستجار بعبد الله بن جعفر ثم مات زياد فبلغ الفرزدق أن مسكينا الدارمي رثاه فقال ولم يكن هجا زيادا حتى مات خوفا منه

أمسكين أبكى الله عينك أنما * جرى دمعها في باطل فتحدرا
بكيت امرأ من أهل ميسان كافرا * ككسرى على علاته أو كقيصرا
أقول له لما أتاني نعيه * به لا بظبي بالصريمة أعفرا

(أعذرت ان أغنيت شيئا وأسمعت لو ناديت حيا)
يعني بلغت العذر في نصيحتك ان قبلت مني وتركت التعرض الي وأسمعتك ان كنت حيا تسمع وهذا نصف بيت من بيتين لعمرو بن معدي كرب ويروى لدريد بن الصمة وقد تقدم ذكرهما وهما

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نارا نفخت بها أضاءت * ولكن أنت تنفخ في رماد

وبعض المتعصبين على أبي العلاء المعري يزعم انه خرج ليلة الى بعض مراقب موسى عليه السلام ورفع رأسه الى السماء وقال يارب كلمني فأنا أفصح من موسى قال ذلك مرارا فلم يجبه أحد فأنشد البيتين وذكر انهما من شعره والحكاية باطلة في حقه من وجوه متعددة

(ان العصا قرعت لذي الحلم والشيء تحقره وقد ينمي)

قرعت له العصا مثل يضرب لمن ينصح وينبه على ما هو أصلح وقوله ان العصا قرعت والشئ تحقره مثلان فى التحذير منظومان فى قول الحرث بن وعلة اليشكرى وقد قتل بعض سادات قومه أخاه فقال من أبيات حسنة فى معناها

اقتلت سادتنا بلا ترة * الا لتوهن قوة العظم
ووطئتنا وطأ على حنق * وطء المقيد نابت الهرم
و زعمت انا لا حلوم لنا * ان العصا قرعت لذى الحلم
لا تأمنن قوما ظلمتهم * وبدأتهم بالشتم والغشم
أن يأبروا نخلا لغيرهم * والشئ تحقره وقد ينمى
الا نلما بيض مسربق * وعضضت من نابى على جذم
ترجوا الاعادى أن أصالحها * جهلا توهم صاحب الكلم
قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن أصبت لاوهنن عظمى

واختلف فيمن قرعت له العصا وضرب به المثل فقيل هو عامر بن الظرب بن عباد اليشكرى أحد حكام العرب المشهورين وفيه يقول ذو الاصبع

ومنا حاكم يقضى * فلا ينقض ما يقضى

وهو أول من قضى فى الخنثى وذلك انه اختصم اليه فى رجل له ما للمرأة وما للرجل أيجعل رجلا أم امرأة فقال لهم انصرفوا عنى حتى أنظر فى أمرى فما نزل بى مثل هذا فانصرفوا وبات ليلته ساهرا وكانت له جارية ترعى غنمه يقال لها سخيلة وكان يقول لها اذا سرحت عنه بكرة صبحت يا سخيل واذا راحت يقول مسيت يا سخيل لانها كانت تأخر حتى تسبق فلم يقل لها شيأ و رأت سهره وفكره فقالت له ما عراك فقال دعينى من شأنك فأعادت عليه فقال و يلك انه اختصم الى فى خنثى له ما للذكر وما للانثى فى ميراثه أأجعله امرأة أم رجلا فقالت لا أبالك أقعده فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل فقال لها مسى سخيل بعدها أو صبحى * فذهبت مثلا ثم خرج فقضى بالذى أشارت قال السهيلى وهو حكم معمول به فى الشرع من باب الاستدلال بالعلامات وله مثل فى الشريعة قول الله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب

ووجه الدلالة على الكذب ان التميمي لم يكن فيه خرق ولا أثر ثم ان عامرا كبر وضعف حتى قال في شعره

أرى شعرات على حاجبي * بيضا نبتن جميعا تواما
اظل أهاجي بهن الكلاب * بأحسبهن صوارا قياما

فقال له الثاني من ولده وقيل ابنته انك ربما أخطأت في حكم فيحمل عنك قال فاجعلوا الى أمارة أتنبه بها حتى أعرف الصواب فكان يجلس قدام بيته ويجعل ابنه في البيت ومعه عصا فاذا هفا قرع جفنة فينتبه ويرجع الى الصواب فضرب بها المثل وهو أول من فعل ذلك وقيل هو شخص في زمن النعمان بن المنذر جنى أخاه وذلك ان النعمان أرسل شخصا يرتاد الكلأ خابطا فغضب وعزم على أن يسأله اذا ورد فان قال خصبا قتله وان قال جدبا قتله وعرف بذلك أخوه فقال للنعمان أتأذن لي أن أنذره قال لا قال فأشير اليه قال لا قال فأقرع له عصا قال فاقرع فلما ورد أخذ أخوه عصا من بعض جلسائه وقرع بها عصاه التي كانت معه قرعا مختلفا الى أن فهم أخوه القصة فقال لم أجد خصبا ولم أذم جدبا الارض مشكلة لا يقلها يعرف ولا جدبها يوصف رائدها واقف ومنكرها عارف فقال النعمان أولى لك بذلك نجوت فنجا وقال أخوه

قرعت العصا حتى تبين صاحبي * ولم تك لولا ذاك للقوم تقرع

وقيل المراد بقرع العصا قصة قصير لما كان مع جذيمة وأقبلت عساكر الزبا فقال له الى متى أنكرت القوم قرعت لك العصا وهي فرس جذيمة التي لا تلحق فاركبها وانج فلما رأى الشر قرعها بالسوط فأنف جذيمة من الهرب فركبها قصير ونجا عليها وضرب بذلك المثل يعنون لو كان لجذيمة حلم لركبها لكن القول الاول أشهر وأحسن

(وان بادرت بالندامه ورجعت على نفسك بالملامه)
(كنت قد اشتريت العافية لك بالعافية منك)

يعني ان ندمت على ما أقدمت عليه وتركته ولت نفسك أرحت نفسك بانقطاعك عنا وارحتنا منك

(وان قلت جعجعة ولا طحن ورب صلف تحت الراعدة)

مثلان يضرب بأن لمن يتوعد ولا يفعل والجعجعة صوت الرحى والطحن الدقيق فعل بمعنى مفعول كذبح وفرق والصلف قلة البركة والخير ولذلك يقال اصلف من ملح فى ماء أى لا يبقى وسحاب صلف اذا كان قليل الماء كثير الرعد والمعنى انك متى قلت انى أتوعد ولا أفعل فترى ما يكون

(وأنشدت لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا)

هذا البيت لبشار بن برد وقد ذكر أبو الشمقمق قال دخلت عليه يوما وبين يديه مائة دينار فقال خذ منها أتدرى ما قصتها قلت لا قال أنا اليوم جالس واذا بفتى من ذوى النعمة دخل على فقال يا أبا معاذ هذه مائة دينار نذرت أن أدفعها لك فتسلمها فقلت ما سببها فقال كنت قد هويت امرأة وتعرضت لها فتصعبت على فأردت السلو فذكرت قولك

لا يؤيسنك من مخدرة * قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة * والصعب يركب بعد ما جمحا

فصبرت فأدركت مقصودى منها وآليت على نفسى أن أحمل اليك هذه المائة دينار

(فعدت لما نهيت عنه وراجعت ما استعفيت منه)
(بعثت من يزعجك الى الخضراء دفعا ويحثك نحوها وكزا وصفعا)

يعنى انك ان لم تبال بتوعدى ولم تصدقه وعاودت المراسلة بعثت من يزعجك من مكانك والازعاج عدم الاستقرار ومنه المرأة المزعاج التى لا تستقر فى مكان والخضراء ناحية المزدرع من البلد أو اسم ضيعة والوكز مثل الدفع وهو ضرب الظهر مع الدفع وقيل الضرب بجمع اليد على الذقن

(فاذا اصرت الهاعبث أكاروها بك وتسلط نواطيرها عليك)

الاكارون الزراعون جمع أكار ويجمع على أكرة كأنه جمع آكر فى التقدير مأخوذ من الاكرة وهى الحفيرة فى الارض والعبث أن يخلط بعمله لعبا مأخوذ من العبيثة وهى طعام مخلوط والسلاطة التمكن من القهر ومنه سمى السلطان

(فمن قرعة معوجة تقوم فى قفاك ومن فجلة منتنة يرمى بها تحت خصاك)

أى تضرب فى القفا بالقرع المعوج الى أن يستقيم وهو مما لا يستقيم فيكون

كناية عن ايصال الضرب والرمي بالفحل تحت الخصي كناية عن استد خاله في استه وفي نتنه مناسبة واستقذار للمفعول به

(ذلك بما قدمت يداك لتذوق وبال أمرك وترى ميزان قدرك)

يعني بما فعلت أنت والعرب تقول هذا ما كسبت يداك وان لم تكن اليد الفاعلة وانما يقصدون بذلك فعله وعلى ذلك حمل قوله تعالى لما خلقت بيدي على بعض الوجوه والذوق وجود الطعم بالفم ونقل الى اختبار الشئ ويستعمل في القليل والكثير ولذلك ذكره الله تعالى في العذاب والوبال الامر الثقيل الذي يخاف ضرره ومنه طعام وبيل وكلاء وبيل والوبل هو المطر الثقيل والميزان معرفة مقدار الشئ وأصله موزان فانقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها

(فمن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يرى)

هذا بيت من شعر المتنبي ختمت بذكره الرسالة لمناسبة ما قبله وكذلك مذاهب أكثر البلغاء في مقاطع رسائلهم أما بآية أو مثل أو بيت من الشعر يتمثلون به في معنى ماهم فيه فيكون له مزية ظاهرة ويجب أن يكون من أحسن ما سمع وفي القصيدة التي منها هذا البيت أبيات حسنة أذكرها جريا على العادة في الاستطراد بما ينطوي على نكتة وفائدة فمنها قوله وقد خرج هاربا من كافور الاخشيدي من مصر الى العراق يصف طريقه

فيالك ليلا على أعكش * أحم البلاد خفي الصوى
وردنا الرهيمة في جوزه * وباقيه أكثر مما مضى

أعكش موضع والاحم الاسود والصوى العلامات في الطرق وهي أحجار يوضع بعضها فوق بعض ليعرف بها الطريق وفي الحديث ان للاسلام صوى ومنارا والرهيمة موضع والضمير في جوزه عائد على الليل يعني نصفه اعترض قوم هذا اللفظ فقالوا اذا كان باقي الليل أكثر مما مضى فلا يكون نصفه فقيل في الجواب وجهان أحدهما أنه انما أراد بالنصف مدة الثلث الاوسط والثاني ان الضمير في جوزه عائد على أعكش والرهيمة ماء في وسطه وردوه وباقي الليل أكثر مما مضى

لتعلم مصر ومن بالعراق * ومن بالعواصم أني الفتى

يعني بمن في مصر من فاتهم ومن بالعراق من هو قادم عليهم ومن بالعواصم سيف الدولة

ومن يك قلب كقلبي له * يشق الى العز قلب النوى

ونام الخويدم عن ليلنا * وقد نام قبل عمي لا كرى

وقد كنت أحسب قبل الخصي * أن الرؤس محل النهى

فلما نظرت الى عقله * وجدت النهى كلها في الخصى

وقد ضل قوم بأصنامهم * فأما بزق رياح فلا

يعني ان من أطاع كافورا فقد ضل بطاعة شيء أسود مملوء هواء ولم يضل أحد بمثل ذلك

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يرى

يعني من جهل قدر نفسه عرفه غيره بارتكاب القبائح التي لا ينتبه لها ومن نوادر المنقبين على سرقات المتنبي قول أحدهم انه سرق هذا البيت من حكاية وهو ان قصارا كان يعمل على شاطئ نهر وكان كل يوم يرى كركيا يجيء فيلتقط من الحماة دودا ويقصر في القوت عليه فرأى الكركي صقرا قد ارتفع في الجو وانقض على حمامة فاصطادها وأكلها فقال الكركي مالي لا أصطاد الطير وكما يصطاد هذا الصقر وأنا أكبر منه جسما فارتفع في الجو وانقض على حمامة فأخطأ وسقط في الحماة فتلطخ رأسه وتلطخ ريشه ولم يمكنه أن يطير فأخذه القصار ورجع الى منزله فاستقبله رجل فقال ما هذا فقال كركي يتصقر فسمع المتنبي هذه الحكاية فأخذ منها معنى هذا البيت وهذا من نادر التعصب على هذا الرجل الفاضل المحمود

تمت الرسالة وشرحها * والدلالة ولحها * ولا أدعي فيها غير انتخاب الاخبار واختيار المتمكن من النظام والنثار * فاني أتيت بيوت الاشعار من أبوابها وميزت أبكار الفقر من أترابها * وعلى الجملة ففي عواطف من عرضت عليه هذه النبذة ما يسد خللي * ويشد أملي * ويكثر قليلي * ويرعى كل وقت رحلتي الشمالية بقبولي * عطر الله بذكره المشارق والمغارب * وزين سماء المدح في مناقبه بزينة الكواكب * ولا خلت أبواب نعمه وعلمه على كلا الحالين من طالب * آمين والحمد لله رب العالمين

بسم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله أما بعد فقد تم شرح هذه الرسالة * وبزغت عرائس كالعزيزية الغزالة * في عصر من سعدت به الديار المصرية * وأعادلها بجميل مساعيه محاسنها البهية * الخديوي الاعظم والداوري الاكرم * أفندينا اسماعيل باشا * بلغه الله تعالى من الآمال ماشا * وذلك بالمطبعة الوطنية بثغر الاسكندرية * تعلق حضرة معوض أفندي فريد * أناله الله تعالى مايريد * على ذمة ملتزميه المحترمين حضرة السيد محمد أفندي عكره والسيد علي المورلي الكتبي وكان تصحيحه بمعرفة الفقير الى رحمة مولاه * حمزة فتح الله * ولما بلغ بدره الكمال وتمت بذلك الآمال * كانت بهذه الابيات قريحتي الجامده * وفكرتي الخامده * فرقها البنان * والله المستعان

بانسمة عرفوا المسكي أشجاني * اني عهدت صباباتي وأشجاني
وهل أهيل ودادي بالاوى سمحت * فتاتهم ان يزور الغمض أجفاني
فمابعيد ارتحال الركب من سنة * لقلتي مذنبا صحبي واخداني
ياعمرها الله أخت الشمس قد علمت * بأن أثر المطايا قلبي العاني
عيل ان خفقت سوداه ودجها * فتزجر العيس كي لا يشعر الشاني
ومايضيرك لوطيف الخيال سرى * بحندس الليل في أجفان وسنان
وليلة قد وفت فيها بوعدها * وصوب مزن الربي يهمي بهتان
والروض باسمة والورق قد صدحت * في ايكها فوق أغصان بألحان
وقامة القنن الاملود رنحها * كف الصبا فأمالت عطف نشوان
وبانع الزهر زاه في حدائقها * يفتر عن نظم فيروز وعقيان
وعن عقيق زها حسنا وعن درر * وعن منضد ياقوت ومرجان
والليل ضمت علينا من حنادسه * دون الوشاة بنا أحشاء كتمان
حتى أماطت نقاب اللثم عن درر * بثغرها فتبدى صبحي الثاني
يهدى الى صحبي مما تقوه ومن * سرح العيون رقيق الطبع عقدان
كم من عذارى معان لاشواردها الشعراء حوم على اشراك اذهان
ولا يخوض جواد الفكر أبحرها * ولا يجول لها يوما بميدان

أبان عن كنزها المكنون فابتسمت * أفق الوضوح بها عن صبح تبيان
وقلد الطرس حسنا من بلاغته * منظومه وعقود الدر سيان
حتى غدا شرحه كالزهر يانعة * راقت عيون النهى فى حسن ألوان
حامت بمنهله الالباب صادية * والمورد العذب يروى كل ظمآن
لذلك الحسن ناداه مؤرخه * سرح العيون بأصفا البحر وافانى

٢٦٨ ١٦٧ ١٨٤ ٥٣٣ ١٤٨

١٢٩٠

